العدد (٥٣٩) رجب ١٤٣١هـ - يونيو - يوليو ٢٠١٠م

أسست عام ١٣٨٥هـ - ١٩٦٥م

الوعي الإسلامي

AL-Wael AL-islami

مجلة كويتية شهرية جامعة

د. عبدالسلام العبادي:
الدين هو الذي يهذب السياسة

الرقية بين الحلِّ والحرمة

تجليات الإسراء والمعراج

أمريكا بعيون عربية

القاهرة تحتضن معرض إصدارات وزارة الأوقاف

الوعي الإسلامي

على C.D

وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية
قطاع الشئون الثقافية

قراءنا الأعزاء نزف إليكم بشرى صدور C.D بصيغة pdf لتوثيق مسيرة المجلة التاريخية في رحاب الصحافة الهادفة خلال ٤٦ عاما

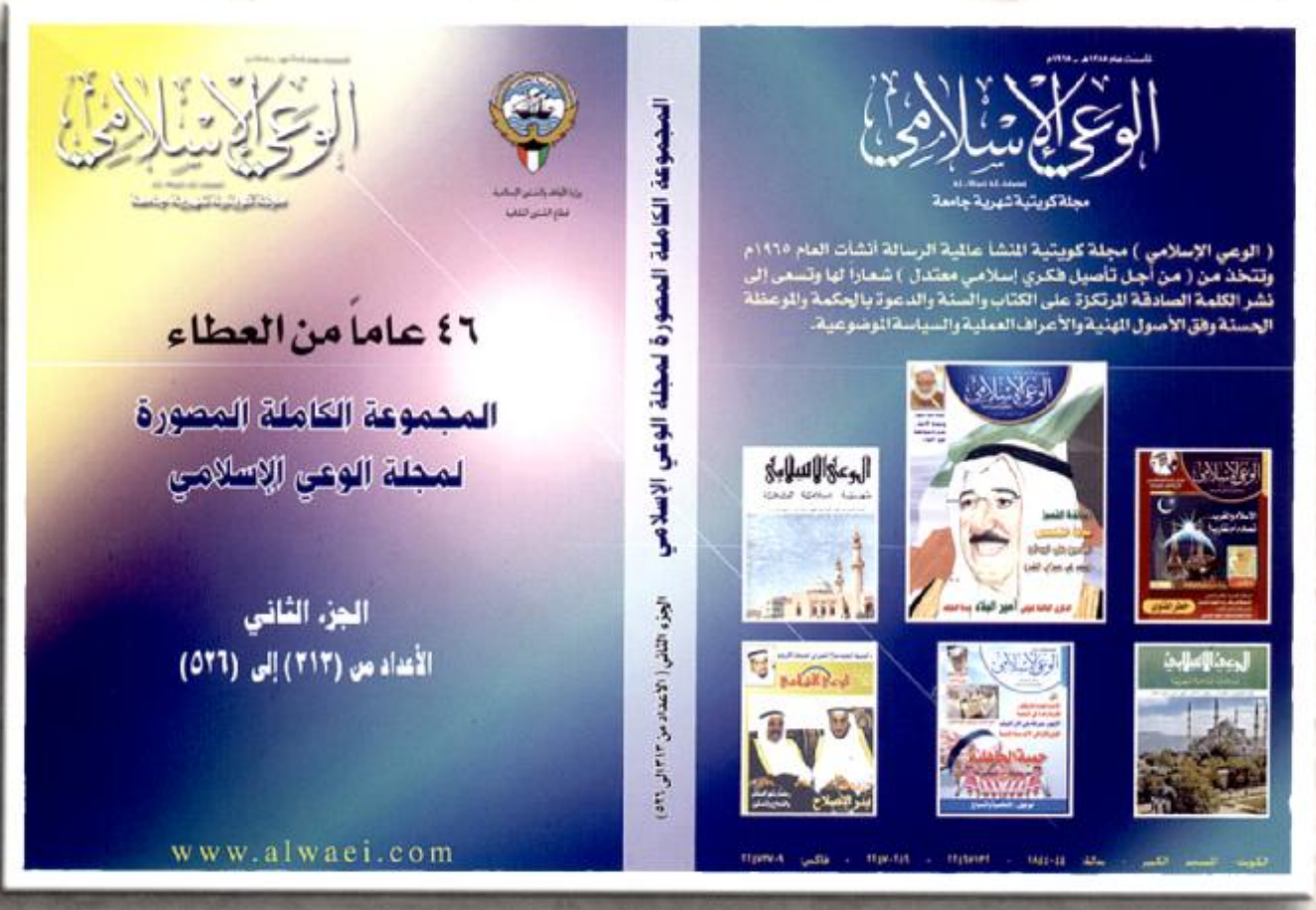

تم الإصدار الجديد للمجموعة المصورة الكاملة التي تحتوي على أعداد العام الهجري ١٤٣٠ والجزء الخامس من الكشاف العام على قرص C.D

info@alwaei.com - www.alwaei.com الكويت - المسجد الكبير - ١٨٤٤٠٤٤ - ٢٢٤٦٧١٣٢ - فاكس - ٢٢٤٧٣٧٠٩

الافتتاحية

الكون المنظور

يتوهم الذين لا يعرفون من الأشياء إلا ظواهرها ولا يدركون من الوجود إلا المحسوس أنه لا رب ولا خالق ولا مبدع لما في الكون من المعنويات والطقوس، وقد أنكروا قدرة الله وبقاءه، وأنه تعالى الخالق البارئ، وقال قائلهم ما هي إلا حياتنا الدنيا نموت ونحيا، ونؤله الطبيعة، وتنسب إليها النظم البديعة، ويُزعم أن الوجود خالق نفسه، ومكون أجزائه الوضيعة والرفيعة، فلم تأت الصدف بهذه المخلوقات في الأرض والسموات، ولكن الأثر يدل على المسير والبعرة تدل على البعير، وسماء ذات أبراج وأرض ذات فجاج تدل على وجود الخالق الصانع الحكيم ﴿إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي الْمَوْتَى وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَآثَارَهُمْ وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُبِينٍ﴾.

ففيّ الكوْن دلالات واضحة، وبراهين بينة، لأهل العقول الصحيحة على الخالق سبحانه.

وفي كل شيء له آية
تدل على أنه واحد

وقد أمر الله تعالى بالتفكير والتدبر في كتابه العزيز في مواضع لا تحصى، وأثنى على المتفكرين فقال تعالى ﴿الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَى جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾، فكتابنا العظيم يجعل النظَر في الكون دليل الإيمان، ومع سعة النظر وعمقه وصدقه تكون معرفة خالق الأكوان، فالمؤمنون بالله يستمدون معرفتهم من قراءة الكتاب المسطور والكون المنظور ﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾.

والذي غاب من خلقه عن مشاهدتنا ووعينا أكبر مما رأيناه وأحسسناه وعلمناه ﴿لَخَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ﴾.

إن هذا الكون الفسيح هو المسرح الأول للتدبر والتفكير، وينبوع الإيمان، والمجال الأول للفكر، وانفتاح المرء على الكون وفهمه لما فيه واستمكانه منه هو التوجيه القرآني لمعرفة العقائد التي يقوم الدين عليها.

وهكذا ترى مشاهد الكون هي الدافع إلى الإيمان، الباعث على التوحيد، القائد إلى التوبة، الناقل من الهلاك إلى النجاة، إذ ماذا حدث بعد أن فقد الإيمان مصادره الكونية وتوجيهاته القرآنية؟ تحول إلى فكر غامض وغيبيات مبهمة واستدلالات فلسفية نظرية ميتة.

بين الآفاق والنفس تمتد خيوط العلم لتبحث في علة الكون عبر العقل والنظر، لتجول قائلة سبوح قدوس، ما أعظمك! إنك على كل شيء قدير، اللهم سلمنا من تلك الأهوال، وآمنا من الفزع والزلزال.

رئيس التحرير

فيصل يوسف العلي

في هذا العدد

الصحافة المسؤولة ووسائل النهوض ٨

حوار مع د. عبدالسلام العبادي ١٦

الشعر والإصلاح الاجتماعي ٥٢

أمريكا بعيون عربية ٦٠

أمهاتنا وجرس الامتحانات ٦٨

مسجد دونغسي في بكين ٨٠

الوعي الإسلامي

مجلة كويتية شهرية جامعة

تصدرها وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية في دولة الكويت في مطلع كل شهر عربي

العدد ٥٣٩

العام السابع والأربعون

رجب ١٤٣١ هـ

يونيو - يوليو ٢٠١٠ م

رئيس التحرير

فيصل يوسف العلي

سكرتير التحرير

سليمان خالد الرومي

التحرير

تمام أحمد الصباغ

د. طاهر خذيري

عبادة السيد نوح

التنفيذ والجرافيك

أبورواش زكي محمد

الإشراف الفني

الشركة العصرية للطباعة والنشر والتوزيع

المراسلات

رئيس التحرير - مجلة الوعي الإسلامي

صندوق البريد : ٢٣٦٩٧ الصفاة ١٣٠٩٧ - الكويت - هاتف/فاكس: ٢٢٤٧٠١٥٦

فاكس: ٢٢٤٧٣٧٠٩

للإعلان : ١٨٤٠٤٤ داخلي ٣٠٦ - ٣٠١

البريد الالكتروني:

info@alwaei.com

manager@alwaei.com

المجلة غير ملتزمة

بإعادة أي مادة تتلقاها للنشر.

والمقالات لا تعبر بالضرورة

عن رأي الوزارة أو المجلة.

التوزيع

وكيل التوزيع: المجموعة التسويقية لتوزيع الصحف والمطبوعات

هاتف: ٢٤٩١٩٦٢٠ - فاكس: ٢٤٨٣٩٤٨٧

• السودان . الخرطوم - العمارات - شارع ٧٣ - ص.ب ١١١٦ - دار الريان للثقافة والنشر والتوزيع - ت ٧٩٣٢٨٣ (٠٠٢٤٩١١) تقال ٢٩٩٥ (٠٠٢٤٩١٢٣٠) ف ٧٩٣٢٨٤ (٠٠٢٤٩١١) •اليمن - عدن - ص.ب ٦٤٨ - ت ٢٥٥٦٩٢ / ٢٥٥١٧٠ (٠٠٩٦٧٢) ف ٢٥٩١٦٣ - دار ومكتبة ٢٦ سبتمبر •لبنان - شركة الناشرون لتوزيع الصحف والمطبوعات - ت ٢٧٧٠٨٨ / ٢٧٧٠٠٧ ٠١ (٠٠٩٦١) ص.ب ١٨٤/٢٥ •سوريا - دمشق - برامكة - ص.ب ١٢٠٣٥ - ت ٢١٢٦٢٩٨ / ٢١٢٠٣٣٩ (١١ ٠٠٩٦٣) ف ٢١٢٢٥٣٢ - المؤسسة العربية السورية لتوزيع المطبوعات •الأردن - عمان - شركة وكالة التوزيع الأردنية - ص.ب ٣٧٥ . رمز بريدي ١١١١٨ - ت ٤٦٣٠١٩١ / ٤٦٣٠١٩٢ (٠٠٩٦٢٦٩٠٠) ف ٤٦٣٥١٥٢ •مملكة البحرين - المنامة - ص.ب ٣٢٦٢ - ت ٧٢٥١١١ (٠٠٩٧٣) ف ٧١٣٧٦٣ - مؤسسة الأيام للنشر والتوزيع •الإمارات العربية المتحدة ٢٦٦٥٣٩٤ - ٠٠٩٧١٤ - شركة دار الحكمة للنشر والتوزيع •مصر القاهرة - شارع الجلاء . رمز بريدي ١١٥١١ - ت ٥٧٩٦٩٩٧ (٠٠٢٠٢) ف ٣٣٩١٠٩٦ - دار الأهرام •المملكة العربية السعودية - الرياض - ص.ب ٨٤٥٤٠ الرياض ١١٦٧١ - ت ٤٨٧١٤١٤ (٠٠٩٦٦١) ف ٤٨٧١٤٦٠ - الشركة الوطنية الموحدة للتوزيع •المغرب - الدار البيضاء - ص.ب ١٣٦٨٣ منتقى زنقة رحال بن أحمد وزنقة سان ساتس - ٢٠٣٠٠ الدار البيضاء ت ٢٤٠٠٢٢٣ (٠٠٢٠١٢٩) ف ٢٢٤٩٥٥٧ - الشركة الشريفية للتوزيع والصحف •سلطنة عُمان مسقط - ص.ب ٤٧٣ العذيبة . رمز بريدي ١٣٠ - ت ٥٩٧٤٥٦ / ٥٩١٩١٩ (٠٠٩٦٨) ف ٥٩٣٢٠٠ - مؤسسة العطاء للتوزيع •قطر - الدوحة - ص.ب ٦٣٣ ت ٤٣٥٦٠٠١ (٠٠٩٧٤) ف ٤٣٢٥٨٧٤ - دار العروبة للصحافة والطباعة والنشر.

موضوع الغلاف

تأصيل العقيدة في النفوس لا يتم إلا بتحرير العقول من الأفكار الشاذة والأباطيل الزائفة التي تتصادم والفطرة التي فطر الله الناس عليها .

داخل العدد

جائزة الكويت الدولية لحفظ القرآن الكريم	٧
التوكل.. التسليم .. التفويض.. الثقة	١٠
الرقية بين الحل والحرمة	١٩
تجليات الإسراء والمعراج	٣٩
العلامة اللغوي محمود الملاح	٥٦
تعليم الطفل الكلمات الطيبة	٧٥
صداع الشقيقة	٨٦

كلمة العدد

قراءنا الكرام

عرفت الرقية الشرعية منذ عصور الإسلام الأولى، ومع انتشارها في العصور المتأخرة اختلط الحابل بالنابل وعَمَّ الجهل ودخل على خط الرقية الشرعية الثابتة في الكتاب والسنة أناس مشعوذون جهلة حاولوا من ورائها جني مكاسب مادية، مستخدمين أحيانًا الجن والشياطين وأحيانًا اخرى طلاسم وهمهمات ما أنزل الله بها من سلطان.

لقد حاولنا من خلال ملف العدد الذي نضعه بين أيديكم تبيان أسس الرقية الشرعية الصحيحة كما وردت في القرآن والسنة، وكشف زيف الدجالين والمشعوذين، وذلك من خلال عدة موضوعات تجدونها في ثنايا هذا العدد، لتأصيل العقيدة الصحيحة في النفوس .

كما حاولنا أيضًا تسليط الضوء على بعض القضايا المعاصرة التي تهم الفرد المسلم ومنها جراحة التجميل، والاجتهاد المقاصدي والتأسيس للبناء المعرفي، والكيد للغة العربية الفصحى على مدى قرن ونصف من الزمان، إضافة الى عدد من القضايا الأسرية والاجتماعية والفكرية وغيرها.

مرة أخرى نأمل منكم الاستمرار في مدّ جسور التعاون والتواصل فيما بيننا خدمة لديننا وأمتنا وقضايانا العادلة.

«الوعي الإسلامي»

الأسعار والاشتراكات

- داخل الكويت : للأفراد ٧,٥ دنانير ـ للمؤسسات ١٥ دينارًا كويتيًا
- الدول العربية : للأفراد ١٠ دنانير كويتية (أو ما يعادلها).
- دول العالم : للأفراد ٢٠ دينارًا كويتيًا (أو ما يعادلها).
- للمؤسسات : ٢٥ دينارًا كويتيًا (أو ما يعادلها).

ترسل قيمة الاشتراكات في شيك إلى وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية
(الرجاء عدم إرسال مبالغ نقدية)

• الكويت : ٥٠٠ فلس • السعودية : ٧ ريالات • البحرين : ٥٠٠ فلس • قطر : ٧ ريالات • الإمارات : ٧ دراهم • سلطنة عمان: ٥٠٠ بيسة • الأردن : دينار واحد • مصر : ٢ جنيه • السودان : ٥٠٠ جنيه • موريتانيا : ٢٠٠ أوقية • تونس : ٢ دينار • الجزائر : ١٠ دنانير • اليمن : ٧٠ ريالا • لبنان : ٢٠٠٠ ليرة • سورية : ٣٠ ليرة • المغرب : ١٠دراهم • ليبيا : دينار واحد • اوروبا : ١,٥ جنيه استرليني او مايعادله • امريكا ودول العالم : ٣ دولارات أو مايعادلها.

نظمتها وزارة الأوقاف برعاية سمو أمير البلاد

جائزة الكويت الدولية لحفظ القرآن الكريم تجمع بين الأصالة والمعاصرة

التحرير

يحفل العالم الإسلامي بالعديد من الجوائز الدولية لحفظ القرآن مثل جائزة دبي الدولية ومسابقة إيران الدولية والمسابقة العالمية في ماليزيا ومسابقة المغرب، وتتويجًا لجهود دولة الكويت في مجالات حفظ القرآن الكريم وتجويده وتنشيطًا للمنافسة بين أبناء الأمة الاسلامية ودفعهم للتزود من هذا الزاد الروحي والنبع الديني الكريم،أقامت وزارة الاوقاف والشؤون الإسلامية تحت رعاية سمو أمير البلاد خلال الفترة ما بين ١٠ و٢١ مارس الماضي المسابقة الدولية الكبرى لحفظ القرآن الكريم وقراءاته للمرة الأولى.

وفي حفل الافتتاح الذي حضرته كوكبة من مسؤولي الدولة وكبار العلماء وأشهر أهل القراءات وجمع غفير من حفظة القرآن الكريم ومحبيه أكد نائب رئيس مجلس الوزراء للشؤون القانونية وزير العدل وزير الأوقاف والشؤون الإسلامية المستشار راشد الحماد أن التاريخ سيخلد بيد الوفاء رعاية أمير البلاد لجائزة الكويت الدولية للقرآن الكريم، تصديقا لقول النبي ﷺ: «لا حسد إلا في اثنتين: رجل علمه الله القرآن، فهو يتلوه آناء الليل وآناء النهار، فسمعه جار له فقال: ليتني أوتيت مثلما أوتي فلان فعملت مثل ما يعمل، ورجل آتاه الله مالاً فهو يهلكه في الحق، فقال رجل: ليتني أوتيت مثلما أوتي فلان فعملت مثلما يعمل» (البخاري).

وقال الحماد: إن جائزة الكويت الدولية لحفظ القرآن الكريم وقراءته وتجويد تلاوته هي بذرة مباركة غرستها يد الأمير الكريمة، وقد غدت كزرع أخرج شطأه فآزره فاستغلظ فاستوى على سُوقه، مبينا أنه حصاد سنة كاملة عملت فيه عقول مدبرة وأيد عاملة، فما برح أعضاء اللجنة العليا واللجنة التنفيذية يسهرون الليالي في عمل متواصل مؤملين أن يطلع الصبح فتشرق فيه شمس هذه الجائزة.

وأوضح أنها جائزة اصطفي لتحكيمها كبار العلماء، واستضيف لتقويمها أشهر أهل القراءات، وجلس بين أيديهم سفراء الدول الشقيقة، ومهرة البلاد الصديقة، الذين وفدوا على هذه الجائزة من أربعين دولة ما بين خليجية وعربية وإسلامية، من قارات آسيا وإفريقيا وأوروبا لافتا إلى أن مجموع جوائزها بلغ ١٢٠ ألف دينار كويتي.

وأشار إلى أن خصائص الجائزة تدعو للمفاخرة، إذ إنها أول جائزة دولية تجمع بين الأصالة والمعاصرة، فكما أن الحفاظ البررة يتنافسون تنافسا شريفا على جائزة حفظ القرآن الكريم وقراءته وتجويد تلاوته، فكذلك المهندسون يتنافسون على جائزة أفضل مشروع تقني يخدم هذا القرآن الكريم وييسر حفظ آياته، مع ما صاحب ذلك من ورش ومحاضرات قرآنية، حضرها الشرائح المجتمعية والفئات العمرية.

من جانبه قال شيخ المقارئ المصرية ورئيس لجنة التحكيم د.أحمد المعصراوي: إنه ليوم مبارك تتنزل فيه ملائكة الرحمن على هذا الجمع الكريم الذي التقى من مشارق الأرض ومغاربها حول كتاب الله تعالى حفظا وتلاوة وأداء وقراءات، فقد وفق الله تعالى سمو أمير البلاد ليرفع كتاب الله تعالى إلى أفق العزة الربانية، ويحيي السنة المباركة التي أكرمنا بها رب البرية، وهدانا إليها رسول البشرية، ألا وهي جائزة الكويت الدولية للقرآن الكريم، ألا وإن هذه الجائزة انفردت عن غيرها من المسابقات القرآنية الأخرى بفرع القراءات السبع.

ووجه رسالة للفائزين بالقول: أما أنتم أيها المتسابقون الذين ربط الله على قلوبكم فكنتم جندا للقرآن وحملة للوائه، فإننا ندعو الله تعالى أن يحفظكم ذخرا للأمة ويزيدكم توفيقًا ويكثر من أمثالكم.

وقد أعلن رئيس لجنة التحكيم المركزية د.وليد العلي أسماء الفائزين في الجائزة وكانت على الشكل التالي:

أولا: فرع الحفظ

فارس محمد، عمار البشير، علي مختار، محمود مصطفى، أحمد العربي.

ثانيا: القراءات السبع

أحمد العاصي، إسماعيل جميل، أنس الكندري.

ثالثا: التلاوة والترتيل

علي تيل، عباس بشير، محمود أحمد، علي عسكر، محمد حسن.

مجلة «الوعي الإسلامي» تشارك في معرض الكتاب الإسلامي

سكرتير التحرير يكرم راعي المعرض

برعاية سفير الكويت بالقاهرة د.رشيد الحمد والوكيل المساعد للشؤون الثقافية وبحضور مفتي مصر

وزارة الأوقاف تقيم معرضاً لإصداراتها في القاهرة

التحرير

وفد الوزارة في جولة بالمعرض

انطلاقًا من دور وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية في نشر الفكر الإسلامي الهادف وإبراز وجه الحضارة الإنسانية في المحافل الدولية أقامت الوزارة معرضا لإصداراتها في القاهرة أخيرًا برعاية سفير الكويت في جمهورية مصر العربية د.رشيد الحمد والوكيل المساعد للشؤون الثقافية إبراهيم الصالح وبمشاركة مفتي الديار المصرية ونخبة من المفكرين والعلماء.

ويأتي هذا المعرض للتواصل مع المفكرين والمثقفين وأصحاب الرأي ممن لهم باع طويل في خدمة الكتابات الهادفة لاسيما الثقافية والدينية، والحرص على استكتابهم في مجلة «الوعي الإسلامي» وسلسلة «روافد» الثقافية.

وشهد المعرض عرضًا لإصدارات الوزارة المتميزة منها مجلة «الوعي الإسلامي» والموسوعة الفقهية، والمواد الإعلامية التوعوية، وسلسلة «روافد» الثقافية، وحملة «نفائس» الفيلمية.

وقد أشاد الوكيل المساعد للشؤون الثقافية إبراهيم الصالح بالتعاون الثقافي والفكري بين البلدين، مبينًا حرص الوزارة على تفعيل هذا التعاون مع مصر بما تحتويه من كفاءات تسهم في إثراء إصدارات الوزارة المختلفة.

وقال الصالح: إن المعرض ساهم في إبراز صورة الكويت الثقافية والفكرية وحرصها على توضيح وتعليم قيم الإسلام السمحة وبناء عقلية النشء وفق الأسس الإسلامية السليمة، مشيرًا إلى حرص الوزارة على الالتقاء المباشر بأصحاب الفكر والعلم.

قال سكرتير تحرير مجلة «الوعي الإسلامي» سليمان خالد الرومي: إن المجلة حظيت بحضور مكثف في جناحها في معرض الكتاب الإسلامي الذي نظمته جمعية الإصلاح الاجتماعي أخيرا في أرض المعارض تحت رعاية نائب رئيس مجلس الوزراء للشؤون الاقتصادية ووزير الدولة لشؤون التنمية ووزير الدولة لشؤون الإسكان الشيخ أحمد الفهد.

وأوضح الرومي أن ذلك الإقبال الملحوظ على الجناح جاء نتيجة لما حواه من إصدارات المجلة المتنوعة، والتي تسد ثغرة في المكتبة الإسلامية والعربية، إذ تنوعت هذه الإصدارات لتشمل الفكر والثقافة والفقه الإسلامي والأدب العربي والخط وغيرها من العلوم والفنون، كما تضم المجموعة الكاملة المصورة التي تعرض مسيرة المجلة منذ إنشائها وصدور العدد الأول في محرم ١٣٨٥هـ مايو ١٩٦٥م، على أربع أسطوانات مدمجة تحوي كل أعداد المجلة، بالإضافة إلى الكشاف العام بأسماء الموضوعات والكتاب، وتوجت هذه الإصدارات أخيرا بكتاب «مقالات الشيخ محمد الغزالي في مجلة الوعي الإسلامي»، وهي مقالات حصرية نشرت في المجلة ما بين ١٣٨٥-١٤٠٠هـ للشيخ محمد الغزالي المتوفى عام ١٤١٧هـ، وهو الإصدار الذي ترقبه القراء والمثقفون وتلقوه بتلهف منقطع النظير.

ودعا الرومي الباحثين والدارسين في كل المجالات إلى إرسال نتاجهم ليسلك طريقه إلى النشر عبر صفحات المجلة شرط أن يستوفي شروط وضوابط النشر المعمول بها في المجلة والمعروفة لدى القراء.

في الحلقة النقاشية «الصحافة المسؤولة.. ووسائل النهوض- مجلة حراء أنموذجًا»

المحاضرون يؤكدون: الصحافة رافد خير في خدمة الأمة

التحرير

في إطار تعزيز العلاقات الكويتية التركية أقامت مجلة «الوعي الإسلامي» حلقة نقاشية بعنوان «الصحافة المسؤولة.. ووسائل النهوض- مجلة حراء أنموذجا» يوم الأربعاء ٢١-٤-٢٠١٠ في فندق هوليداي إن برعاية الوكيل المساعد للشؤون الثقافية في وزارة الأوقاف الأستاذ إبراهيم الصالح وبحضور نخبة من الإعلاميين والاختصاصيين.

وتناولت الحلقة أربعة محاور جوهرية تمثلت في دور وسائل الإعلام في النهضة، ووسائل الإعلام والتنمية بالقيم، والمسؤولية الاجتماعية لرجل الإعلام، وسبل التعاون بين الصحافة المسؤولة.

وقد أدار الحلقة أستاذ الإعلام في جامعة الكويت د.خالد القحص الذي أكد على أهمية الحلقة باعتبارها رافد خير في طريق الصحافة المسؤولة، موضحا أن الصحافة المسؤولة هي الصحافة الملتزمة التي لها هدف أو رسالة، وهي الصحافة ذات المضمون الذي يخدم الأمة بجميع شرائحها وأطيافها، مبينا أن مثل هذه الحلقات النقاشية باتت ضرورية لأنها على الأقل تعطينا شيئا نتلمس به طريقنا ونحن نتكلم اليوم عن الصحافة.

وأكد رئيس الوفد التركي مصطفى أوزجان الحاجة الماسة لمثل هذه اللقاءات بهدف «التواصل- المعرفة- تبادل الخبرات» لافتا إلى أنه -منذ الستينات في تركيا- وفتح الله كولن سعيا جاهدين مع من سار معهما في هذا الدرب لتشكيل جيل جديد في المجتمع التركي من الرجال والنساء متمسكين بالجذور «الكتاب والسنة» وعندهم الطاقة لكي يواجهوا متطلبات العصر، ومن ثم كان التركيز على التربية والتعليم، وكانت السنوات الماضية التي عشناها منذ نهاية القرن التاسع عشر مريرة، فبدلا من أن نعود إلى هويتنا لجأنا إلى مخارج أخرى حسبناها صحيحة، فالتصقنا بالفكر المادي الذي أضاع الروح لدى الإنسان، والمفرح أنه قد انبثقت في مناطق مختلفة من العالم الإسلامي أنفاس لبعث الروح والنهضة في العالم الإسلامي.

رئيس التحرير ود. القحص والوفد التركي

بدوره قال رئيس تحرير مجلة حراء د. نوزاد صواش إن المجلة فرع مثمر في شجرة وارفة الظلال أصلها ثابت وفرعها في السماء تؤتي أكلها كل حين بإذن ربها، وهي مجلة متواضعة تعبر عن التحية التركية، وتبحث عن الأخوة- المودة- الفكر الأصيل العميق الذي نحتاج إليه في هذا الزمان.

وتابع: قبل ٣٠ سنة عندما صدرت مجلة «رشحة» كان شعارها «قطرة قطرة تكوّن بحرا» كان توزيعها في البداية ٦٠٠٠ نسخة والآن وصل إلى ٨٠٠ ألف نسخة، وأصبحت تتسابق مع الصحف اليومية في نسبة التوزيع فهي بإخلاصها وتجردها أنجبت مجموعة ٨ مجلات شاملة أكاديمية- إسلامية- أطفال- مجلات باللغة الإنجليزية- وحراء آخر العنقود.

وأوضح نوزاد أن حراء لها نكهتها، ولكن الأهم أنها جسر للتواصل واستكشاف العالم العربي من بلد إلى آخر مشيرا إلى أننا امة واحدة تبني القصور- المساجد- المكتبات- الجامعات- المؤسسات العلمية- الإنسان، ولكن دخلت المسافات بيننا، فكيف يمكن أن نكتشف هذا الخير الذي تبعثر بعد انفراط هذا العقد؟ أين نجده؟ كيف نتواصل معه؟ كيف نؤسس شبكة الخير بين عقلاء الأمة؟

وبين نوزاد أن انطلاقة المجلة جاء في شهر رمضان الكريم من عام ٢٠٠٥ كواحدة من سلسلة مجلات تصدرها مجموعة «قاينق» للنشر الثقافي في اسطنبول للإسهام في البناء الحضاري العالمي وإنشاء إنسان متوازن ومجتمع سليم متمنيا أن

العالمية: علاقة الصحافة الملتزمة ببعضها علاقة تكامل لا تنافس

بدران: التمويل والمهنية.. أبرز مشاكل الصحافة الهادفة

المجتمع: الصحافة المسؤولة موضوعة في زاوية التضييق وعدم ممارسة الحرية الولايتي: ضرورة التواصل الايجابي ونحن نتكلم عن الصحافة التي تخدم الأمة

تصدر شهرية أو أسبوعية وأن تصل إلى مرحلة تستطيع أن تفرخ لنا مجلات أخرى تسهم مع شقيقاتها وأخواتها في العالم العربي.

من جانبه قال رئيس تحرير مجلة «العالية» يوسف عبدالرحمن أنه بعدما شبع مجتمعنا بثقافة نور ومهند نتمنى أن تكون علاقتنا بالوعي الإسلامي «علاقة تكامل وليست تناقس»، جسور من المودة والتواصل مع هذه المجلة العريقة التي تعلمنا منها، وأتمنى أن تكون التوصيات عملية وليست إنشائية، أتمنى أن نخرج بثلاث توصيات عملية أفضل من ٣٠ توصية إنشائية.

وأوصى بضرورة تكوين وقف للإعلام الإسلامي لدعمه من خلال الممارسة، كذلك أتمنى أن تكون هناك دعوة تتبناها كل المجلات- رجال المال- الأثرياء- أصحاب القرار- الصحف الإسلامية لتكوين أرضية تنطلق منها الصحافة الإسلامية، أتمنى تشكيل رابطة لهذا الإعلام الإسلامي، فهناك نقص غير عادي في قضية الدورات التدريبية لأن كل يوم فيه جديد، بالإضافة إلى أهمية تطوير الخطاب الإسلامي، من جهة أخرى لفت مدير تحرير مجلة «المجتمع» شعبان عبدالرحمن الانتباه إلى أن هناك رابطة للصحافة الإسلامية تم تأسيسها منذ ٥ سنوات، وأضاف: أتشرف أنني كنت أحد مؤسسيها وهي تضم ٢٧ صحيفة ومجلة إسلامية في العالم العربي من المشرق إلى المغرب، وقد عقدت ٤ مؤتمرات حتى الآن والمؤتمر القادم في بيروت -إن شاء الله- وأدعو من لم يشترك فيها إلى الاشتراك والتواصل معها، وبالفعل صنعت نقلة نوعية في إطار التعاون المهني والفكري وتبادل الخبرات، وأعتقد أن اشتراك مجلات حراء والوعي والعالمية والمجلات الأخرى سيكون إضافة جيدة في سبيل التعاون وتوسيع النشاط.

وتابع: الصحافة المسؤولة مسؤوليتها كبيرة خاصة وأن هناك غيرها كثير، وأعتقد أن هناك سباقا كبيرا بين الإعلام المسؤول وبين هذه الموجات المتكاثرة والمتزايدة من الصحافة غير المسؤولة التي تسهم في تشويه الحقائق وتزييف الوعي، ومع تكاثر وسائل الإعلام وثورة الانترنت والصور المتعددة لوسائل الإعلام تظل الصحافة لها تأثيرها ومفعولها، فهم يشبهون الصحافة بأنها مثل

جانب من الحلقة النقاشية

قطرات الماء التي تسقط تباعا على صخرة قوية قطرة قطرة حتى تخرقها في النهاية، نحن في مؤسساتنا الصحافية وفي العمل الصحافي المسؤول نواجه تحديات كثيرة، كما أن أجواء الحرية الموجودة في الكويت أفرزت صحافة حرة مسؤولة تمارس عملها بكل قوة وحرية وتسهم في بناء النهضة وتشكيل الوعي الإسلامي على امتداد العالم، لكن إذا نظرنا إلى خريطة العالم العربي الممتد نجد أن ألوان الحرية الضعيفة التي تغلب على معظم بلداننا تحد من إيجاد صحافة مسؤولة وتعوق انطلاق الصحافة الموجودة وتضعفها وتضيق عليها في مقابل إفراد مساحات كبيرة للصحافة الأخرى التي تخدم أغراضا وأهدافا ونظريات غير مسؤولة.

وأضاف: من ينظر الآن يجد أن الصحافة المسؤولة أو الإسلامية موضوعة في زاوية التضييق.. زاوية ضعف التمويل.. زاوية من عدم ممارسة الحرية، ويبقى على الصحافة بصفة عامة مسؤولية كبيرة ومتزايدة ومهمة.

بدوره قال الباحث الإعلامي في وزارة الأوقاف د.حسين الجرادي: إن نظرية المسؤولية الاجتماعية لوسائل الإعلام استهدفت وضع ضوابط أخلاقية للصحافة والتوفيق بين حرية الصحافة والمسؤولية الاجتماعية في المجتمعات، فالالتزام تجاه المجتمع يكون من خلال وضع مستويات مهنية للصدق والموضوعية والتوازن وتجنب أي شيء يؤدي إلى الجريمة أو العنف أو الفوضى كما ينبغي أن يكون تعددية تعكس تنوع الآراء والأفكار في المجتمع.

وأوضح الجرادي أن المسؤولية الاجتماعية تجاه الفرد والأسرة والمجتمع والأمة تنصب على الإصلاح والتغيير والبناء الشمولي للأفراد وتوجيه الشعوب في معركة المبادئ والأفكار.

بدورها أكدت نائبة رئيس تحرير مجلة البلاغ سعاد الولايتي ضرورة التواصل الايجابي بين الوسائل الاعلامية لا سيما أن رسالتها واحدة موضحة أهمية العناية بالطرح الموضوعي في مناقشة قضايا مجتمعاتنا.

التوكل.. التسليم.. التفويض.. الثقة

التوكل هو مبدأ الأحوال التي تخص عالم الأمر أو السير الروحاني، بالاعتماد على الله والثقة به، ثم المضي قلبًا في دائرة التبرّي من كل قوة وحول بشري، وفي النتيجة إحالة كل شيء إلى القدير المطلق وبلوغ الاعتماد التام على الله وجدانًا في النهاية.. والذي يلي التوكل ويأتي بعده بخطوتين هو «التسليم».. وبعده بجولة هو «التفويض».. ومنتهاه «الثقة».

فتح الله كولن

التوكل، يعني اعتماد القلب على الله والثقة به كليًا وشعوره بالنفور والامتعاض عن ملاحظة أي قوة ومصدر كان، ولا توكل إن لم يكن اعتمادًا وثقة بهذا المقياس، إذ لا يوصل إلى التوكل الحقيقي طالما أبواب القلب مفتوحة للأغيار.

التوكل، رعاية الأسباب دون خلل ضمن دائرة الأسباب، ومن ثم انتظار تصرف القدرة المطلقة علينا، إذ بعده بخطوتين هي مرتبة «التسليم» التي وصفها كثير من أولياء الحق «كالميت بيد الغسّال»، وبعدها بأقدام يأتي مقام «التفويض» الذي هو إحالة كل شيء إلى الله تعالى وانتظار كل شيء منه، فالتوكل مبدأ والتسليم نتيجته والتفويض ثمرته. وعليه فالتفويض أوسع منهما وهو ملائم للمنتهين، لأن فيه ما هو أبعد من تبرّي الإنسان من حوله وقوته والذي هو مرتبة التسليم والبلوغ إلى أفق «لاَ حَوْلَ وَلاَ قُوَّةَ إلا بالله» والشعور بما فيه من «كنز مخفي» كل آن، وامتلاك خزائن الجنة الخاصة وغناه بها.

وبمعنى آخر: إن سالك الحق يشعر بعجزه وفقره بتذكير ما في وجدانه من نقطة الاستناد ونقطة الاستمداد، وبعد إحساسه بهما يقول «لا أستغني عنك خذ بيدي يا إلهي.. خذ بيدي» ويتوجه إلى منبع القوة والإرادة والمشيئة.

فالتوكل هو اتخاذ الفرد ربه وكيلًا لأجل مصالحه، دنيوية كانت أو أخروية. أما التفويض فهو اسم للاعتراف بالأصالة التي وراء هذه الوكالة بشعور وجداني.

وبتعبير آخر: التوكل أن يعتمد الإنسان على الله وما عنده، ويوصد أبواب القلب دون سواه، ويمكن أن نعني بهذا طرح البدن في العبودية وتعلق القلب بالربوبية.

يقول المرحوم «شهاب» معبرًا عن هذا المعنى:

تَوَكَّلْ عَلَى الرَّحْمَنِ فِي الأَمْرِ كُلِّه
فَمَا خَابَ حَقًّا مَنْ عَلَيْهِ تَوَكَّلا
وَكُنْ وَاثِقًا بِاللهِ وَاصْبِرْ لِحُكْمِه
تَفُزْ بِمَا تَرْجُوهُ مِنْهُ تَفَضُّلا

وأعتقد أن سيدنا عمر رضي الله عنه أراد هذا المعنى في رسالته التي أرسلها إلى أبي موسى الأشعري رضي الله عنه، جاء فيها: «أما بعد، فإن الخير كلّه في الرضا، فإن استطعتَ أن ترضى، وإلاّ فاصبر»(١).

ومن زاوية أخرى فالتوكل اسم للاعتماد على الله، وهو حال الناس عامة، والتسليم هو حال المتنبهين إلى الحياة القلبية والروحية. أما التفويض فهو عنوان عدم التعلق بالأسباب والتدبير، وهو حال أو مقام يخص أخص الخواص، فسالك الحق الذي يسيح في سماء التفويض، حتى لو كان منشغلًا ظاهرًا بالتدبير والأسباب، فهذا الاشتغال من ضروريات وجوده في دائرة الأسباب، ومن لوازم مأموريته تجاه الحق

• مفكر تركي

تعالى، إذ بخلاف ذلك لو اتخذ الأسباب مرتكزًا ومستندًا حقيقة، فإنه يتردى من مرتبة باز سماوي إلى دابّة حشرية تزحف على الأرض.

تذكر كتب المناقب الحادثة الآتية المتعلقة بهذه الملاحظة: أن أحد أولياء الحق لدى انفعاله الشديد في أثناء اتخاذه التدبير ضمن دائرة الأسباب، سمع هاتفا يهتف به:

لا تُدبِّرْ لكَ أمرًا
إنّ في التّدبير هلكى
فَوِّض الأمرَ إلينا
نحنُ أولى لكَ منكا

فإن «ترك التدبير» الذي يعني التجرد من جَلَبة الأسباب وعدم فسح المجال للوسائط في القلب، عمقٌ عظيم، لا يطوله عامة الناس ولا يقدر عليه إلاّ الروّاد الأفذاذ الذين يستمسكون بعلاقتهم مع الحق سبحانه وهم بين الخلق.

إن عدم إعطاء التأثير الحقيقي للأسباب مع التوسل بها هو «توكل» لعامة الناس، و«تسليمٌ» لمن انتبه إلى ما وراء حجب الأشياء، و«تفويضٌ وثقةٌ» لأهل السكينة والأمان كلٌ حسب درجته. وما ألطف ما يقوله الرسول الحبيب ﷺ عندما يربط الإرادة والجهد والعمل والتفويض والتوكل معًا: «لَوْ أَنَّكُمْ كُنْتُمْ تَوَكَّلُونَ عَلَى اللهِ حَقَّ تَوَكُّلِهِ لَرُزِقْتُمْ كَمَا يُرْزَقُ الطَّيْرُ تَغْدُو خِمَاصًا وَتَرُوحُ بِطَانًا»(٢).

وكل فرد يأخذ حظًا من فهم هذا الكلام النبوي حسب درجته..

١- العوام يفهمون منه: الاعتماد على الله بمعناه العام.

التوكل هو اتخاذ الفرد ربّه وكيلاً لمصالحه الدنيوية والأخروية

كما تشير إليه الآية الكريمة ﴿وَعَلَى اللهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾ (إبراهيم: ١٢) ويذكره مولانا الرومي مقتبسًا من الحديث الشريف:

كَز توكُل رهبَرست
این سبب هم سُنّت پیغمبَرست
کُفت پیغمبَر باواز بلند
با توکّل زانوی اُشتر ببند(٣)

أي: مهما كان التوكل مرشدًا ودليلاً، فرعاية الأسباب سنة نبوية. فقد نادى الرسول ﷺ «اعقلها وتوكّل»(٤).

٢- أما الذين يمضون حياتهم في سفوح القلب والروح ويتبرّأون من حولهم وقوتهم مستسلمين إلى حول الله وقوته، فيفهمون منه: حال الميت بيد الغسّال، وتذكّرنا به الآية الكريمة: ﴿وَعَلَى اللهِ فَتَوَكَّلُوا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ (المائدة: ٢٣).

٣- أما الذين يجولون في ذرى الفناء في الله والبقاء بالله، فهؤلاء يفهمونه «تفويضًا» كسيدنا إبراهيم عليه السلام الذي قال: «حَسْبِيَ اللهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ» حِينَ أُلْقِيَ فِي النَّارِ(٥)، أي علمُه بحالي يُغني عن سؤالي. أو يفهمونه «ثقة» كما هو الحال لدى مفخرة الإنسانية ﷺ الذي قال ﴿لاَ تَحْزَنْ إِنَّ اللهَ مَعَنَا﴾ (التوبة: ٤٠) في ثقة تامة واطمئنان بالغ حينما سقطت ظلال الأعداء على فم الغار وارتجت جنبات «ثور» بتهديداتهم الرهيبة التي أرعبت الجميع، والقرآن الكريم يبين هذه الحقيقة بقوله تعالى: ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللهِ فَهُوَ حَسْبُهُ﴾ (الطلاق: ٣).

التفويض أسمى المراتب، والثقة أعلى المقامات، فمن بلغ هذه المرتبة وفّى هذا المقام حقه، لا يذوب بعقله ومنطقه وعقيدته، بل أيضا بجميع مشاعره الظاهرة والباطنة في أوامر الحق تعالى وإشعاراته، حتى يصبح مرآة مجلوة لله تعالى.

ولهذه المرتبة التي تفوق المراتب، أماراتها الخاصة بها، نذكر منها:

١- السكون والطمأنينة برؤية التدبير ضمن التقدير.

٢- العلم بأن إرادته ظلّ للإرادة الحقيقية والتوجه إلى الأصل.

٣- استواء القهر واللطف لديه وإبداء الرضا بجميع كيانه بالقضاء.

و«صاحب المنهاج» يرسم خطوط التفويض كالآتي:

وكلتُ إلى المحبوب أمري كلّه
فإن شاء أحياني وإن شاء أتلفا

وكلام جميل آخر من «واصف اندروني»:

لابد أن سيظهر حكم القدر، ففوّض الأمر إلى الحق ولا تتألم ولا تتكدر

ومن أجمل ما قيل في التفويض هو ما قاله إبراهيم حقي في قصيدته «تفويض نامه» - رسالة التفويض- التي مطلعها:

الحق تعالى يجعل الشرور خيرات
لا تظنن يفعل غير ذلك
فالعارف يشاهده
لنرَ مولاي ما يفعل
ما يفعله هو الأجمل
كن متوكلا على الحق
وفوض الأمر إليه ترح نفسك
كن صابرا راضيًا
لنرَ مولاي ما يفعل
ما يفعله هو الأجمل(٦).

ربّنا عليك توكلنا وإليك أنبنا وإليك المصير، وصلى الله على سيدنا محمد سيد المرسلين وعلى آله وأصحابه أجمعين.

الهوامش

(١) مدارج السالكين لابن القيم، ٢/١٧٠.
(٢) الترمذي، الزهد ٣٣، ابن ماجه، الزهد ١٤، المسند للإمام أحمد، ١/٣٠،٥٢، كتاب الزهد لابن المبارك، ١٩٧ (والنص منه).
(٣) مثنوي معنوي لمولانا جلال الدين (فارسي)، ١/٥٠، باب: ٩١٢.
(٤) «جاء رجل على ناقة له، فقال: يا رسول الله هل أدعها وأتوكل؟ فقال: اعقلها وتوكل». (الترمذي، صفة القيامة ٦٠، الصحيح لابن حبان، ٢/٥١٠).
(٥) انظر: البخاري، تفسير القرآن آل عمران، شعب الإيمان للبيهقي ٢/٣٠، حلية الأولياء لأبي نعيم ١/١٩.
(٦) «معرفت نامه» لإبراهيم حقي (تركية)، ١/١٤٩.

جراحة التجميل

د.سيد حبيب

انتشرت في الآونة الأخيرة جراحة التجميل على نظام واسع واختلط الأمر على كثير من الناس وهل هي جائزة شرعاً أم مرمة؟ وما الفرق بين الجراحة التجميلية من أجل التداوي والجراحة التجملية من أجل زيادة الجمال ؟ كل هذه الأمور مطروحة على بساط هذا البحث من خلال هذا الموضوع.

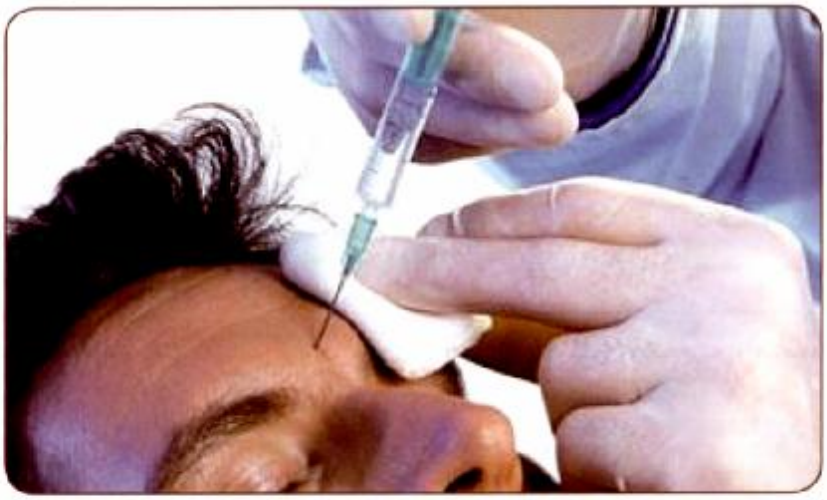

عناصر البحث

١-المراد بجراحة التجميل.

٢-أقسامها من حيث الحاجية والتحسينية.

٣-الحكم الشرعي لكل نوع وأقوال العلماء فيه مع الأدلة والمناقشة والترجيح.

٤-نقل فتاوى العلماء المعاصرين في ذلك.

أولًا: المراد بها

هي «جراحة تجري لتحسين منظر جزء من أجزاء الجسم الظاهرة أو وظيفته، إذا ما طرأ عليه نقص أو تلف أو تشويه» (١).

ثانيًا: أقسامها:

تنقسم إلى قسمين :

القسم الأول: الجراحة الحاجية أو الضرورية، وهي جراحة تجميل بهدف التداوي والمعالجة الطبية؛ ويمكن تقسيم الداعي لفعلها إلى سببين:

السبب الأول: السبب الضروري، وهو جملة من الأسباب والموجبات التي يقصد بها إزالة عيب في خلقة، أو تشوه، أو تلف، أو نقص، لتوفر الضرورة التي تحفظ بها النفس من الهلكة.

السبب الثاني: السبب الحاجي: وهو جملة من الأسباب والموجبات التي يقصد بها إزالة العيوب والتشوهات، وذلك لتوفر الحاجة التي تلحق بالمكلف ضررًا حسيًا أو معنويًا، ولا تصل إلى حد الضرورة الشرعية.

والأطباء يصفون هذه العمليات بكونها ضرورية، ولا يفرقون بين الضرورة والحاجة التي لا تبلغ مقام الضرورة، ذلك أنهم ينظرون إليها بدافع الحاجة إلى فعلها.

وتنقسم العيوب (الحاجية أو الضرورية) إلى قسمين:

أحدهما عيوب خِلقية: وهي عيوب ناشئة في الجسم من سبب فيه، لا من سبب خارج عنه، ويشمل ذلك ضربين من العيوب، وهما:

الضرب الأول: العيوب التي ولد بها الإنسان. ومنها:

١- الشق في الشفة العليا (الشفة المفلوجة).

٢- التصاق أصابع اليدين والرجلين.

٣- انسداد فتحة الشرج.

٤- شذوذ الحويضة الخلقي، ومن أهمها ازدواج حويضة الكلية.

٥- شذوذ الحالب الخلقي (الازدواج الحالبي، ارتكاز الحالب الهاجر، الحالب خلف الوريد الأجوف، الحالب العرطل الخلقي، القيلة الحالبية).

الضرب الثاني: العيوب الناشئة من الآفات المرضية التي تصيب الجسم، ومنها:

١- انحسار اللثة بسبب الالتهابات المختلفة.

٢- أورام الحويضة والحالب السليمة.

٣- عيوب صيوان الأذن بسبب ما يصيبه من الأمراض، كالجذام والسرطان.

٤- دوالي الساقين الناشئة عن الوقوف طويلًا أو الحمل.

• باحث شرعي في الموسوعة الفقهية بوزارة الأوقاف الكويتية

الثاني: عيوب مكتسبة (طارئة).

وهي العيوب الناشئة بسبب من خارج الجسم، كما في العيوب والتشوهات الناشئة من الحوادث والحروق. ومن أمثلتها:

١- كسور الوجه الشديدة التي تقع بسبب حوادث السير.

٢- تشوه الجلد بسبب الحروق.

٣- تشوه الجلد بسبب الآلات القاطعة.

٤- التصاق أصابع الكف بسبب الحروق.

٥- زوال شعر الرأس بحادث، أو مرض(٢).

القسم الثاني: جراحة التجميل الاختيارية) التحسينية:

وهي جراحة التجميل بقصد الزينة، وهي ما تسمى بجراحة «تحسين المظهر، وتجديد الشباب!».

والمراد بتحسين المظهر: تحقيق الشكل الأفضل، والصورة الأجمل، دون وجود دوافع ضرورية أو حاجية تستوجب التدخل الجراحي.

وأما تجديد الشباب فهو إزالة آثار الهرم والشيخوخة، فيبدو الهَرِمُ شابًا فتيا!.

وتنقسم هذه العمليات إلى قسمين:

الأول: عمليات الشكل، ومن أشهر صورها:

١- تجميل الأنف بتصغيره، وتغيير شكله من حيث العرض والارتفاع.

٢- تجميل الذقن، وذلك بتصغير عظمها إن كان كبيرًا، أو تكبيره بوضع ذقن صناعية تلحم بعضلات، وأنسجة الحنك.

٣- تجميل الثديين بتصغيرهما إذا كانا كبيرين، أو العكس.

٤- تجميل الأذن بردها إلى الوراء إن كانت متقدمة.

٥- تجميل البطن بشد جلدتها وإزالة القسم الزائد بسحبه من تحت الجلد جراحيا.

التجميل الزائد من أجل زيادة الحسن محرم ولا يجوز شرعاً

الثاني: عمليات التشبيب (تجديد الشباب)، وتجرى لكبار السن، ومن أمثلتها:

١- شد تجاعيد الوجه واليدين والرجلين الناتجة عن فقدان مرونة الجلد، وقلة حيوية بعض خلاياه، فتبدو ثنيات خفيفة على سطح البشرة.

٢- تجميل الأرداف، وذلك بإزالة المواد الشحمية في المنطقة الخلفية العليا، أو المنطقة الجانبية من الأرداف ثم تشد جلدتها، ويهذب حجمها بحسب الصورة المطلوبة.

٣- تجميل الساعد، وذلك بإزالة القسم الأدنى من الجلد والشحم.

٤- تجميل الحواجب، وذلك بسحب المادة الموجبة لانتفاخها، نظرًا لكبر السن وتقدم العمر(٣).

ثالثًا: الحكم الشرعي لكل نوع وأقوال العلماء فيه مع الأدلة والمناقشة والترجيح

حكم النوع الأول: جراحة التجميل الحاجية أو الضرورية:

هذا النوع من الجراحة الطبية وإن كان مسمّاه يدل على تعلقه بالتحسين والتجميل إلا أنه يقصد به التداوي والمعالجة الطبية، وتوافرت فيه الدوافع الموجبة للترخيص بفعله، ومن ثم فإنه يشرع التوسيع على المصابين بهذه العيوب بالإذن لهم في إزالتها بالجراحة اللازمة.

وذلك للأدلة التالية:

١- عموم الأحاديث التي تدل على مشروعية التداوي والمعالجة الطبية من سائر الأمراض، وما ذكر من الأمراض في جراحة التجميل بقصد التداوي داخل في هذا الجواز، سواء أكان السبب الداعي له ضروريا أم حاجيا، ومن هذه الأحاديث:

أ- حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «ما أنزل الله داء، إلاّ أنزل له شفاء»(٤).

ب- حديث عبدالله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «تداووا؛ فإن الله عز وجل لم يضع داء إلا وضع له دواءً، غير داء واحد: الهرم»(٥).

ج-قال جابر رضي الله عنه: «إن رسول الله ﷺ كوى سعد بن معاذ في أكحله مرتين»(٦).

٢- يجوز فعل الجراحة الطبية إذا وجد سبب مبيح لفعلها، وجراحة التجميل بقصد التداوي داخلة فيها بجامع وجود الحاجة في كلٍ.

٣- قياسُ جراحة التجميل بقصد التداوي على جواز قطع العضو إذا وقعت فيه الآكلة، وقد نص الفقهاء على جوازه، بجامع وجود الحاجة في كلٍ.

٤- أن هذه العيوب تتضمن ضررًا حسيا ومعنويا، وهو موجب للترخيص بفعل الجراحة، لأن «الضرر يزال» ولأنها حاجة، والحاجة تنزل منزلة الضرورة للقاعدة الفقهية القائلة إن: «الحاجة تنزل منزلة الضرورة، عامة كانت أو خاصة».

٥- ولأن في ترك التداوي في مثل هذه الحالات مشقة وعنتًا، والشريعة الإسلامية قائمة على اليسر، ودفع المشقة عن المكلف، وذلك للقاعدة الفقهية التي تنص على أن: «المشقة تجلب التيسير».

٦- ولأنه لا يعتبر التدخل الجراحي في مثل هذه الحالات تغييرًا للخلقة الإلهية التي دلت النصوص الشرعية على تحريم المساس بها، وذلك لما يأتي:

أ- أن هذا النوع من الجراحة وجدت فيه الحاجة الداعية للتغير، فأوجبت استثناءه من النصوص الموجبة للتحريم.

ب- أن هذا النوع من الجراحة لا يقصد به تغيير الخلقة عمدًا، إنما يقصد به التداوي، والتجميل جاء تبعًا.

وبناء عليه: فإنه لا حرج على الطبيب الجراح، ولا على المريض في فعل عمليات التجميل الحاجية بهدف التداوي والمعالجة.

ويعتبر جواز إزالة العيوب الخلقية

في هذا النوع مبنيًا على وجود الحاجة الداعية إلى فعله.

وأما العيوب الحادثة بسبب الحروق والحوادث ونحوها، فإنه تجوز إزالتها بدون ذلك الشرط، اعتبارًا للأصل الموجب لجواز مداواة نفس الحرق والجرح.. والله أعلم (٧).

ثانيًا: حكم عمليات التجميل الاختيارية (التحسينية):

هذا النوع من الجراحة محرم شرعًا؛ لأنه لا يشتمل على أسباب علاجية ضرورية أو حاجية، بل إن الغاية منه هو التجميل المحض، والعبث بالخلقة الإلهية، والتدليس، واتباع الشهوات والأهواء، والاستسلام لحبائل الشيطان، وذلك للأدلة التالية:

١- قوله تعالى -حكاية عن إبليس لعنه الله ﴿وَلَأُضِلَّنَّهُمْ وَلَأُمَنِّيَنَّهُمْ وَلَآمُرَنَّهُمْ فَلَيُبَتِّكُنَّ آذَانَ الْأَنْعَامِ وَلَآمُرَنَّهُمْ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ اللَّهِ وَمَن يَتَّخِذِ الشَّيْطَانَ وَلِيًّا مِّن دُونِ اللَّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُّبِينًا﴾ (النساء: ١١٩).

وجه الدلالة: أن الآية دالة على أن تغيير خلق الله من تزيين الشيطان وغوايته لأوليائه، وجراحة التجميل التحسينية تشتمل على تغيير خلق الله والعبث فيها حسب الأهواء والرغبات، فهي داخلة في المذموم شرعًا، وتعتبر من جنس المحرمات التي يسول الشيطان فعلها للعصاة من بني آدم.

٢- حديث ابن مسعود رضي الله عنه أنه قال: «لعن الله الواشمات(٨)، والمستوشمات، والمتنمصات(٩)، والمتفلجات(١٠) للحسن المغيرات خلق الله تعالى..» (متفق عليه)(١١).

وجه الدلالة: أن الحديث دل على لعن من فعل هذه الأشياء، وعلل ذلك بتغيير الخلقة، وحقيقته جمع بين طلب الحسن، وتغيير خلق الله، وهذان المعنيان موجودان في جراحة التجميل التحسينية؛ لأنها تغيير لخلق الله تعالى بقصد الزيادة في الحسن والجمال دون وجود موجب طبي يبيح فعلها، فهي إذن داخلة في عموم اللعن، فكانت محرمة.

قال الطبري- رحمه الله-: «لا يجوز للمرأة تغيير شيء من خلقتها التي خلقها الله عليها بزيادة، أو نقص، لالتماس الحسن لا للزوج ولا لغيره، كمن تكون مقرونة الحاجبين فتزيل ما بينهما توهم البلج أو عكسه، ومن تكون لها سن زائدة فتقلعها، أو طويلة فتقطع منها، أو لحية أو شارب أو عنفقة فتزيلها بالنتف، ومن يكون شعرها قصيرا أو حقيرا فتطوله، أو تغززه بشعر غيرها، فكل ذلك داخل في النهي، وهو من تغيير خلق الله تعالى.. ويستثنى من ذلك ما يحصل به الضرر والأذية، كمن يكون لها سن زائدة، أو طويلة تعيقها في الأكل، أو إصبع زائدة تؤذيها أو تؤلمها فيجوز ذلك»(١٢).

٣- قياس جراحة التجميل التحسينية على الوشم، والوشر (وهو تحديد الأسنان)، والنمص المنهي عنها، بجامع تغيير الخلقة طلبًا للحسن والجمال في كلٍّ.

٤- أن هذا النوع من الجراحة فيه تزوير للحقيقة، وغش وتدليس، فكان محرمًا.

٥- أنه يترتب على فعل هذا النوع من الجراحة ارتكاب بعض المحظورات، ومنها:

أ- استخدام المخدر في هذه العمليات، سواء كان عاما أو موضعيا، ومعلوم أن التخدير محرم إلا لضرورة، أو حاجة معتبرة شرعًا، وهذا النوع من الجراحة لا يصل إلى حد الضرورة، أو الحاجة المبيحة لتعاطي المخدر، فضلًا عن كون الهدف المقصود منها محرمًا شرعًا؛ فيكون التخدير حينئذ محرمًا.

ب- أن فعل هذا النوع من الجراحة يؤدي إلى كشف العورة، ولمسها، ومباشرتها لغير ضرورة، ويؤدي إلى معالجة الرجال للنساء، والعكس دون ضرورة طبية، وكل ذلك فاسد شرعًا.

٦- أن هذا النوع من الجراحة لا يخلو من أضرار ومضاعفات جانبية سلبية، فقد ورد في الموسوعة الطبية الحديثة(١٣) ما نصه: «..فعمليات التجميل الاختيارية غير محققة النتائج، ومن الخير ترك الإغراق في إجرائها، أو المبالغة في التنبؤ بنتائجها».

وبناء على ما تقدم من الأدلة النقلية والعقلية، ونظرًا لما يتضمنه هذا النوع من الجراحة من التغيير لخلق الله، والعبث بالنفس الإنسانية، والتساهل في صيانتها، والتعدي على كرامتها، دون وجود ضرورة أو حاجة طبية معتبرة، فإنه يحرم فعله والإقدام عليه من قبل الطبيب الجراح والشخص الطالب، وتعتبر الدوافع التي يعتذر بها من يفعله من كون الشخص يتألم نفسيا بسبب عدم تلبية رغبته بفعل هذا النوع من الجراحة غير كافية في الترخيص له بفعله.

والحق أن علاج هذه الأوهام والوساوس إنما هو بغرس الإيمان في القلوب، وزرع الرضا عن الله تعالى فيما قسمه من جمال المظهر والصورة، والمظاهر ليست هي الوسيلة لبلوغ الأهداف والغايات النبيلة، وإنما يدرك ذلك بتوفيق الله تعالى، ثم بالتزام شرعه والتخلق بالآداب ومكارم الأخلاق (١٤).

رابعا: فتاوى بعض العلماء المعاصرين

فتاوى العلماء المعاصرين متفقة على جواز النوع الأول من جراحة التجميل (الحاجية أو الضرورية) وتحريم النوع الثاني (جراحة التحسين)، وهذه بعض النقولات عنهم:

١- فضيلة الشيخ محمد بن صالح العثيمين- رحمه الله: التجميل نوعان:

تجميل لإزالة العيب الناتج عن حادث أو غيره.. وهذا لا بأس به ولا حرج فيه، لأن النبي ﷺ «أذن لرجل قطعت أنفه في الحرب أن يتخذ أنفًا من ذهب»(١٦).

والنوع الثاني: هو التجميل الزائد، وهو ليس من أجل إزالة العيب بل لزيادة الحسن.. وهو محرم ولا يجوز؛ لأن الرسول ﷺ «لعن النامصة والمتنمصة والواصلة والمستوصلة والواشمة والمستوشمة»، لما في ذلك من إحداث التجميل الكمالي الذي ليس لإزالة العيب»(١٥).

٢- فضيلة الشيخ صالح بن فوزان الفوزان: التجميل المستعمل في الطب ينقسم إلى قسمين: أحدهما: تجميل بإزالة العيب الحاصل على الإنسان من حادث أو غيره، فهذا لا بأس به، ولا حرج فيه، لأن النبي ﷺ «أذن لرجل قطع أنفه في الحرب أن يتخذ أنفًا من ذهب»(١٦).

٣- لجنة الفتوى الكويتية: يجوز إجراء جراحة تجميل لتحسين أداء عضو من الأعضاء لوظيفته التي خلق لها إذا قصر من أداء وظيفته المعتادة (١٧).

٤-الشيخ جادالحق علي جادالحق: يجوز إجراء عملية جراحية لإبراز ما استتر من أعضاء الذكورة أو الأنوثة، بل إنه يصير واجبًا باعتباره علاجًا متى نصح بذلك الطبيب الثقة، ولا يجوز مثل هذا لمجرد الرغبة في تغيير نوع الإنسان من امرأة إلى رجل أو من رجل إلى امرأة (١٨).

٥-فتوى اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء في رجل برز له ثديان، وسأل عن حكم عملية جراحية لإزالته. الجواب: يجوز لك إجراء عملية التجميل لإزالة هذا البروز إذا غلب على الظن نجاح العملية، ولم ينشأ ضرر يزيد على فائدتها أو يساويه(١٩).

هذا ما تيسر جمعه في هذه المسألة، والله تعالى أعلم، وصلى الله على نبينا وقدوتنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، والحمد لله رب العالمين.

الهوامش

(١) انظر: الموسوعة الطبية الحديثة لمجموعة من الأطباء (٤٥٤/٣)، أحكام الجراحة الطبية للشيخ الشنقيطي ص ١٧٣.

(٢) انظر: أحكام الجراحة الطبية ص (١٧٤-١٧٥)؛ الأحكام الطبية المتعلقة بالنساء ص(١٨٦)؛ الموسوعة الطبية الحديثة ص(٤٥٤).

(٣) انظر: أحكام الجراحة الطبية للشنقيطي ص(١٨١-١٨٣)؛ الأحكام الطبية المتعلقة بالنساء ص(١٩٧-١٩٨)، الموسوعة الطبية الحديثة ص(٤٥٤-٤٥٥)، أحكام جراحة التجميل للدكتور محمد عثمان شبير ص (٦٣-٦٩).

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه (١١/٧-١٢).

(٥) أخرجه الإمام أحمد في مسنده (٢٧٨/٤) وزاد: «علمه من علمه، وجهله من جهله»، والترمذي في سننه (ح/٢٠٨٣) بنحوه، وقال: «حسن صحيح».

(٦) أخرجه ابن ماجة في سننه (ح/٣٤٩٤) وأخرجه مسلم بمعناه (ح/٢٢٠٨).

(٧) انظر: أحكام الجراحة الطبية ص(١٧٥-١٧٧)؛ الأحكام الطبية المتعلقة بالنساء ص(١٨٧-١٨٩).

(٨) الوشم: هو أن يُفرزَ الجلدَ بإبرة، ثم يحشي بكحل أو نيل، فيزرق أو يخضر، وقد وَشَمَتْ تَشِمُ وَشْما فهي واشمة، والمستوشمة التي يُفعَل بها ذلك. النهاية لابن الأثير (٤١٦/٥).

(٩) المتنمصة: هي التي تطلب النماص، والنامصة التي تفعله، والنماص: إزالة شعر الوجه بالمنقاش، ويسمى المنقاش منماصا كذلك، ويقال: إن النماص يختص بإزالة شعر الحاجبين لترفيعهما أو تسويتهما. انظر: فتح الباري للحافظ ابن حجر(٣٧٧/١٠).

(١٠) المتفلجة: هي التي تطلب الفلج أو تصنعه، والفلج: انفراج ما بين الثنيتين، والتفلج: أن يفرج بين المتلاصقين بالمبرد ونحوه، وهو مختص عادة بالثنايا والرباعيات، ويستحسن من المرأة، فربما صنعته المرأة التي تكون أسنانها متلاصقة لتصير متفلجة، وقد تفعله الكبيرة توهم أنها صغيرة، لأن الصغيرة غالبا تكون مفلجة جديدة السن، ويذهب ذلك في الكبر.. انظر فتح الباري للحافظ ابن حجر(٣٧٢/١٠).

(١١) فتح الباري للحافظ ابن حجر (٢٧٧/١٠).

(١٢) صحيح البخاري (ح/٥٩٣١)، صحيح مسلم(١٠٥/١٤).

(١٣) (٤٥٥/٣).

(١٤) انظر: أحكام الجراحة الطبية ص(١٨٣-١٨٧)؛ الأحكام الطبية المتعلقة بالنساء ص(١٩٨-٢٠٢)؛ شرح صحيح مسلم للإمام النووي (١٠٢/١٤-١٠٧)؛ فتح الباري للحافظ ابن حجر (٣٤٨/١٠ وما بعدها).

(١٥) فتاوى المرأة المسلمة، من فتاوى الشيخ ابن عثيمين، ترتيب: أشرف عبدالمقصود (٤٧٨/١-٤٧٩).

(١٦) المنتقى من فتاوى الشيخ صالح بن فوزان (٣٣٨/٥).

(١٧) مجموعة الفتاوى الشرعية بالكويت (٣٢٥/٢).

(١٨) فتاوى الأزهر(٣٧٨/٤).

(١٩) فتاوى إسلامية من فتاوى اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء ص(٤١٣).

وزير الأوقاف والشؤون والمقدسات الإسلامية الأردني د.عبدالسلام العبادي لـ «الوعي الإسلامي»:

الدين هو الذي يهذب السياسة

حوار: صابر رمضان

أكد وزير الأوقاف والشؤون والمقدسات الإسلامية الأردني د.عبدالسلام العبادي أن الأمة الاسلامية بخير، لكنها تحتاج إلى جهود كثيرة مخلصة من أبنائها في مجالات عدة، خاصة في موضوع بناء الذات على مستوى بناء القوة والبناء الاقتصادي، ومتابعة الأجيال من الجانب التربوي والثقافي، وطالب بتحقيق اكتفاء ذاتي وتنمية شاملة، وأوضح العبادي أن التجارة البينية بين دول العالم الإسلامي تجارة محدودة للغاية الى الآن ولاتتجاوز ٨ في المائة من إجمالي التجارة بهذه الدول مما يسبب ضعفا لاقتصاد الأمة، وأكد العبادي أنه لا عراك بين الدين والسياسة، شريطة ألا يكون الدين مطية لتحقيق مآرب سياسية، فالسياسة تكون في خطر دون الدين، فإذا كان السياسي بلا دين فلن ننتظر منه إلا سياسة ميكافيللية غير أخلاقية، وعن دور الأوقاف الأردنية في القدس أشار العبادي إلى أن دورها هو الدور الرئيسي في قضية المقدسات، وإدارة الوقف هناك ادارة أردنية كاملة تتبع وزارة الأوقاف الأردنية، وأشاد وزير الأوقاف الأردني بجهود دولة الكويت حكومة وشعبا في دعم مشروعات كثيرة في القدس الشريف، مثل دار الأيتام الاسلامية وغيرها من المشروعات، وثمن د.العبادي الدور الكويتي في دعم النشاطات الاسلامية سواء داخل الأردن أو فلسطين أو أي مكان آخر في العالم الإسلامي، «الوعي الاسلامي» التقت به.. واليكم نص الحوار:

● بداية.. ماذا عن رؤيتكم لواقع الأمة الإسلامية؟

– يا سيدي.. الأمة الإسلامية إن شاء الله بخير، نعم تحتاج إلى جهود كثيرة مخلصة في مجالات عديدة، خاصة في موضوع بناء الذات على مستوى بناء القوة والبناء الاقتصادي، ومتابعة الأجيال من حيث البناء التربوي والثقافي، لكن بحمد الله هناك جهود كبيرة على مستويات عديدة تحتاج إلى تفعيل وتعميق، وإن شاء الله يكون في ذلك خير كبير بعون الله تعالى.

● إذن.. ما أهم الآليات التي تراها لنهضة الأمة الإسلامية من عثراتها؟

– الأمة الإسلامية لابد أن يكون أي عمل لتحقيق نهضتها يغطي كل آفاق حياتها، لابد أولًا من البناء التربوي الثقافي الدقيق للأجيال، لابد من البناء الاقتصادي الشامل للمجتمعات، بمعنى أن نحقق اكتفاءً ذاتيًا ونحقق تنمية شاملة، وهذا يثير قضايا في غاية الأهمية في مجال التكامل الاقتصادي بين الدول العربية والإسلامية وما يسمى بالأسواق المشتركة وما يسمى بخطط التعاون الثنائي أو الجماعي في المجالات الاقتصادية، أيضًا على مستوى التكامل بكل ظروف الحياة بين أبناء الأمة الإسلامية، فمن الواضح على سبيل المثال أن التجارة البينية بين دول العالم الإسلامي تجارة محدودة للغاية، لا تتجاوز ٨٪ من تجارة هذه الدول، وفي تخطيط منظمة المؤتمر الإسلامي رفع هذه النسبة إلى ٢٠٪ ويعتبر هذا إنجازًا كبيرًا إذا استطاعوا تحقيقه، وغريب أن يكون هناك تفعيل لهذا الأمر بنسب أعلى من ذلك لكن حتى الوصول إلى نسبة ٢٠٪ فإنها تتعثر، فهناك آفاق واسعة لتحقيق نهضة بين الدول.

● كنت أمينا عاما لمجمع الفقه الإسلامي.. فماذا عن تقييمكم للمجامع الفقهية الإسلامية وما خطة هيكلة المجمع وتطويره إبان توليكم الأمانة العامة له؟

– لها دور كبير لكنها تحتاج إلى مزيد من التفعيل والتخطيط وإلى متابعة من أجل أن تحقق هذه المجامع ما أنيط بها من مسؤوليات، ومنذ أن توليت الأمانة العامة لمجمع الفقه الإسلامي الدولي قمت بوضع مشروع لتطويره لتحقيق المعنى الذي ورد في قرارات مؤتمر مكة الاستثنائي عام ٢٠٠٥، وقد نص على أن مجمع الفقه الإسلامي يجب أن يكون مرجعية فقهية للأمة وينص على أن من واجبه أن يقوم بعملية التعريف بالإسلام على أساس الوسطية والاعتدال، وأن يقوم أيضا بالتنسيق بين جهات الفتوى، وأن يقوم بمواجهة الفكر المتطرف، وأن يقوم بمهام عديدة نص عليها النظام الأساسي

الذي تم وضعه في عام ٢٠٠٦ ووافق عليه مؤتمر وزراء خارجية الدول الإسلامية في «باكو» بأذربيجان، والخطة تقوم على ملاحظة كل القضايا والأهداف والوسائل التي نص عليها النظام الأساسي والتي وردت أيضًا في مؤتمرات القمة ومؤتمرات وزراء الخارجية، بحيث يصبح هذا المجمع مؤسسة مرجعية فقهية للأمة، ومؤسسة اجتهاد جماعي متقدمة تنظر في كل القضايا الحادثة التي تقع على مستوى الحياة المعاصرة، وأيضًا يتصدى لموضوع التنسيق بين جهات الفتوى، مثل كل ما يتعلق بالاقتصاد الإسلامي والمصرفية الإسلامية، خاصة في ظل الأزمة المالية العالمية التي تنشب مخالبها في العالم كله. وقد اقترح لتحقيق هذا التنسيق ومحاربة فوضى الفتاوى أن يوضع على موقع الإنترنت إجابة كاملة لكل القضايا التي يسأل عنها المسلم بما يجعل مجموعا شاملا وعاما للفتاوى يكون الوصول إليه ميسرًا لكل من يرغب من خلال شبكة الإنترنت، وأيضًا تطبع هذه الفتاوى وتوزع على نطاق واسع، بالإضافة إلى إعداد المادة العلمية لمواجهة التطرف، والحوار الداخلي بين المذاهب الإسلامية بهدف ترسيخ وحدة الأمة والابتعاد عن أي مظاهر تؤدي للصراع بين أفرادها، بالإضافة إلى حوار الحضارة ومواجهة ما يسمى بـ «الإسلاموفوبيا» والطعون التي توجه لهذا الدين والرد عليها بأسلوب علمي وموضوعي، بالإضافة إلى التعريف بالصورة المشرفة لهذا الدين وكشف الممارسات الخاطئة التي ترتكب باسمه إلى غير ذلك من مشروعات وقضايا.

● ما مدى علاقتكم بمنظمة «الإيسيسكو» سواء على مستوى المجمع أو الوزارة؟

– علاقتنا متميزة مع منظمة الإيسيسكو سواء على مستوى مجمع الفقه الدولي الذي كنت أمينًا له، والآن على مستوى وزارة الأوقاف والشؤون والمقدسات الإسلامية، وحقيقة أن «الإيسيسكو»

التنمية تقتضي توطين التكنولوجيا والمعرفة في بلاد المسلمين

مهتمة بالشأن الثقافي بكل أبعاده، مهتمة بالقدس، مهتمة أيضًا بموضوع الحوار «حوار المذاهب والحضارات» وبالتالي نقاط الالتقاء واسعة مع الإيسيسكو، وهناك تعاون مشترك، وكانت هناك اتفاقية موقعة بين مجمع الفقه الدولي وبين الإيسيسكو لكثير من مجالات العمل المشترك، وكان أمين عام مجمع الفقه الإسلامي رئيس المجلس الاستشاري العالي أو العالمي للحوار بين المذاهب الإسلامية، وبالتالي العلاقة مع الإيسيسكو عملية في غاية الأهمية وهي منظمة نشطة وفاعلة وتحظى برئاسة وإدارة د.عبدالعزيز التويجري وهو من الشخصيات العلمية المتميزة في هذا المجال.

● الأردن يقع على عاتقه أن يحمل القدس وحده.. فهل هناك تعاون بين وزارة الأوقاف الأردنية ووزارات الأوقاف الإسلامية في إطار عملية عدم هدم المسجد الأقصى؟

– أولًا.. قضية القدس هي قضية إسلامية عالمية، والمسجد الأقصى أولى القبلتين وثالث الحرمين الشريفين ومسرى الرسول الأعظم عليه صلوات الله ومعراجه إلى السموات العلا، ولذلك هي همٌ وشأن إسلامي عام، ومن هنا الأردن يرحب بكل دعم وبكل مؤازرة وبكل مساعدة في هذه القضية، وقد دعم هناك لجنة دولية للقدس تابعة لمنظمة المؤتمر الإسلامي يرأسها صاحب الجلالة ملك المغرب محمد السادس ولها نشاطات وفعاليات، وهناك بيت مال القدس له نشاطات في القدس ونحن في وزارة الأوقاف الأردنية ننسق مع هذه الجهات ومع أية جهة تريد أن تخدم القدس والأقصى لذاتهما وليست لأغراض دعائية أو سياسية، إنما بقصد دعم صمود الأهل هناك ودعم المحافظة على المسجد وعلى وجهها العربي الإسلامي للمدينة.

● وماذا عن دور وزارة الأوقاف الأردنية في حماية المقدسات الإسلامية في القدس؟

– دور وزارة الأوقاف الأردنية في القدس هو الدور الرئيسي في قضية المقدسات، وإدارة الوقف هناك إدارة أردنية كاملة تتبع وزارة الأوقاف الأردنية، فهناك ما يقرب من ستمائة موظف من مختلف التخصصات بدءًا من حراس المسجد الأقصى وأئمته وأئمة المساجد في القدس الشريف والوعاظ في التربية والتعليم التابعة للأوقاف وما يتعلق برعاية الأيتام في المدارس إلى العناية بالآثار والمخطوطات الإسلامية، كل هذه أمور تقوم بها إدارة الأوقاف الإسلامية في القدس التابعة مباشرة لوزارة الأوقاف الأردنية، وهذا- كما نعلم- موقوت بما يتعلق بوضع القدس النهائي، فإذا أعيدت القدس إلى أحضان السلطة لتكون عاصمة للدولة الفلسطينية، عند ذلك كل هذه الأمور ستسوى بين السلطة والمملكة الأردنية الهاشمية، لكن في هذه المرحلة وضع القدس مؤجل إلى محددات الوضع النهائي وفق الاتفاقيات الموقعة من قبل السلطة ومنظمة التحرير الفلسطينية، فاستقر الوضع على أن الدور الأردني مستمر في القدس للمحافظة على الهوية العربية الإسلامية للمدينة ولحماية المسجد الأقصى أولى القبلتين وثالث الحرمين الشريفين.

● هل هناك تعاون بين وزارة الأوقاف الأردنية والأوقاف بدولة الكويت من أجل الحفاظ على المقدسات الإسلامية في مختلف البلاد العربية والإسلامية؟

– هناك عدد من المشاريع في القدس الشريف التي تقوم بها الأوقاف الإسلامية الأردنية نشطة وفيها خير كثير ويدعمها الإخوة في الكويت، على سبيل المثال في دار الأيتام الإسلامية الصناعية هناك كثير من الأيتام يكفلون من المؤسسات الكويتية،

وهذا أمر يحمد لهم، وهم باستمرار لا يقصرون في دعم النشاطات الإسلامية سواء داخل الأردن أو في فلسطين أو في أي مكان آخر في العالم الإسلامي.

● هل المنظمات والمؤسسات الإسلامية الآن تقوم بدورها المنشود في خدمة قضايا الدعوة الإسلامية؟

- يا سيدي.. هي تعمل كثيرًا من الإنجازات لكن الجهد الذي يبذل مازال يحتاج إلى تفعيل وتخطيط وبرمجة وانفتاح بلغة يفهمها المجتمع المعاصر، وبالتالي لابد من استخدام وسائل العصر في الاتصال مثل الشبكة العنكبوتية والفضائيات وبلغة تخاطب العقل المعاصر، ولابد أن ننتبه وأن نفرق بين المسلمين والدعوة للمجتمع الإنساني، ولكل مقام مقال، وخاطبوا الناس على قدر عقولهم، وكل هذه قضايا تتطلب منا أن نضع برامج وخططًا لعملية مخاطبة المجتمع المعاصر، وهذا يقتضي منا أن نتقن لغاتهم، وهو ما دعانا إليه ديننا، وأن نعرف المجتمعات المعاصرة فكيف نريد أن تخاطب هذه المجتمعات دون أن نعرف حقيقتها، وأيضًا أن نكون واعين لأحكام الشريعة، وأن هذه الشريعة جاءت لخير الإنسانية، ﴿وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين﴾.

● ما رأيك في المنظمات الإسلامية التي تعنى بالتراث على وجه التحديد؟

- هي تقوم بجهود كبيرة لكن لابد من دعمها ولابد من إثراء مسيرتها، فمن الواضح أن آفاق العناية بالتراث الإسلامي آفاق واسعة، أولًا لابد من إحياء هذا التراث، فعيب أن كثيرًا من مخطوطاتنا مازالت مخطوطة وكثيرا من آثارنا مهدد في كثير من بلاد الدنيا، لابد في الواقع أن نسعى- خاصة في القدس الشريف- إلى تعاون عربي إسلامي دولي لدعم كل جهة تريد أن تؤدي دورًا في الحفاظ على التراث العربي الإسلامي.

رئيس التحرير يصافح الوزير العبادي في إحدى الندوات

مشاريع عديدة بالقدس تدعمها الأوقاف الكويتية... وتعاون أردني كويتي مشترك

● د.العبادي هناك من يدعو إلى عزل الدين عن السياسة منعا- كما يعتقدون- للصراع والعراك بينهما.. فماذا تقول؟

- نحن ضد استخدام الدين لأغراض سياسية، بمعنى أن يكون مطية لتحقيق مارب سياسية، لكن الدين لا يمكن فصله عن السياسة، وسياسة بدون دين في خطر أن تصبح غير أخلاقية، فالدين هو الذي يهذب من السياسة ويوجهها التوجيه السليم، خاصة أن شريعتنا تعنى بالجانب السياسي في الحياة الإنسانية، كما تعنى بالجانب الاقتصادي والجانب الاجتماعي، ولذلك نحن لسنا مع فصل الدين عن السياسة، نحن ضد استغلال الدين لأغراض سياسية، وفرق بين الأمرين، لأنه إذا كان السياسي دون دين فماذا تنتظر منه غير سياسة ميكافيللية غير أخلاقية، والغاية تبرر الوسيلة، والواسطة، وعند ذلك ستنهار المجتمعات الإنسانية، ولن يضبطها إن كان في المجال السياسي أو الاقتصادي أو الاجتماعي إلا قواعد الدين الضابطة للسلوك الإنساني والتي تحرص على القيم والأخلاق في العلاقات الإنسانية.

● هناك عقول إسلامية وعلمية فذة مهاجرة احتضنها الغرب ولم تحسن الأمة الإسلامية الاستفادة منها كيف يمكن الاستفادة من علمائنا لنهضة الأمة الإسلامية؟

- التحدي الأكبر لتحقيق التنمية في العالم الإسلامي هو توطين التكنولوجيا والمعرفة في بلاد المسلمين، وهذا يقتضي جهودًا كبيرة، أولًا يقتضي ان ندرس العلوم بلغاتها، باللغات الإسلامية وليس فقط أسلمة العلوم إنما تدريسها بلغاتها، فأنا أقول إن العلوم مسلمة بطبيعتها مادامت تتحدث عن القوانين التي صنعها الله عز وجل، فهي مستسلمة لله، المهم أن نوظفها التوظيف السليم لخيرنا وخير الإنسانية، وهذا يجعل للعلوم في بلادنا ميزة أنها موظفة للخير وللمصلحة الإنسانية، وبالتالي من الأمور المهمة الملحة توطين التكنولوجيا حتى لا نظل تبعًا ولا نظل مستجدين للمعرفة العلمية، يجب أن توطن المعرفة العلمية، وبالتالي تستفيد من الطاقات الموجودة في العالم كل بلاد العرب والمسلمين والتي تخدم في المجتمعات الغربية، نستفيد منها في توطين التكنولوجيا وفي توطين المعرفة المعاصرة في بلادنا، وبالتالي نقود البحث بلغتنا، وهذا ما فعلناه عبر التاريخ، هضمنا إنجازات الحضارات السابقة ونقلناها إلى العربية ثم أبدعنا في فهمها وفي تحصيلها وفي إثرائها والزيادة عليها.

الرقية
بين الحلِّ والحرمة

ممّا لا ريب أنّ التداوي بالقرآن الكريم، وبما صحّ عن رسول الله ﷺ من الرُّقى النّبوية هو العلاج النافع المبارك، كما قال الله تعالى: ﴿قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدًى وَشِفَاءٌ﴾ (فصلت:٤٤)، ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ (الإسراء:٨٢)، ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَتْكُمْ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ (يونس:٥٧).

فالقرآن هو الشفاء التام من جميع الأدواء القلبية والبدنية، غير أنه ليس كلُّ أحد يُوفّق للاستشفاء بالقرآن، إلا إذا أحسن المريض التداوي به بصدق وإيمان، وقبول تام وإذعان، فما من مرض من أمراض القلوب والأبدان إلا وفي القرآن الدلالةُ على علاجه، لمن رزقه الله فهمًا لكتابه وبصيرة فيه، وأمراض القلوب نوعان: مرض شبهة، ومرض شهوة، قال تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ يُتْلَى عَلَيْهِمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرَى لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ (العنكبوت:٥١)، وأما أمراض الأبدان، فقد أرشد القرآن العظيم إلى أصول طبّها وقواعده.

ولو أحسن العبد التداوي بالقرآن لرأى لذلك تأثيرًا عجيبًا في الشفاء العاجل الأكيد، يقول ابن القيم: (زاد المعاد:٤/١٧٨، والجواب الكافي، ص:٢١): «لقد مرّ بي وقتٌ في مكة سَقُمْتُ فيه، ولا أجد طبيبا ولا دواء: فكنت أعالج نفسي بالفاتحة، فأرى لها تأثيرًا عجيبًا، آخذ شربة من ماء زمزم وأقرأها عليها مرارا، ثم أشربها، فوجدت بذلك البُرْء التامّ، ثم صرت أعتمد ذلك عند كثير من الأوجاع: فأنتفع به غاية الانتفاع، فكنت أصف ذلك لمن يشتكي ألما فكان كثير منهم يبرأ سريعا».

إعداد : التحرير

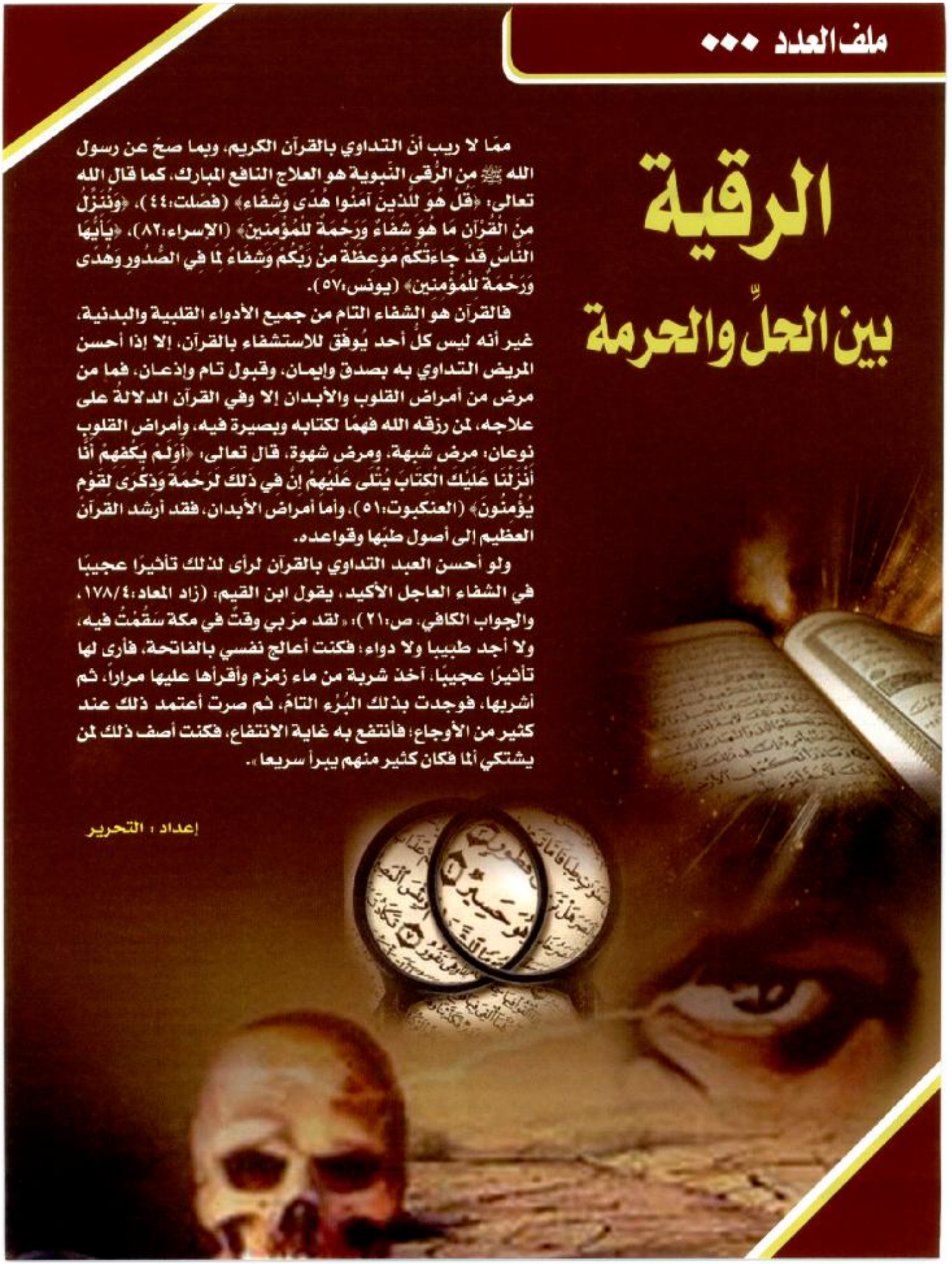

الرقية.. ضوابط وحدود

التحرير

لاشك أن الرقية جائزة؛ فقد ثبت أن جبريل عليه السلام رقى رسول الله ﷺ وثبت كذلك أن رسول الله ﷺ رقى بعض أصحابه رضي الله عنهم.

قال الخازن في تفسيره: «وأما الرقى والتعاويذ فقد اتفق الإجماع على جواز ذلك إذا كان بآيات من القرآن، أو إذا كانت وردت في الحديث، ويدل على صحته الأحاديث الواردة في ذلك: منها حديث أبي سعيد رضي الله عنه أن جبريل رقى النبي ﷺ، ومنها ما روي عن عبيد بن رفاعة الزرقي أن أسماء بنت عميس رضي الله عنها قالت: يا رسول الله إن ولد جعفر تسرع إليهم العين. أفأسترقي لهم؟ قال: نعم فإنه لو كان شيء سابق القدر لسبقته العين» (أخرجه الترمذي وقال: حديث صحيح).

عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه «أن النبي ﷺ كان يتعوذ ويقول: أعوذ بالله من الجان، وعين الإنسان، فلما نزلت المعوذتان أخذ بهما، وترك ما سواهما» (أخرجه الترمذي وقال: حديث حسن غريب).

فهذه الأحاديث تدل على جواز الرّقية، وإنما المنهي عنه منها ما كان فيه كفر أو شرك، أو ما لا يعرف معناه مما ليس بعربي، لجواز أن يكون فيه كفر والله أعلم» (تفسير الخازن ج ٦ / ص ٣٣٣).

كما ورد أن النبي ﷺ كان عندما يريد النوم يجمع يديه وينفث فيهما، ويقرأ آية الكرسي والمعوذتين والكافرون والإخلاص ثلاث مرات، ثم يمسح بهما ما أقبل من جسده، يبدأ بوجهه وعنقه وصدره وبطنه ورجليه، فلما مرض كانت عائشة- رضي الله عنها- تقرأ بها وتنفث وتمسح بيده الشريفة رجاء بركتها.

وورد أن بعض الصحابة رقى لديغًا بالفاتحة فبرئ، فقال النبي ﷺ: «وما يدريك أنها رقية». وكان أيضًا يتعوذ ويقول: «أعوذ بالله من الجان، ومن عين الإنسان ثم استعمل المعوذتين»، وكان يرقي بقوله: «بسم الله أرقيك من كل شيء يؤذيك ومن شر كل نفس أو عين حاسد الله يشفيك، بسم الله أرقيك».

ونهى عن الرقية الشركية وعلّم بدلها: «اللهم رب الناس أذهب الباس اشف وأنت الشافي لا شفاء إلا شفاؤك شفاء لا يغادر سقمًا»، ومن ذلك أن يقول: «أعوذ بكلمات الله التامة من شر كل ما خلق، ومن شر شيطان وهامة ومن شر عين لامة، ومن شر مخلوقات الله كلها عامة». وقال: «إذا اشتكى أحدكم فليضع يده على موضع الألم وليقل: أعوذ بعزة الله وقدرته من شر ما أجد وأحاذر»، ونحو ذلك. (الفتاوى الذهبية، ص: ٣٩).

واختلف الفقهاء في الحكم التكليفي للرُّقى، فذهب الجمهور إلى جواز الرُّقي من كل داء يصيب الإنسان.

وقال الربيع: سألت الشافعي عن الرقية فقال: «لا بأس أن يُرْقَىَ الرَّجُل بكتاب الله وما يُعرف من ذكر الله» (الأم).

وسُئل مالك عن الرقي بالأسماء الأعجمية فقال: «وما يدريك أنها كفر؟».

ومقتضى ذلك أن ما جُهل معناه لا يجوز الرقية به مخافة أن يكون فيه كفر أو سحر أو غير ذلك.

وقال قوم من العلماء: لا تجوز الرقية إلا من العين واللدغة، لحديث عمران بن حصين رضي الله عنهما: «لا رقية إلا من عين أو حمى».

وذهب غيرهم إلى كراهة الرقي إلا بالمعوذات. وفرّق قوم من العلماء بين الرقي قبل وقوع البلاء وبعد وقوعه، فقالوا: المنهي عنه من الرقي هو ما يكون قبل وقوع البلاء، والمأذون فيه ما كان بعد وقوعه.

والذي عليه جمهور أهل العلم أن الرُّقى تجوز بشروط ثلاثة:

أولها: أن تكون بكلام الله تعالى أو بأسمائه وصفاته.

ثانيها: أن تكون باللسان العربي أو بما يعرف معناه من غيره.

ثالثها: أن يعتقد أن الرقية لا تؤثر بذاتها بل بإذن الله تعالى وقدرته.

فالرقية منها ما هو محرم، ومنها ما هو مكروه، ومنها ما هو مباح، ومنها ما هو مستحب، وقد يكون منها ما هو واجب، وهو: ما يعلم أنه يحصل بها بقاء النفس لا بغيرها، كما قد يحدث لبعض المسحورين أو بعض من ابتلي بصرع العفاريت أو بالعين، أو حتى ببعض الأمراض التي تصيب الأبدان كلدغات الحيات وغيرها، والتي

إن لم يتعالج الناس منها هلكوا، لقوله ﷺ: «من استطاع منكم أن ينفع أخاه، فلينفعه» (رواه أحمد).

قال المناوي: «قال في «الفردوس»: فلينفعه، يعني بالرقية: أي على جهة الندب المؤكدة وقد تجب في بعض الصور» (فيض القدير).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية في معرض كلامه عن رقية الناس بدفع الجنّ وإخراجها من جسومهم: «فإذا عرف الأصل في هذا الباب فنقول: يجوز بل يستحب وقد يجب أن يُذبّ عن المظلوم وأن يُنصر، فإن نصر المظلوم مأمور به بحسب الإمكان..»، وذكر الأحاديث المتعلقة بنصر المظلوم. وقال: «وهذا من أعظم الجهاد» (مجموع الفتاوى)

حكم الاسترقاء

أما الاسترقاء: وهو طلب الرقية، فقد اختلفوا أيضا في حكمه، وقبل أن نسرد أدلة كل فريق، يحسن أن نأتي على الأحاديث الواردة في هذا الموضوع، وقد تضمنت ثلاثة

ثبت أن جبريل عليه السلام رقى الرسول ﷺ وأن الرسول رقى بعض أصحابه رضى الله عنهم

أنواع، وهي:

١- الأمر: لحديث عائشة- رضي الله عنها- أنّ رسول الله ﷺ كان يأمرها أن تسترقي من العين؛ وفي لفظ: أمرني أن أسترقي من العين؛ وقوله: «استرقوا لها فإنّ بها النظرة»، وقوله: «فهلاّ استرقيتم له من العين».

٢- الإباحة: لحديث أبي خزامة عن أبيه قال: «سألت رسول الله ﷺ، فقلت: يا رسول الله أرأيت رقىً نسترقيها، ودواء نتداوى به، وتقاة نتقيها، هل ترد من قدر الله شيئا؟ قال: «هي من قدر الله» (رواه أحمد).

٣- النهي: لحديث النبيّ ﷺ: «يدخل الجنة من أمتي سبعون ألفا بغير حساب، قالوا: من هم يا رسول الله؟ قال: هم الذين لا يسْتَرْقُون، ولا يتطيّرون، ولا يكْتَوُون، وعلى ربهم يتوكلون» (البخاري)، وفي لفظ لمسلم زيادة مختلف فيها: «هم الذين لا يرقون ولا يسترقون» (مسلم).

ذهب ابن تيمية وتلميذه ابن القيم إلى أن «لا يرقون» مقحمة في الحديث، وهي غلط أو وهم من بعض الرواة. وحكم الشيخ الألباني رحمه الله بشذوذها في مختصره لمسلم، وأجاب ابن حجر وغيره بأن هذه الزيادة من ثقة، و زيادة الثقة مقبولة.

فأما الذين ذهبوا إلى كراهة الاسترقاء وهم جماعة من أهل الأثر والفقه كسعيد بن جبير، وابن تيمية وغيرهم رأوا بأن الاسترقاء:

١- يقدح في كمال التوكل على الله تعالى، لما فيه من الاحتياج إلى الغير فيما الفائدة فيه مظنونة غير راجحة، أي ان البرء بالاسترقاء والاكتواء أمر موهوم. خلافا لسائر أنواع الطب.

٢- وسؤال المخلوق وإنزال الحوائج به دون الخالق، وقد ورد ذمّ المسألة إلاّ فيما تسوغ فيه كطلب العلم وغيره

و أما من ذهب إلى أن الاسترقاء الوارد في الحديث لا كراهة فيه، فلاعتبار أن علة النهي هي نفس العلة المتعلقة بالرقى غير المشروعة، أي من جهة خلو الرقية من كل محذور شرعي، ومن جهة اعتقاد الطالب فيها أن الشفاء ليس بذاتها استقلالا.

وأكثر العلماء يسوون في حكم الرقية والاسترقاء بالشروط المذكورة سابقا.

والأجمع في هذا الموضوع أن يقال بأن الاسترقاء يحرم إذا كان يُعتقد بأن الشفاء من غير الله، أو يتم التعلق بالأسباب دون مسببها.

أو أنه يكره إذا وقع في قلب المسترقي، قبل إقدامه على الاسترقاء، شيء من الاتكال على السبب فخشي أن يكل نفسه إلى الرقية أو إلى شخص الراقي.

أما إذا انتفت هذه الموانع، وأيقن الطالب للرقية أن تعاطيه للأسباب لا يؤثر في قضاء الله وقدره، فحينئذ يشرع له الاسترقاء من غير كراهة، بل إن لها مزايا حسنة منها:

١- أن الراقي يربط المسترقي بالله العظيم. فيأمره بالمحافظة على الطاعات والبعد عن المحرمات، والاقتراب من رب الأرض والسموات.

٢- ينتشر مبدأ التكافل بين المسلمين، وذلك عندما لا يقبل الراقي على العلاج أجرًا من غني ولا فقير.

٣- القضاء على الخرافات والشعوذة، وذلك عندما يلتزم الراقي بما صح عن النبي ﷺ.

إلا أننا نجد اليوم بعض الشباب الذين لم تستو سوقهم في الاستقامة، ولم ينضج علمهم في الفقه، قد امتهنوا الرقية، وأخذوا يعالجون بالقرآن، متشبهين بالإمام أحمد وابن تيمية، رحمهما الله، وهم لم يتموا حفظ القرآن بعد، فضلاً عن غيره من أمور دينهم، وغاية أمر أحدهم أنه حفظ الرقية، أو قرأ كتابًا في هذا الفن ثم بدأ يعالج، فإذا بهم يقعون في المحظور وهم لا يدرون، لجهلهم، فانتشرت البدع في علاجهم، وكثرت الخرافات.

ومما يُؤسَفُ له أن الرقية اليوم صارت حرفة بعض القراءة يُستعان بها للوصول إلى الغنى السريع، والربح الوفير، حتى أصبحت ثروة هؤلاء من عقارات وسيارات وأملاك هائلة.

وتحوّلت الرقية في كثير من ديار المسلمين إلى «صناعة» تُسلبُ من خلالها أموال الناس بالباطل، وأصبحت أقربَ إلى

السحر والشعوذة، في ظلّ غياب ضوابطها وإهمال شروطها.

إنّ ما يحدث في مجتمعاتنا من خرافات وخزعبلات يرتكبها بعض الجهلة باسم العلاج بالقرآن هو أشد ما يكون بعدًا عن الرقية الشرعية.

وفي دراسة متأخرة للمركز القومي للبحوث الاجتماعية والجنائية في إحدى الدول العربية أثبت أنّ نسبة ٧٤ ٪ من سكان الريف، و١٥ ٪ من سكان المدن يؤمنون رغم اختلاف فئاتهم العمرية والثقافية والاجتماعية، بأن ما يُعرف عندهم بـ «السحر الأسود» قادر على أن يفعل أي شيء في أي وقت، وأن ٦٣٪ من الرجال والنساء يخشون السحر واستحضار الأرواح، و٢٨ ٪ منهم من المثقفين!، و ١١٪ من مشاهير الرياضة والفن والسياسة.

وخلال ٦ أشهر فقط وقعت أكثر من ٦٠٠ جريمة هتك عرض، وقتل، ونصب واحتيال، جميعها متصلة بالدجل والشعوذة وفك السحر، وكلهم يدعون أنهم يعالجون بالقرآن، وتنفق في هذا المجال المليارات سنويا.

فمن هؤلاء الرقاة مَنْ قرأ على وعاء كبير من الماء وباعه لعدد كبير من المرضى القادمين إليه بأسعار عالية جدًا.

ومنهم من طبع أوراقًا وصمم أختامًا كتب عليها بعضًا من الآيات ليريح نفسه من عناء الكتابة باليد.

ومنهم من اقتنى في «متجره القرآني» آلة تصوير لتريحه من عناء تكرار الوصفة العلاجية، في حين يبيع هذه الوصفة «المصوّرة» بمبالغ كبيرة.

ومنهم من فتح لنفسه مكتبًا وأثثه بالمكاتب ذات النقوش القديمة، وفي ركن منه صيدلية للأعشاب عُولجت بطريقة معينة، ووضعت في قوارير، وكُتب عليها: «أعشاب للصرع»، وأخرى «أعشاب لمعالجة البرود الجنسي»، وأخرى «لمرض المفاصل»، وغيرها، كما لوحظ في صدر مكتبه لوحة مزخرفة على خشب معتّق كُتب عليها: ﴿وننزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين ولا يزيد الظالمين إلا خسارا﴾ (الإسراء: ٨٢).

ومنهم من نصب نفسه طبيبًا استشاريًا، وطبع عددًا من الكروت، منها مخصص للمواعيد وأخرى للانتظار، ومن ثم يجب على المريض

الرقية منها ما هو محرم وما هو مكروه وما هو مباح وما هو مستحب وقد يكون منها ما هو واجب

المرور على المشخص الأول، وبعدها يحيله إلى القارئ الأكبر «الطبيب الاستشاري».

ومن الإنصاف ألا نبخس الحقوق، فهناك عدد من القراء الذين تميزوا بالتقى والورع والخوف من الله سبحانه وتعالى، ومراعاة الأصول الشرعية، والأصول الفقهية للرقية الشرعية.

وحول انتشار هذه الظاهرة، يقول العلامة د. عبدالله بن بيّه: «مما لاشك فيه أن القرآن شفاء لما في الصدور، فهو يعالج النفوس كما تعالج به الأبدان كما جاء في الحديث الصحيح.

ومن الملاحظ أن هذه الظاهرة (العلاج بالقرآن) لم تنتشر في صدر الإسلام ولم يكن هناك رقاة معروفون، والمطلوب ليس نفي العلاج بالقرآن، ولكن نفي مهنية العلاج، دون مؤهلات ودون ترخيص شرعي.

والصحيح أن يقرأ الإنسان لنفسه، أو يقرأ له أحد أقربائه، ولكن أن يجعلها القارئ مهنة ويصبح صاحب دعاية وأحوال فهذا مرفوض، والمطلوب من العامة العلم والمعرفة حتى لا يختلط الطيب بالخبيث».

وقد عرّف رئيس دار الرقية الشرعية بجدة الشيخ عبدالعزيز الحمدان الشعوذة بأنها لون من ألوان الدجل والسحر يدعي فيها المشعوذ علمه بالغيبيات، وقدرته على صنع الأعاجيب، بما في ذلك من بطلان وكفر لأنه شرك بالله.

وقال: إنّ الحالات الاجتماعية من زواج وطلاق وخلافات زوجية هي في مجملها الحالات التي يتعامل معها المشعوذون ببراعة، مستغلين ما يقع فيه الإنسان من ضيق وأزمات نفسية ليزيدوا من ضغطهم وسيطرتهم.

وعلى الراقي ألا يجعل همه الأكبر وقصده الأعظم الكسب المادي من الرقية، فيستغل ضعف الناس وحاجتهم إلى الرقية فيرهق كواهلهم بطلب المال الكثير على الرقية، فإنه إن فعل ذلك فربما تمادى به الأمر إلى أن يخرج الرقية عن حقيقتها ومغزاها، فتفقد بذلك شرعيتها وأصلها، وتنقلب إلى مهنة تكسب دنيوية كغيرها من المهن، فقد يزول من قلب الراقي الإخلاص فيها لله وحب النفع والإحسان للخلق، ويحل محل ذلك حب نفع النفس وجلب المال لها بواسطة هذه الرقية.

الرقية الشرعية.. حكمها وكيفيتها

محمد الهنداوي

الرقية لغة اسم من الرقي، يقال رقى الراقي المريض يرقيه.
قال ابن الأثير: الرقية العوذة التي يرقى بها صاحب الآفة كالحمى والصرع وغير ذلك من الآفات لأنه يعاذ بها، ومنه قوله تعالى: ﴿وقيل من راق﴾ (القيامة: ٢٧) أي من يرقيه، تنبيها على أنه لا راقي يرقيه فيحميه، ورقيته رقية أي عوذته بالله، والاسم الرقيا، والمرة رقية، والجمع رقى.

بعض الفقهاء عرّف الرقية بأنها ما يرقى به من الدعاء لطلب الشفاء.

وقد تعددت صور الرقى عند الناس، ومنها ما أباحه الشرع ومنها ما حرمه (كالتميمة والودعة والتولة والنفخ والنشرة والرتيمة) وغير ذلك من المسميات.

الحكم التكليفي للرقية

يختلف الحكم باختلاف ما تتخذ منه الرقى والتعاويذ وتنقسم الى ثلاثة أقسام:

القسم الأول: ما لا يعقل معناه، ومنه ماكان يرقى به في الجاهلية، فذهب جمهور الفقهاء إلى أنه يجب اجتنابه بلا خلاف، لما صح عن ابن مسعود رضي الله عنه أنه دخل على امرأته، وفي عنقها شيء تتعوذ به، فجبذه، فقطعه، ثم قال: لقد أصبح آل عبدالله أغنياء عن أن يشركوا بالله ما لم ينزل به سلطانا، ثم قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن الرقى والتمائم والتولة شرك». قالوا: يا أبا عبدالرحمن، هذه الرقى والتمائم قد عرفناها، فما التولة؟ قال: شيء يصنعه النساء يتحببن إلى أزواجهن.

ولاشك أن هذا الوعيد محمول على ما كانوا يفعلونه في الجاهلية من تعليق خرزة أو غير ذلك من التمائم ويعتقدون أنها ترد عنهم الآفات، فذهب الجمهور الى أن الرقي من كل داء يصيب الانسان لابد أن تتحقق فيه شروط ثلاثة:

١- أن يكون بكلام الله أو بأسمائه وصفاته.

٢- أن يكون باللغة العربية أو بما يعرف معناه من غيره.

٣- أن يعتقد أن الرقية لا تؤثر بذاتها بل بإذن الله تعالى وقدرته لما روى عوف بن مالك رضي الله عنه قال: كنا نرقي في الجاهلية فقلنا يا رسول الله كيف ترى في ذلك؟ فقال ﷺ: «اعرضوا علي رقاكم، لا بأس بالرقي ما لم يكن فيه شرك».

وعن جابر رضي الله عنه قال: نهى رسول الله ﷺ عن الرقى فجاء آل عمرو بن حزم فقالوا: يا رسول الله إنه كانت عندنا رقية نرقي بها من العقرب وإنك نهيت عن الرقى، قال: فعرضوها عليه، فقال: «ما أرى بأسًا، من استطاع منكم أن ينفع أخاه فلينفعه».

وقال الربيع: سألت الشافعي عن الرقى فقال: «لا بأس إن رقى بكتاب الله أو بما يعرف من ذكر الله».

وسئل مالك عن الرقي بالأسماء العجمية فقال: وما يدريك أنها كفر؟

ومقتضى ذلك أن ما جهل معناه لا يجوز الرقية به مخافة أن يكون فيه كفر أو سحر أو غير ذلك.

واختلف العلماء في حكم النفث وغيره فمنعه قوم وأجازه آخرون.

قال النووي: قد أجمعوا على جوازه، واستدل المجيزون بما روته السيدة عائشة رضي الله عنها، أن النبي ﷺ، كان ينفث في الرقية. أخرج البخاري ومسلم: «كان رسول الله ﷺ إذا مرض أحد من أهله نفث عليه بالمعوذات، فلما مرض مرضه الذي مات فيه، جعلت انفث عليه وأمسحه بيد نفسه، لأنها أعظم بركة من يدي».

حكم النشرة

ذهب جمهور الفقهاء من الحنفية والمالكية والشافعية والحنابلة الى أنها جائزة. وهو قول سعيد بن المسيب وعائشة رضي الله عنها حيث كانت تقرأ بالمعوذتين في إناء، ثم تأمر ان يصب على المريض.

- وذهب ابن عبدالسلام من المالكية الى أنها حرام. وهو قول الحسن، ومجاهد، وابراهيم النخعي وقال: أخاف أن يصيبه بلاء، لما روي عن النبي ﷺ: «إن النشرة من عمل الشيطان». أخرجه أبو داود وحسنه ابن حجر في الفتح.

- القسم الثاني: ما كان تعويذا بكلام الله تعالى أو بأسمائها، فذهب جمهور العلماء إلى أن الاسترقاء بذلك جائز، وقال السيوطي: وهذا الجواز مقيد بالشروط الثلاثة التي ذكرت سابقا.

واحتج المجوزون بأحاديث منها:

- أخرج البخاري ومسلم عن عائشة رضي الله عنها: أن النبي ﷺ كان يعوذ بعض أهله، يمسح بيده اليمنى ويقول: اللهم رب الناس أذهب الباس، وأشفه أنت الشافي، لا شفاء إلا شفاؤك، شفاء لا يغادر سقما.

- ومنها ما أخرجه مسلم عن جابر قال: نهى رسول الله ﷺ عن الرقى، فجاء آل عمرو بن حزم، فقالوا: يا رسول الله إنها كانت عندنا رقية نرقي بها من العقرب، وإنك نهيت عن الرقى، قال: فعرضوها عليه، فقال: «ما أرى بها بأسا، فمن استطاع منكم أن ينفع أخاه فليفعل».

- وقال الشعبي وسعيد

• باحث دراسات إسلامية

بن جبير وقتادة: تكره الرقى، والواجب على المؤمن أن يترك ذلك اعتصاما بالله وتوكلا عليه، واحتجوا بما رواه البخاري ومسلم عن ابن عباس ان النبي ذكر أوصاف الذين يدخلون الجنة بغير حساب فقال: «هم الذين لا يتطيرون ولا يكتوون، ولا يسترقون، وعلى ربهم يتوكلون».

- القسم الثالث: ما كان بأسماء غير الله من ملك مقرب أو معظم من المخلوقات كالعرش، قال الشوكاني بكراهته، وهذا ما عليه علماء الأمة، وقال القرطبي، تركه أولى، إلا أن يتضمن تعظيم المرقي به، فينبغي أن يجتنب، كالحلف بغير الله.

كيفيتها

إذا عدنا الى كتب السنة وجدنا ان الرقية لها كثير من الصيغ المأخوذة من كتاب الله عز وجل، وسنة رسول الله ﷺ، وما أقره عليه الصلاة والسلام من الرقى التي كانت منتشرة بين أصحابه، ويرافقها كثير من الهيئات المأثورة مثل: «النفث والمسح باليد على مكان الألم، واستعمال الريق والتراب». وإليك بعضًا من الأحاديث التي تبين لنا ذلك:

الرقية بفاتحة الكتاب

- أخرج البخاري ومسلم وغيرهما عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن ناسا من اصحاب النبي ﷺ أتوا على حي من أحياء العرب فلم يقروهم فبينما هم كذلك اذ لدغ سيد اولئك فقالوا: هل معكم من دواء أو راق؟ فقالوا: إنكم لم تقرونا ولا نفعل حتى تجعلوا لنا جعلا، فجعلوا لهم قطيعًا من الشاء فجعل يقرأ بأم القرآن، ويجمع بزاقه ويتفل فبرأ، فأتوا بالشاء فقالوا: لا نأخذه حتى نسأل النبي فسألوه فضحك وقال: «وما أدراك أنها رقية؟ خذوها واضربوا لي بسهم».

الرقية بالمعوذات

- أخرج البخاري ومسلم عن عائشة أن النبي ﷺ كان ينفث على نفسه في المرض الذي مات فيه بالمعوذات فلما ثقل كنت أنفث عليه بهن وأمسح بيد نفسه لبركتها.

قال معمر: سألت الزهري: كيف ينفث؟ قال: ينفث على يديه ثم يمسح بهما وجهه.

- أخرج الترمذي وحسنه والنسائي من حديث أبي سعيد: «كان رسول الله يتعوذ من الجان وعين الانسان حتى نزلت المعوذات فأخذ بها وترك ما سواها». وهذا لا يدل على المنع من التعوذ بغير هاتين السورتين، بل يدل على الأولوية، ولاسيما ثبوت التعوذ بغيرهما.

التعوذ بكلمات الله التامات

- روى البخاري في أحاديث الأنبياء، عن ابن عباس أن النبي ﷺ «كان يعوذ الحسن والحسين بكلمات الله التامة، من كل شيطان وهامة».

- الترمذي من حديث خولة بنت حكيم مرفوعا: «من نزل منزلاً فقال: أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق، لم يضره شيء حتى يتحول».

رقي العين

- أخرج البخاري ومسلم عن

من رسائل الرقية النفث والمسح باليد على مكان الألم واستعمال الريق والتراب

أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي قال: «العين حق».

- أخرج البخاري ومسلم عن عائشة قالت: أمرني رسول الله أو أمر أن يسترقى من العين.

- أخرج البخاري ومسلم عن عروة بن الزبير عن زينب ابنة أبي سلمة رضي الله عنها أن النبي ﷺ رأى في بيتها جارية في وجهها سفعة فقال: استرقوا لها فإن بها النظرة».

- أخرج الترمذي وصححه والنسائي من طريق عبيد بن رفاعة عن أسماء بنت عميس أنها قالت: يا رسول الله إن ولد جعفر تسرع اليهم العين أفأسترقي لهم؟ قال: نعم.

- وأخرج مسلم من حديث جابر رضي الله عنه: رخص رسول الله ﷺ لآل حزم في الرقية. وقال لأسماء: «مالي أرى أجسام بني أخي ضارعة (نحيفة)؟ أتصيبهم الحاجة؟» قالت: لا ولكن العين تسرع إليهم، قال: «ارقيهم» فعرضت عليه فقال: «ارقيهم».

- أخرج مسلم عن ابن عباس- رضي الله عنهما- مرفوعًا: «العين حق ولو كان شيء سابق القدر لسبقته العين، وإذا استغسلتم فاغسلوا».

قال النووي: في الحديث إثبات القدر وصحة أمر العين وأنها قوية الضرر.

- أخرج الإمام أحمد والنسائي وصحح ابن حبان من طريق الزهري عن أبي أمامة بن سهل بن حنيف، أن أباه حدثه أن النبي ﷺ خرج وساروا معه نحو ماء، حتى إذا كانوا بشعب الخراز من الجحفة، اغتسل سهل بن حنيف، وكان أبيض حسن الجسم والجلد، فنظر إليه عامر بن ربيعة فقال: ما رأيت كاليوم ولا جلد مخبأة، فلبط - أي صرع- سهل، فأتى رسول الله ﷺ فقال: «هل تتهمون به أحدًا؟» قالوا عامر بن ربيعة، فدعا عامرًا فتغيظ عليه فقال: «علام يقتل أحدكم أخاه؟ هل إذا رأيت ما يعجبك بركت». ثم قال: «اغتسل له»، فغسل وجهه ويديه ومرفقيه وركبتيه وأطراف رجليه وداخلة إزاره في قدح، وفي رواية ابن ماجة: وأمره أن يصب عليه، فراح سهل مع الناس ليس به بأس.

رقية الحية والعقرب

- أخرج البخاري ومسلم عن عبدالرحمن بن الأسود عن أبيه قال: سألت عائشة عن الرقية من الحمة، فقالت: رخص النبي ﷺ الرقية من كل ذي حمة، وذو الحمة كل ذات سم.

رقية النبي ﷺ

- أخرج البخاري وتفرد به قال: حدثنا مسدد حدثنا عبدالوارث عن عبدالعزيز قال: دخلت أنا وثابت على أنس بن مالك فقال ثابت: يا أبا حمزة اشتكيت، فقال أنس: ألا أرقيك برقية رسول الله ﷺ قال: بلى، قال: «اللهم رب الناس مذهب الباس اشف أنت الشافي لا شافي إلا أنت شفاء لا يغادر سقما».

- وروى البخاري ومسلم عن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ كان يقول للمريض: «بسم الله تربة أرضنا بريقة بعضنا يشفى سقيمنا بإذن ربنا».

الرقية بين الشريعة والشعوذة

محمد عبدالرؤوف عثمان

تعرضت العقول البشرية عبر حقب طويلة لعمليات وأد واغتيالات خطيرة، وكانت خناجر الوهم والخرافة، وألغام الدجل والشعوذة- ولا تزال- تفعل الأفاعيل في إفساد العقول، لذا فإن التحرر من أغلال الوهم والخرافة، إنما يمثل السياج المحكم والدرع الواقية للعقل البشري من الخيالات، وحفظ فكره من الخرافات.

من هنا كانت أنبل معارك العقيدة تحرير العقول الانسانية من كل ما يصادم الفطرة، ويصادر الفكر، ويغتال المبادئ والقيم، فجاء الإسلام بعقيدة التوحيد الخالص لله، وأشرقت أنوارها في جميع أصقاع المعمورة، فحررت القلوب من رق العبودية لغير الله، وسمت بالعقول عن بؤر الوثنية ومستنقعات الخرافة، ولكن مع تطاول الأمد وحصول التخلف المشين لدى فئات كثيرة في الأمة، ووقوع أنواع من التزييف للحقائق مع غلبة الجهل الذريع عند كثير من الناس، صحب ذلك تلاعب بالألفاظ وتغيير للمصطلحات تحت ستار مسميات معسولة، ظاهرها الرحمة وباطنها العذاب، فنتج عن ذلك كله تمرير بعض الصور الشركية وتسويق بعض الطقوس البدعية (١).

ولعل التحريف الذي طرأ على مصطلح الرقية الشرعية حتى غدا ضربًا من الشعوذة والدجل من أوضح النماذج على هذا التزييف الذي أصاب الأمة، وثمة بون شاسع بين الشعوذة والرقية الشرعية.

فالشعوذة خفة في اليد وأخذ كالسحر يرى الشيء بغير ما عليه أصله في رأي العين، وفي كلام بعضهم هو تصوير الباطل في صورة الحق (٢).

أما الرقية فهي العوذة التي يرقى بها صاحب الآفة كالحمى والصرع وغير ذلك من الآفات (٣)، وقد كانت الرقى معروفة عند العرب في الجاهلية لكنها كانت كثيرا ما تشتمل على شركيات مثل الاستعاذة بالجن والشياطين، وسؤال غير الله، وما لا يفهم معناه من الكلام. ومن هنا حذر النبي ﷺ من هذا النوع من الرقى واعتبرها شركا(٤) كما في حديث ابن مسعود رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن الرقى والتمائم والتولة شرك» (٥).

كما أنه شرع الرقى إذا كانت بكلام الله أو بذكره سبحانه، وذكر أسمائه الحسنى، وصفاته العلا، والتوسل الى الله في منع الضر ورفع الأذى وشفاء المرضى ونحو ذلك. فالرقية سنة ثابتة عن النبي ﷺ لكنها تحولت في كثير من ديار المسلمين الى باب يدلف منه المشعوذون، وغابت ضوابطها حتى أصبحت الى السحر والشعوذة أقرب، والفرق عظيم بين الرقية الشرعية وما يحدث في مجتمعاتنا من خرافات وخزعبلات ترتكب باسم العلاج بالقرآن وهو منهم براء.

فقد صارت حرفة القراءة على المرضى من الوظائف التي يسعى اليها كثير من الناس طمعًا في الغنى السريع، والربح الوافر، وما أيسرها من مهنة، ولعل المتتبع لهذه الأمور يرى العجب العجاب.

فهذا أوقف خزان ماء فاذا اجتمع لديه عدد من الزبائن صعد على السطح ونفث فيه مدة من الزمن ثم طلب من المراجعين والمرضى أن يملأ كل اناء وكلما كبر الإناء، زادت الكلفة!

وهذا صمم اختامًا منوعة، فلكل سورة ختمها، ومن ثم باع كل ورقة مختومة بسعر باهظ.

وبحجة الرقية الشرعية اطلع بعضهم على عورات النساء واستعان بعضهم بالجن والشياطين ورقى بطلاسم وهمهمات غير مفهومة.. فيا له من تناقض عجيب!

ومن الإنصاف ألا نبخس الحقوق، فثمة عدد من القراء راعى الضوابط والأصول الفقهية في الرقى، والتي حددها الحافظ ابن حجر رحمه الله بثلاثة شروط فقال (٦): أجمع العلماء على جواز الرقى عند اجتماع ثلاثة شروط:

١- أن تكون بكلام الله تعالى وبأسمائه وصفاته.

٢- أن تكون باللسان العربي، أو بما يعرف معناه من غيره ويرخص لغير العربي بالترجمة الى لسانه.

٣- أن يعتقد أن الرقية لا تؤثر بذاتها، بل بتقدير الله.

وهكذا نرى أن الله ما أنزل داء إلا أنزل له شفاء، إلا أنه سبحانه لم يجعل شفاء أمة محمد ﷺ فيما حرم عليها.

والتداوي بالرقى المشروعة وبألوان الطب الحديث مشروع، ولا ينافي التوكل على الله، ولكن لابد من النظر في أهلية المداوي دينا وعقيدة واستقامة وصدقا وأمانة، ولا يلزم أن يكون الراقي معروفا أو مشهورًا أو ممن اتخذ هذا الأمر حرفة يستدر من خلالها أموال الناس ويبتز جيوبهم، وعلى أهل العلم والدعوة التركيز على الجانب العقدي في الأمة وتعزيز التوحيد الصافي في النفوس الذي يناوئ الخرافة، ويناقض الشعوذة، ويحارب الدجل.

هوامش

١- انظر: خطر السحر والشعوذة، د.عبدالرحمن السديس.

٢- تاج العروس ٩/٤٢١.

٣- لسان العرب ١٤/٣٣٢.

٤- موقف الإسلام من الإلهام والكشف والرؤى ومن التمائم والكهانة والرقى، د.القرضاوي ص١٥١.

٥- أخرجه أحمد (١/٣٨١، رقم ٣٦١٥) وأبوداود (٤/٩، رقم ٣٨٨٣)، وابن ماجة (٢/١١٦٦، رقم ٣٥٣٠)، والحاكم (٤/٤٦٣، رقم ٨٢٩٠) وقال: صحيح الإسناد على شرط الشيخين وصححه الألباني في الصحيحة (٣٣١).

٦- فتح الباري ١٠/١٩٥.

• باحث مصري

جهل الرقاة

رشيد الحسن

كثيرا ما يثار الجدل الواسع والعريض عن قضية الرقاة بين مؤيد ومعارض، فمن الناس من يجحف في حقهم ويقصي الرقاة وفائدة وجودهم جملة وتفصيلا. ومن الناس من غالى فيهم حتى أصبح لا يرى ولا يسمع ولا يتكلم فيهم حتى لو صدر من بعضهم «الطوام» التي لا يمكن أن تغتفر فهناك رقية الصابون والعطر لجلب الحبيب، والسكر والحنة لتليين قلب المسؤول، والملح لجمع شمل العائلة، وماء البحر لابعاد العين وازالة السحر، وكلها وسائل يلجأ اليها الرقاة المزيفون الذين يستعملون كل الحيل للوصول الى قلوب الضعفاء الذين يلجأون إليهم حينما تسود الدنيا في وجوههم وتضيق الأرض بهم، بل قد أصبح الكثير من الناس يدعون أنهم رقاة ولكن..!

فمن هم هؤلاء الرقاة الجهلة؟ وما هي صفاتهم؟ وما هي بعض ضلالاتهم؟

بداية لابد من القول أن للرقية أقساما وهي:

أ- توقيفية:

وهي التي أتت بألفاظ معينة وأعداد معينة ومعلومات وأوقات وهيئات محددة، ولا يجوز تبديلها أو تعديلها بحال من الأحوال، لأنها من الشرع الحكيم.

ب- اجتهادية بالضوابط:

وهذه لابد من عرضها على العلماء الأجلاء حتى يعطوا الموافقة والجواز، أو الحرمة والابتعاد والتوقف، ليقطعوا دابر المشتبهات ومداخل الشيطان.

كذلك فان للرقاة أيضا انواعا، فهناك الرقاة الشرعيون الذين اتبعوا طريقة النبي ﷺ وصحبه الكرام والسلف الصالح في رقيتهم بكتاب الله والأدعية المأثورة وغيرها من الادعية الخالية من الشرك واستخدموا كل ما ورد به الدليل بأنه من اسباب الشفاء كالاستشفاء بالعسل والحبة السوداء والحجامة وغيرها مما هو مباح.

- وهناك بالمقابل الرقاة المبتدعة الجهلة وهم الذين تجاوزوا حدود الاجتهاد في الرقية حتى ابتدعوا طرقا للعلاج فيها مشابهة لما يفعله السحرة وذلك مثل:

- أن الواحد منهم يكتب آيات من القرآن على قطعة من القماش ثم يحرقها ويقربها من أنف المصاب لاستحضار الجني أو حرقه. وهذا حرام قطعا بلا أدنى ريب.

- ومن ضلالاتهم ترك التسمية على الماء المقروء حتى يسمح الجني للمريض أن يشرب منه، ولا يؤذى الجني بالقرآن المقروء على الماء.

- ومنها سؤال المريض عن اسمه او اسم امه، مع أن معرفة الاسم أو جهله لا تغير في العلاج شيئا. ومنها أن يطلب من المريض أثرا من ملابسه كالثوب أو القميص الداخلي، ومنها أن يطلب من المريض حيوانا بصفات معينة ليذبحه للجن، وربما يلطخ بدمه المريض ومنها كتابة أو قراءة الطلاسم التي لا تفهم وليس لها معنى، ومنها إعطاء المريض ورقة فيها مربعات بداخلها حروف وأرقام، ومنها أن يأمر المريض بأن يعتزل الناس مدة ما في غرفة مظلمة وتسمى (الحجبة).

- ومنها الضرب المبرح للمريض، واستخدام أدوات في ذلك كالعصي، والكي بالكهرباء وخطر ذلك كبير، اضافة الى عدم جوازه. وفي هذا الاطار سجلت محاضر الشرطة في بعض البلدان الاسلامية العديد من حوادث الوفاة بعد «جلسات الرقية»، والتي تحولت فيما بعد الى قضايا عالجتها المحاكم (أذكر على سبيل المثال لا الحصر قضية امرأة تبلغ من العمر ٣٠ سنة ضربها راقيان بلوح خشبي حتى تسببا لها بعجز كلوي ذات يوم في سنة ٢٠٠٨، وضحية أخرى تفجرت رئتها دما بعد أن سقيت كميات من الماء وزيت الزيتون، ووفاة زوج وزوجة بعد شربهما ١٤٠ لترا من الماء).

والحقيقة أن هؤلاء يجب الأخذ على أيديهم وألا يترك لهم المجال للعبث ببني آدم.

● ومن صفات الرقاة الجهلة: فساد العقيدة: ومن فسدت عقيدته فلن يقبل الله منه صرفا ولا عدلا ولقي الله وهو عليه غاضب، فلا يجوز الذهاب مطلقا الى من اتخذ مسلكا وطريقا غير طريق رسول الله ﷺ وصحابته والتابعين ومن سار على نهجهم من السلف الصالح رضوان الله تعالى عنهم أجمعين، خاصة بعض أصحاب الطرق البدعية، فقد وصلت بدعهم الى حد يفوق الوصف والتصور في مسائل الرقية والعلاج والاستشفاء.

ومن صفاتهم عدم إخلاص العمل: فلابد أن تكون الغاية والهدف من الاشتغال في هذا الأمر هو التقرب الى الله سبحانه وتعالى، ثم تفريج كربة المكروبين، والوقوف معهم وتوجيههم الوجهة الشرعية في مواجهة هذه الأمراض على اختلاف انواعها ومراتبها، لا كما يشاهد اليوم من ابتزاز فاضح لأموال المسلمين، واتخاذ طرق شيطانية في سبيل تحصيل ذلك، ومنها بيع ماء زمزم بقيمة عالية جدا، حتى وصل الأمر بالبعض لنظرة يشوبها

• باحث شرعي

الكره والحقد على أمثال هؤلاء الذين لم يراعوا في مسلم إلا ولا ذمة.

فالله الله في أنفسكم قبل أن تقفوا بين يدي الله سبحانه وتعالى فتحاسبوا يوم الحساب لا يوم العمل. مع تأكيد أمر في غاية الأهمية أن الساحة ما خلت من وجود المحتسبين أصحاب العقيدة الصحيحة الذين وهبوا أنفسهم وأوقاتهم وأموالهم في خدمة الإسلام والمسلمين، مدافعين عن الحق نصرة لإخوانهم، ومساعدتهم في رفع الظلم وتفريج الكربة.

● ومن صفاتهم قراءة الآيات قراءة بصورة غير صحيحة: ثم هناك أمر قد يغيب عن أذهان بعض المعالجين، فإن أكثر الذين يحضرون الى الرقاة هم من عامة الناس، فبقراءة الراقي القراءة الصحيحة فإن هناك من سيتعلم منه، وهناك من سيصحح قراءته، ومنهم من سيتعلم التجويد عن طريق التطبيق العملي لأحكامه في أثناء استماعه للتلاوة، ولا يجوز أن يؤخذ عن الراقي الخطأ أو يتعلم منه ما يخالف المشروع.

● ومن صفاتهم ضعف العلم الشرعي لديهم: إذ من تمام علم الراقي (بعد العلم بأصول الدين عموما والفروع الأساسية الذي يجعله يستطيع أن يميز بين الحق والباطل وبين الصواب والخطأ وبين السنة والبدعة وبين الفاضل والمفضول و...) العلم بأحكام الدين الضرورية من عبادات ونحوها، وأن يكون له إلمام لا بأس به بعلم الرقية الشرعية خاصة.

وليكن الراقي على يقين من أن العلم سيحفظه بإذن الله من الشبهات، وأن الإخلاص سيحفظه من الشهوات.

ومن صفاتهم ضعف المحافظة على الفرائض والنوافل: من حيث أداء الصلوات مع الجماعة والمحافظة عليها في وقتها، ونحو ذلك من أمور العبادات الأخرى.

كما يندر عندهم الورع والتقوى: وهي من أهم الصفات التي لابد من الاهتمام بها وتوافرها في المعالج لكي يستطيع تقديم صورة بيضاء ناصعة عن هذا الدين وأهله.

ومن صفاتهم الكبر والخيلاء والعبوسة: وهذا والله هو الخسران المبين، فلابد للمعالج من تقوى الله سبحانه وتعالى وإعادة الأمر كله له، فلولا حفظ الله سبحانه وتعالى له لتلقفته الشياطين منذ أمد بعيد.

● ومن صفاتهم سوء المظهر والسمت الإسلامي: فمن الأمور التي لابد أن يهتم بها المرضى مظهر المعالج العام من حيث التزامه بالسنة في شكله ومظهره، مع الالتزام بالتطبيق العملي قدر المستطاع لأصول الكتاب والسنة، واقتفاء آثار الصحابة والتابعين وسلف هذه الأمة وأئمتها.

● ومن صفاتهم محبة الخلوة بالمرأة الأجنبية: ومس جسدها، أو يدها، أو جبهتها، أو رقبتها، بحجة الضغط على الجني، والتضييق عليه، وتسويغ بعضهم لذلك - بتأويل باطل - بأنه مثل الطبيب المعالج.

مع أنه يجب على الراقي أن يكون حذرا في تعامله مع النساء وألا يقرأ عليهن إلا بوجود محرم، وأن تكون المرأة بحجابها الشرعي ولا تبدي أي شيء من زينتها.

● وإليك أخي القارئ في النهاية صورتين متباينتين لراقيين أحدهما ناصح والآخر جاهل:

أما الجاهل: فإن أهل الرقية الشرعية الناصحين يقررون أن القيء بعد الرقية - وحده- ليس دليلا كافيا على أن المصاب مسحور، بل يمكن أن يكون سبب ذلك عضويا. والمضحك أن أهل مريض (مصاب من مدة طويلة) أخبروني مرة بأن راقيا رقى أخاهم بالقرآن (وكان ذلك بعد الانتهاء من طعام الغداء مباشرة حيث أكل المريض فوق ما يحتاجه) وفي أثناء الرقية قال الراقي للمريض: «أليست لك رغبة في القيء؟» قال: «لا». فضغط الراقي على بطنه ضغطا قويا من الأسفل متجها نحو الأعلى فتقيأ المريض، فقال الراقي لأهل المريض: «أخوكم مسحور، وهذا الذي تقيأه الآن هو ما سحر به من زمن»، فابتسموا ولم يقولوا له شيئا. والحقيقة أنه ما تقيأ إلا تحت الضغط، وما تقيأ الا ما أكله في غدائه قبل قليل.

- إن رقاة من هذا النوع وممارسات مثل هذه تسيء الى الرقية والرقاة أكثر مما تحسن، وهي سبب من أسباب نفور بعض الناس من الرقية ومن الرقاة.

● أما الصورة الثانية فهي صورة ايجابية لراق ناصح، يحدثنا عن نفسه فيقول: جاءتني امرأة في يوم من الايام وطلبت مني رقية، فسألتها: «من أجل ماذا؟» قالت: «لأجل (الحظ)!» فقلت لها مازحا ومستنكرا: «إذا وجدت من يرقي الناس حتى يصبح حظهم طيبا مباركا فأنا أريد عندئذ أن أرقي نفسي قبلك أنت».

ثم أضاف قائلا للمرأة: إن الرقية الشرعية لا تشرع من أجل التخلص مما يسمى بـ «الحظ السيئ»، وإن قضاء الله لا يسمى حظا سيئا، ولا يقابل إلا بالإيمان بالقضاء والقدر وكذا بالرضا والصبر مع احتساب الأجر عند الله تعالى، ثم بالسعي نحو الأفضل في الحياة، ولا يصلح أبدا أن يعالج بالرقية الشرعية، ولو قال بعض الناس الجاهلين خلاف هذا.

وأخيرا وصيتي للرقاة: اتقوا الله ولا تجعلوا الله أهون الناظرين، ولا تستهينوا بآيات الله فإنه يمهل ولا يهمل ولا يغركم ستر الله فقد تهتك الأستار، ولا تأمنوا مكر الله، واتقوا الله في أمانات المسلمين، وتذكروا أن بيوتكم عورة، وكما تدين تدان فتوبوا الى الله وعودوا إليه من قبل ألا ينفع الندم قال تعالى: ﴿أن تقول نفس يا حسرتى على ما فرطت في جنب الله وإن كنت لمن الساخرين﴾ (الزمر: ٥٦).

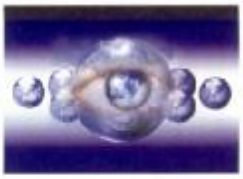

هدي النبي ﷺ في علاج السحر

- من كتاب زاد المعاد لابن القيم -

قد ثبت في الصحيحين عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت: «سُحر رسول الله ﷺ حتى إن كان ليخيل إليه أنه يأتي نساءه، ولم يأتهن. وذلك أشد ما يكون من السحر» (١). قال القاضي عياض: والسحر مرض من الأمراض، وعارض من العلل يجوز عليه ﷺ، كأنواع الأمراض مما لا ينكر، ولا يقدح في نبوته. وأما كونه يُخيل إليه أنه فعل الشيء ولم يفعله، فليس في هذا ما يدخل عليه داخلة في شيء من صدقه، لقيام الدليل والإجماع على عصمته من هذا، وإنما هذا فيما يجوز طروُّه عليه في أمر دنياه التي لم يُبعث لسببها، ولا فُضل من أجلها، وهو فيها عُرضة للآفات كسائر البشر، فغير بعيد أنه يُخيل إليه من أمورها ما لا حقيقة له، ثم ينجلي عنه كما كان.

والمقصود: ذكر هديه في علاج هذا المرض، وقد روي عنه فيه نوعان: أحدهما- وهو أبلغهما-: استخراجه وإبطاله، كما صح عنه ﷺ أنه سأل ربه سبحانه في ذلك، فدل عليه، فاستخرجه من بئر، فكان في مشط ومشاطة، وجُف طلعة ذكر (٢)، فلما استخرجه، ذهب ما به، حتى كأنما أنشط من عقال (٣)، فهذا من أبلغ ما يعالج به المطبوب، وهذا بمنزلة إزالة المادة الخبيثة وقلعها من الجسد بالاستفراغ.

والنوع الثاني: الاستفراغ في المحل الذي يصل إليه أذى السحر، فإن للسحر تأثيرًا في الطبيعة، وهيجان أخلاطها، وتشويش مزاجها، فإذا ظهر أثره في عضو، وأمكن استفراغ المادة الرديئة من ذلك العضو، نفع جدًا. وقد ذكر أبوعبيد في كتاب «غريب الحديث» له بإسناده عن عبدالرحمن بن أبي ليلى، أن النبي ﷺ احتجم على رأسه بقَرْن حين طب (٤)، قال أبوعبيد: معنى طب: أي سحر. وقد أشكل هذا على من قل علمه، وقال: ما للحجامة والسحر، وما الرابطة بين هذا الداء وهذا الدواء، ولو وجد هذا القائل أبقراط، أو ابن سينا، أو غيرهما قد نص على هذا العلاج، لتلقاه بالقبول والتسليم، وقال: قد نص عليه من لا يُشك في معرفته وفضله، فاعلم أن مادة السحر التي أصيب به ﷺ انتهت إلى رأسه إلى إحدى قُواه التي فيه بحيث يخيل إليه أنه يفعل الشيء ولم يفعله، وهذا تصرف من الساحر في الطبيعة والمادة الدموية بحيث غلبت تلك المادة على البطن المقدم منه، فغيرت مزاجه عن طبيعته الأصلية. والسحر: هو مركب من تأثيرات الأرواح الخبيثة، وانفعال القوى الطبيعية عنها، وهو أشد ما يكون من السحر، ولا سيما في الموضع الذي انتهى السحر إليه، واستعمال الحجامة على ذلك المكان الذي تضررت أفعاله بالسحر من أنفع المعالجة إذا استعملت على القانون الذي ينبغي. قال أبقراط: الأشياء التي ينبغي أن تُستفرغ يجب أن تُستفرغ من المواضع التي هي إليها أميل بالأشياء التي تصلح لاستفراغها. وقالت طائفة من الناس: إن رسول الله ﷺ لما أصيب بهذا الداء، وكان يُخيل إليه أنه فعل الشيء ولم يفعله، ظن أن ذلك عن مادة دموية أو غيرها مالت إلى جهة الدماغ، وغلبت على البطن المقدم منه، فأزالت مزاجه عن الحالة الطبيعية له، وكان استعمال الحجامة إذ ذاك من أبلغ الأدوية، وأنفع المعالجة، فاحتجم، وكان ذلك قبل أن يوحى إليه أن ذلك من السحر، فلما جاءه الوحي من الله تعالى، وأخبره أنه قد سُحر، عدل إلى العلاج الحقيقي وهو استخراج السحر وإبطاله، فسأل الله سبحانه، فدله على مكانه، فاستخرجه، فقام كأنما أنشط من عقال، وكان غاية هذا السحر فيه إنما هو في جسده، وظاهر جوارحه، لا على عقله وقلبه. ولذلك لم يكن يعتقد صحة ما يخيل إليه من إتيان النساء، بل يعلم أنه خيال لا حقيقة له، ومثل هذا قد يحدث من بعض الأمراض، والله أعلم.

العلاج بالأذكار والآيات

من أنفع علاجات السحر الأدوية الإلهية، بل هي أدويته النافعة بالذات، فإنه من تأثيرات الأرواح الخبيثة السفلية، ودفع تأثيرها يكون بما يعارضها ويقاومها من الأذكار والآيات، والدعوات التي تبطل فعلها وتأثيرها، وكلما كانت أقوى وأشد، كانت أبلغ في النُشرة (٥)، وذلك بمنزلة التقاء جيشين مع كل واحد منهما عدته وسلاحه، فأيهما غلب الآخر، قهره، وكان الحكم له، فالقلب إذا كان ممتلئًا من الله مغمورًا بذكره، وله من التوجهات والدعوات والأذكار والتعوذات ورد لا يخل به يطابق فيه قلبه لسانه، كان هذا من أعظم الأسباب التي تمنع إصابة السحر له، ومن أعظم العلاجات له بعدما يصيبه. وعند السحرة: أن سحرهم إنما يتم تأثيره في القلوب الضعيفة المنفعلة، والنفوس الشهوانية التي هي معلقة بالسفليات، ولهذا فإن غالب ما يؤثر في النساء، والصبيان، والجهال، وأهل البوادي، ومن ضعف حظه من الدين، والتوكل والتوحيد، ومن لا نصيب له من الأوراد الإلهية والدعوات والتعوذات النبوية، وبالجملة: فسلطان تأثيره في القلوب الضعيفة المنفعلة التي يكون ميلها إلى السفليات، قالوا: والمسحور هو الذي يُعين على نفسه، فإنا نجد قلبه متعلقًا بشيء كثير الالتفات إليه، فيتسلط على قلبه بما فيه من الميل والالتفات، والأرواح الخبيثة إنما تتسلط على أرواح تلقاها مستعدة لتسلطها عليها بميلها إلى ما يناسب تلك الأرواح الخبيثة، وبفراغها من القوة الإلهية، وعدم أخذها للعدة التي تحاربها بها، فتجدها فارغة لا عدة معها، وفيها ميل إلى ما يناسبها، فتتسلط عليها، ويتمكن تأثيرها فيها بالسحر وغيره والله أعلم.

هوامش

(١) أخرجه البخاري ١٠/١٩٩ في الطب: باب هل يستخرج السحر، ومسلم (٢١٨٩) في السلام: باب السحر.

(٢) هو من تمام حديث عائشة المتقدم، والمشط معروف، والمشاطة: هي الشعر الذي يسقط من الرأس أو اللحية عند تسريحه، والجف: وعاء طلع النخل، وهو الغشاء الذي يكون عليه، ويطلق على الذكر والأنثى، لذا قيده الحديث بقوله «طلعة ذكر».

(٣) انظر «الفتح» ١٠/٢٠٠.

(٤) لا يصح.

(٥) النشرة- بالضم-: ضرب من الرقية والعلاج يعالج به من كان يظن أن به مسًا من الجن، سميت نشرة، لأنه ينشر بها عنه ما ضاره من الداء، أي يكشف ويزال.

نقلا من كتاب زاد المعاد في هدي خير العباد لابن قيم الجوزية- رحمه الله-.

الرقية الزائفة.. مدخل أصحاب الأهواء

التحرير

أصبحت الرقية تحتل مكانة عند العديد من الناس خاصة في الفترة الأخيرة، وهي وإن كانت ثابتة عن النبي ﷺ، وفيها من الفوائد العظيمة ما لا يمكن لأحد إنكارها، إلا أنها أصبحت بوابة يدخل منها أصحاب الأهواء، حتى أصبح كثير من الناس لا يستطيع أن يميز الرقية المنضبطة بضوابط الشرع، بل يظن بعضهم أن كل من تصدر للعلاج القرآني أنه أهل له، وأن كل ما يفعله جائز، ولذا فإن من اللازم التنبيه إلى بعض المخالفات والملاحظات حتى يتميز الراقي الواقف عند الحدود الشرعية من غيره.

أولى هذه الملاحظات هي قيام بعض المعالجين بالتفرغ للرقية، بل جعلها مصدر رزقه وعمله وكسبه، وهذا أمر لم يفعله أحد من السلف لا من الصحابة ولا من التابعين، وحديث الرقية على قطيع من الغنم الذي يحتج به بعضهم ليس فيه دليل على تصرفهم هذا، لأن هذا الصحابي لم يجعل الرقية مصدر رزقه بحيث يتفرغ لها وإنما جاءت عرضا.

تقسيم الرقية

يقوم بعض المعالجين، خاصة أولئك الذين جعلوها مهنة للتكسب، بتقسيم الرقية إلى رقية خاصة ينفرد بها المريض ولا يشاركه فيها أحد، ورقية عامة يشترك فيها عدد من المرضى قد يصلون إلى العشرات، وجعلوا لكل رقية سعرا محددا، وهذا من التلاعب بالمرضى ومحاولة استنزاف أموالهم، والا فإن الأصل أن يقرأ الراقي على المريض بمفرده كما ثبت ذلك عن النبي ﷺ وأصحابه.

الجزم ببعض الغيبيات

من الملاحظات التي نراها منتشرة بين بعض المعالجين هي الكلام في بعض الأمور الغيبية والجزم بها، فنراه مثلا يجزم بأن هذا المريض مصاب بالعين مثلا أو بالسحر أو نحو ذلك، بناء على بعض الأسئلة التي يوجهها إليه، وبعضهم يذكر ذلك جزافا ليرى أنه مطلع وعنده علم ودراية. وكل ما يذكره هؤلاء لا دليل يقيني عليه وإنما هو نوع من التخمين، والأولى بالراقي أن يقرأ على المريض دون أن يحدد شيئا، فإن ظهرت له بعض القرائن فيقول قد يكون ذلك عينا، وليس هذا جزما أو نحو ذلك وينسب العلم لله وحده، وأسوأ من ذلك أن يذكر بعضهم صفات الجنس المتلبس به كما يزعم، فإذا قرأ على مريض ولم تظهر عليه علامات المس قال له إن هذا الجني أبكم، ومثل هذه الترهات التي تدل على جهل قائلها وقلة عقل مصدقها، فمن أين علم أن هذا الجني أبكم أو متكلم.

سؤال الجن وكثرة الكلام معهم

ومن الملاحظات، سؤال الجن المتلبس في حالة تكلمه وكثرة الخوض معه في أمور كثيرة، فتجد بعضهم يسأله عن سبب هذا السحر أو المرض أو نحو ذلك، فيبدأ هذا الجني في الكذب والتلاعب بهم ويوقع الفتن والشحناء والبغضاء بين الناس، بل ربما أدى ذلك إلى طلاق البعض.

وقد أخبر النبي ﷺ أن الجن كذابون، كما في قصة أبي هريرة رضي الله عنه عندما قال له «صدقك وهو كذوب»، أي أنه صدقك هذه المرة وهو في الأصل كذوب.

الاستعانة بالجن

وهذا قد يكون منتشرا عند بعض الراقين على أشكال متعددة، فبعضهم قد يطلب من الجني المتلبس بأحد المرضى أن يساعده في الحالات الأخرى ليعالجها، وبعضهم قد يكون على علاقة أصلا بالجن ويطلب منهم المساعدة، إما في تحديد المرض أو في العلاج أو غير ذلك. وهذا كله منهي عنه كما نبه إلى ذلك شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله.

عدم تعليق القلوب بالله

إن الواجب على الراقي أن ينبه المرضى الذين يقرأ عليهم إلى أن الشافي هو الله تعالى، وأنه لا يملك من هذا الأمر شيئا لأن كثيرا من المرضى يتعلقون بالأشخاص أكثر من تعلقهم بالله جل وعلا، فإذا غفل الراقي عن تنبيههم لمثل هذا الأمر زاد عندهم هذا التعلق مما يوقعهم في المحرم.

المبالغة في الضرب والأذى

يبالغ بعض المعالجين بضرب المريض ضربا مبرحا ظنا منه أن هذا يقع على الجن فقط، وقد يكون المريض ليس به شيء أصلا، فيقع الضرب كله عليه، مما يؤدي إلى إيذاء بدنه ونفسه، والواجب أن يتوكل على الله ويكثر من القراءة ولا يستخدم الضرب، وإن اضطر إليه فليكن خفيفا ويلحق بذلك أيضا الخنق والضغط على الأوداج.

مطالبة المريض بقراءة ما قد يعجز عنه

يقوم بعض الراقين بتحديد برنامج للقراءة يقوم به المريض، وهو لا يستطيعه لكونه مبالغا فيه مما يؤدي بالمريض إلى ترك القراءة واستحواذ اليأس عليه. والناظر في الشريعة الإسلامية يجدها تأمر باليسر والسهولة، والواجب على الراقي أن يحرص على أن تكون القراءة بخشوع وتدبر وصادرة من القلب مع استحضار النية.

الخلوة بالنساء بدون محرم

من الملاحظات أيضا خلوة بعض المعالجين بالنساء أثناء العلاج، وقد قال النبي ﷺ «لا يخلون رجل بامرأة إلا مع ذي محرم فإن الشيطان ثالثهما»، ومما يلحق بذلك وضع المعالج يده على المرأة أثناء القراءة عليها، بل يطلب منها تحديد مكان المرض ليضع يده عليه أثناء القراءة مدعيا أن ذلك يعين على إيذاء الجن ونحو ذلك، وهذا كله مخالف للنصوص الشرعية.

هذه بعض المخالفات الشرعية التي يقع فيها بعض المعالجين والتي يجب تجنبها والحذر منها وليعلم أنه كلما كانت الرقية موافقة للشريعة الإسلامية كلما كانت أنفع.

الاستعاذة

د. علي عفيفي غازي

ذكر العلماء أنه يسن للمسلم قبل بدء قراءة القرآن الكريم أن يستعيذ بالله من الشيطان الرجيم بأن يقول: أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم، استجابة لقوله تعالى: ﴿فإذا قرأت القرآن فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم﴾ (النحل: ٩٨). ومعناها ألتجئ وأحتمي من الشيطان الرجيم إلى الله سبحانه وتعالى ليحميني ويحفظني منه.

الإستعاذة من الشيطان الرجيم قبل قراءة القرآن هي لإبعاده قبل أن يبعدنا هو عن منهج الله

والشيطان في لغة العرب كل متمرد من الجن والإنس والدواب، وهو مشتق من شطن إذا بعد، فهو بعيد عن طباع البشر، والرجيم بمعنى مفعول أي مرجوم ومطرود من رحمة الله سبحانه وتعالى، وقيل رجيم بمعنى راجم لأنه يرجم الناس بالشكوك والوساوس.

وهذه الآية الكريمة تدعونا للاستعاذة بالله من الشيطان الرجيم قبل القراءة، ذلك لأن كل مخلوق إذا اتجه إلى خالقه، واستعاذ به يكون هو الأقوى برغم ضعفه.

وإبليس اللعين (وقد كان اسمه عزازيل وتعني بالعربية الحارث) دائمًا يأتي للإنسان من الباب الذي يجد فيه المنهج ضعيفًا، فإذا وجد إنسانا متشددا في ناحية يأتي له من ناحية أخرى، ويوسوس له فيها، فإذا كان الإنسان متشددا في الصلاة يأتي من ناحية المال ويوهمه أنه سوف يصبح غنيا إذا أكل حقوق الناس، ولم يخرج زكاة ماله، ولكن ذلك غير صحيح، لما رواه لنا الرسول ﷺ «ما نقص مال من صدقة» (رواه أحمد ومسلم والترمذي عن أبي هريرة).

فالصدقة هي التي تكثر المال وتنميه، وتضع فيه البركة، والمال هو مال الله، يموت الإنسان ويتركه، لأنه فقط مستخلف عليه.

ولذلك كانت الاستعاذة هنا لكي نبعد الشيطان الرجيم عن أنفسنا قبل أن يبعدنا هو عن منهج الله، وعن آياته، خاصة إذا كان هو يرانا، ونحن لا نراه، ولا نعرف أين هو، قال تعالى ﴿يا بني آدم لا يفتننكم الشيطان كما أخرج أبويكم من الجنة ينزع عنهما لباسهما ليريهما سوءاتهما إنه يراكم هو وقبيله من حيث لا ترونهم إنا جعلنا الشياطين أولياء للذين لا يؤمنون﴾ (الأعراف: ٢٧).

لذلك وجب علينا أن نستعيذ بقوة تستطيع أن تقهر الشيطان، وتدمره، وهي قوة الله سبحانه وتعالى، لأنه هو وحده القادر على أن يحمينا ويصفي قلوبنا من همزات الشياطين، لذلك قال تعالى ﴿وقل رب أعوذ بك من همزات الشياطين. وأعوذ بك رب أن يحضرون﴾ (المؤمنون: ٩٧- ٩٨).

فإذا استعنا بالله، فهو قادر على أن يصفي قلوبنا وأنفسنا من هذه الهمزات ليحسن استقبالنا للقرآن الكريم.

والشيطان قد قضى الله سبحانه وتعالى في أمره، مطرودًا من رحمته، وجعله رجيمًا مبعدًا، وهو يعرف أن مصيره النار، ويعتقد أن آدم هو السبب، عندما رفض إبليس السجود لآدم كما يروي لنا القرآن الكريم ﴿وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس أبى واستكبر وكان من الكافرين﴾ (البقرة: ٣٤). إذن صدر الأمر للملائكة من الله سبحانه وتعالى بالسجود، وهنا حدث الخلاف: كيف يسجد الملائكة لغير الله؟

وهذا موضوع استغله المستشرقون، والمتأسلمون، في محاولة للتشكيك في كلام الله عز وجل، وفي نبوة خاتم الأنبياء والمرسلين، وسيد الخلق أجمعين، محمد صلى الله عليه وسلم، ولكن هؤلاء المستشرقين لم يدركوا المعنى الحقيقي، فإن الله سبحانه وتعالى ميز آدم على الملائكة بعلم الأسماء ﴿قال يا آدم أنبئهم بأسمائهم فلما أنبئهم بأسمائهم قال ألم أقل لكم إني أعلم غيب السموات والأرض وأعلم ما تبدون وما كنتم تكتمون﴾ (البقرة: ٣٣).

ثم جاء الطلب من الملائكة ليسجدوا لآدم، والسجود هنا طاعة لأمر الله، وليس عبادة لآدم، وفي هذه الحالة لا يعتبر خروجا عن المنهج، لأن الأساس هو طاعة الله سبحانه وتعالى، وتكريمًا من الله سبحانه وتعالى لآدم عليه السلام.

ولكن هؤلاء المستشرقين مازالوا يشككون ويجادلون ويتساءلون، إن الأمر صدر من الله سبحانه وتعالى إلى الملائكة، ولم يصدر لإبليس فكيف يحاسبه الله سبحانه وتعالى على أمر لم يصدر إليه؟

ولكن إبليس وإن كان من

• دكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر

الجن إلا أن الأمر شمله في السجود، لأنه كان مع الملائكة، ولذلك يخبرنا الله سبحانه وتعالى قائلا ﴿فسجدوا إلا إبليس كان من الجن ففسق عن أمر ربه﴾ (الكهف:٥٠)، ﴿فسجد الملائكة كلهم أجمعون﴾ (الحجر:٣٠).

وعندما رفض إبليس السجود، كان السؤال ﴿قال يا إبليس ما منعك أن تسجد لما خلقت بيدي أستكبرت أم كنت من العالين﴾ (ص: ٧٥)، ﴿قال ما منعك ألا تسجد إذ أمرتك﴾ (الأعراف: ١٢).

لماذا لم تسجد يا إبليس إذ أمرتك أستكبرت أم كنت من المتعالين على أوامر الله سبحانه وتعالى، ولكن جاء هنا التكبر على أوامر الله، في رد إبليس اللعين الرجيم، حينما قال له ﴿أأسجد لمن خلقت طينًا﴾ (الإسراء: ٦١)، ﴿قال أنا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين﴾ (الأعراف: ١٢).

وقد كان إبليس كما جاء في الأثر يسمى طاوس الملائكة، وكان يزهو بخيلاء بينهم، وهذا الكبر هو الذي جعله يقع في المعصية، ولأن إبليس خلق مختارًا، فقد كان مزهوًا باختياره لطاعة الله سبحانه وتعالى، إلا أنه تكبر، ولم يجاهد نفسه على الطاعة، ومضى مغرورًا في غروره، الذي قاده إلى المعصية، وامتنع عن إجابة أمر الله سبحانه وتعالى حينما أمره بالسجود لآدم، وهنا صدر الأمر الإلهي بطرده من رحمته وجعله رجيمًا.

وعندما عرف إبليس أنه طرد من رحمة الله سبحانه وتعالى، وأصبح محكومًا عليه بالعذاب الأبدي، طلب من الله سبحانه وتعالى أن يمهله إلى يوم القيامة، وألا يقبض روحه إلا ساعة النفخ في الصور، كما يروي القرآن الكريم ﴿قال رب فأنظرني إلى يوم يبعثون﴾ (ص: ٧٩).

ونلاحظ في هذه الآية الكريمة أن إبليس خاطب الله سبحانه وتعالى بقوله ربي، ولم يقل إلهي، لأنه خاطب الله سبحانه وتعالى رب المؤمن والكافر، وذلك لأن الله سبحانه وتعالى له عطاء ربوبية لأنه رب الجميع، وعطاء ألوهية لمن آمن به وحده لا شريك له، وهو عطاء يعطيه للمؤمن وحده في الآخرة عندما تنتهي دنيا الأسباب.

ونجد أن إبليس الرجيم عندما عصى لم يبادر بالتوبة والرجوع إلى الله سبحانه وتعالى، والعودة إلى الحق، ولم يطلب السماح، ومن هنا أنذره الله سبحانه وتعالى إلى يوم القيامة ﴿قال فاهبط منها فما يكون لك أن تتكبر فيها فاخرج إنك من الصاغرين﴾ (الأعراف: ١٣).

وفي هذه الآية الكريمة نجد هبوطًا لإبليس يستدعي القول بأنه كان في مكان عال، ولكن ليس بالضرورة ذلك، فربما يكون هبوطًا في المنزلة، والمكانة، والقيمة، ولهذا ليس بالضرورة كما يروي بعض المفسرين أن إبليس كان يقطن الجنة، أو يقطن منزلة عالية في السماء ثم أهبطه الله سبحانه وتعالى منها، فربما يكون هبوطًا ونزولًا معنويًا، بحيث أصبح لا يساوي شيئًا، وأصبح من الصاغرين.

وعندما طرد إبليس من رحمة الله وخرج صاغرًا ذليلًا من المقام الذي كان فيه، توجه إلى الحق سبحانه وتعالى كما يروي القرآن الكريم ﴿قال فأنظرني إلى يوم يبعثون﴾ (الأعراف: ١٤).

وهكذا عاد إبليس إلى المذلة، وطلب من الله سبحانه وتعالى أن يبقيه حيًا إلى يوم القيامة، وفي هذا أشد المذلة، لأنه لو كان قادرًا على إبقاء نفسه حيًا، لما طلب ذلك من الله سبحانه وتعالى، ليبقيه حيًا إلى يوم القيامة.

ولكن لماذا استجاب الله سبحانه وتعالى لدعاء إبليس؟ وقد كان قادرًا على أن يهلكه في التو واللحظة، وقال له ﴿قال فإنك من المنظرين. إلى يوم الوقت المعلوم﴾ (الحجر: ٣٧- ٣٨)، ﴿قال إنك من المنظرين﴾ (الأعراف: ١٥).

لقد استجاب الله سبحانه وتعالى لإبليس، وهو المطرود من رحمته لأن حكمة الله في خلق الدنيا لا تكتمل إلا بذلك، لأن الدنيا دار اختبار، ولذلك كان لابد للعبد أن يمر باختبار في الحياة الدنيا، وأن يمتحن قبل أن يجازى.

اقرأ قول الحق تبارك وتعالى: ﴿أم حسبتم أن

تدخلوا الجنة ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ويعلم الصابرين﴾ (آل عمران: ١٤٣)، وقال تعالى: ﴿وليبتلي الله ما في صدوركم وليمحص ما في قلوبكم والله عليم بذات الصدور﴾ (آل عمران: ١٥٤).

ولو أراد الله سبحانه وتعالى أن يخلق عباده مقهورين على الطاعة لخلقهم، ولكنه أرادهم مختارين ليأتوه عن رغبة وحب مع مقدرتهم على المعصية، ولذلك نجد الشيطان لا يأتي من طريق المعصية، بل إنه يأتي في طريق الحق، طريق الخير، قال تعالى: ﴿قال فبما أغويتني لأقعدن لهم صراطك المستقيم﴾ (الأعراف: ١٦).

أي لأقعدن لهم طريقك ومنهجك المستقيم، الذي ارتضيت لهم، ولذلك نجد أن الشيطان يدخل للإنسان من باب أن الله سبحانه وتعالى لا يحتاج لعبادة الإنسان، فطاعتك لله سبحانه وتعالى لا تزيد في ملكه شيئًا، ومعصيتك لا تنقص من ملكه شيئًا، ولذلك كان قسمه بعزة الله سبحانه وتعالى أنه سيقوم بغواية البشر جميعًا ﴿قال فبعزتك لأغوينهم أجمعين﴾ (ص: ٨٢).

وذلك بأن يتبعهم في الطريق المستقيم، طريق الخير، أما الطرق غير المستقيمة، فلا حاجة للشيطان أن يقعد عليها، فلا يجلس على أبواب أماكن شرب الخمور، وذلك لأن المرتادين لهذه الأماكن لا

يحتاجون للغواية، فهم جنود الشيطان ليسوا بحاجة إلى الوسوسة والغواية.

ولكن إبليس مع ذلك ليست سلطته شاملة الجميع؛ فقد استثنى من ذلك عباد الله المخلصين، قال تعالى ﴿إلا عبادك منهم المخلصين﴾ (ص: ٨٣). ﴿إن عبادي ليس لك عليهم سلطان إلا من اتبعك من الغاوين﴾ (الحجر: ٤٢).

إن الشيطان يجلس على أبواب المساجد وأماكن العبادة، ولذلك يحاول أن يغوي الناس ليتركوا الصلاة، فإذا رفع المؤذن الأذان؛ يحاول إغواء العبد بأي شيء من أمور الدنيا حتى لا يذهب إلى الصلاة.

وأذكر قصة عن الإمام أبي حنيفة رحمه الله، وقد كان مشهورًا بالفتوى في أمور الدين، فقد جاءه رجل ذات يوم، وقال يا إمام ضاعت مني نقودي، فقد دفنتها في مكان من الأرض، ونزل السيل فأخفى عني مكان النقود، وأزال الحجر الذي وضعته علامة على المكان، ولا أدري ماذا أفعل؟ فقال الإمام أبوحنيفة: وبم أفتيك في هذا الأمر؟ ولكن الرجل ألح، فقال له الإمام: اذهب الليلة بعد صلاة العشاء وقف أمام ربك متهجدًا إلى أن يطلع الفجر، وقل لي ما سوف يحدث.

وعندما جاءت صلاة الفجر جاءه الرجل متهللًا، وقال لقد وجدت مالي، فسأله الإمام أبوحنيفة كيف؟ فقال الرجل: ما كدت أقف للصلاة حتى تذكرت مكان النقود، ومتى نزل السيل، وكيف سار، وهكذا قست المسافة، وقدرتها، فعرفت موقع النقود.

فضحك الإمام أبوحنيفة رحمه الله، وقال: لقد علمت أن الشيطان لن يدعك تتم ليلتك مع ربك!

وهكذا نجد أن الشيطان عندما عرف أن هذا الرجل سيقوم ليلته مع ربه متهجدًا، أسرع ليرشده إلى مكان افتقاد النقود حتى يمنعه من الاستمرار في الصلاة، والاستمرار في ذكر الله، وهذا يفسر وقوفه على الطريق المستقيم، طريق الخير والبر، ليغري الإنسان بأي شيء من أمور الدنيا.

ولكن الشيطان حينما تعرض بعد ذلك للأماكن التي يمكن أن يأتي منها للإنسان، امتنع عن ذكر مكانين، وهما الأعلى والأسفل، قال تعالى ﴿ثم لآتينهم من بين أيديهم ومن خلفهم وعن أيمانهم وعن شمائلهم ولا تجد أكثرهم شاكرين﴾ (الأعراف: ١٧).

ونجد أنه لم يذكر الأعلى لأنه مكان صعود الدعاء، ومكان صعود الأعمال الصالحة لله سبحانه وتعالى، كما أنه لم يذكر الأسفل لأنه مكان السجود والخضوع لله سبحانه وتعالى، وكلاهما مكانان لا يستطيع الشيطان أن يأتي منهما للإنسان لأنهما مكانان مباركان تحفهما الملائكة، ولا تقربهما الشياطين.

ولكن، لنا هنا وقفة، هل اطلع إبليس على الغيب وعلم أن أكثر الناس لا يشكرون؟ وسنجد الإجابة في كتاب الله القرآن الكريم الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه فيخبرنا في آية أخرى ﴿ولقد صدق عليهم إبليس ظنه فاتبعوه إلا فريقًا من المؤمنين﴾ (سبأ: ٢٠).

إذن لقد كان ما قاله إبليس من مجال الظن فقط، فلم يكن يعلم غيبًا، ولا يدري ما سيحدث في المستقبل، ولكن الحكم الإلهي قد صدر بأن إبليس طرد من رحمة الله، ومن الجنة، وأصبح مذمومًا ملعونًا، ولكن ليس هو فقط، بل هو وكل من

اتبعه من الإنس والجن، مصيرهم جميعًا الخلود في النار، حتى ولو عصى الخلق جميعًا ستسعهم النار. قال تعالى: ﴿قال فاخرج منها مذءومًا مدحورًا لمن تبعك منهم لأملأن جهنم منكم أجمعين﴾ (الأعراف: ١٨).

إننا نجد أن الله سبحانه وتعالى أخبرنا في القرآن الكريم، أن هناك نزغًا للشيطان، وهمزًا، ووسوسة، ومًا، وبكل هذه الطرق الخبيثة يتدخل الشيطان إلى النفس البشرية ليحولها عن الطريق المستقيم إلى طريق جهنم وبئس المصير. فمثلا إذا وجد إبليس الإنسان متشددًا في ناحية الصلاة، جاء له من ناحية المال.

لذلك نجد أن الله سبحانه وتعالى حذرنا من الطرق التي يستخدمها الشيطان دائمًا للإيقاع بخلقه في المعصية، فقال تعالى ﴿يأيها الذين آمنوا إنما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون﴾(المائدة:٩٠).

ولهذا فإن من سلك أي طريق من هذه الطرق فإنه يرتكب عملًا من الأعمال التي زينها الشيطان للإنسان، ليصرفه عن عبادة الله ويوقعه في الحرام.

إننا نجد أن الشيطان يتبع ثلاث مراحل: النزغ، المس، اللمس، والنزغ من الشيطان هو أن يدخل إلى خاطرك مهيجًا نفسك ليثير فيها الغضب، ليجعلنا الغضب نتصرف تصرفات حمقاء لا تتفق مع العقل والدين.

الشيطان يتبع ثلاث مراحل للإغواء هي النزغ والمس واللمس

عن عدي بن ثابت عن سليمان بن صرد، قال: «كنت جالسًا مع النبي ﷺ، ورجلان يستبان، فأحدهما احمر وجهه، وانتفخت أوداجه، فقال ﷺ إني لأعلم كلمة لو قالها لذهب عنه ما يجد لو قال «أعوذ بالله من الشيطان الرجيم».

ومن هنا كان التحذير عند أول مرحلة، وهي مرحلة النزغ بالاستعاذة لتسد مداخل الشيطان إلى النفس البشرية لأن الإنسان إذا استعاذ بالله في تلك المرحلة يدخل في إطار الإبصار الصحيح للحقيقة، ويتجه إلى التصرف الصحيح، لأن الاستعاذة بالله وحده من نزغ الشيطان لأنه هو وحده القادر على قهره، وقهر نزغه.

قال تعالى: ﴿إن الذين اتقوا إذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا فإذا هم مبصرون﴾ (الأعراف: ٢٠١).

معنى الاستعاذة

الاستعاذة معناها استدعاء عصمة الله من الشيطان، وهي الالتجاء والحماية من الشيطان الرجيم إلى الله سبحانه وتعالى.

والشيطان من أصل شطن أي بعد عن الخير، ولذلك سمي شيطانًا لبعده عن الخير والصلاح. والرجيم تعني المرجوم لأنه يرجم بالنجوم عند استراق السمع، قال تعالى: ﴿ولقد زينا السماء الدنيا بمصابيح وجعلناها رجومًا للشياطين﴾ (الملك: ٥).

وقيل مرجوم باللعنة والمقت وعدم الرحمة. وقيل الرجيم من الراجم لأنه يرجم غيره بالإغواء، ومن هنا كانت الاستعاذة لدرء وساوسه ورجومه.

بعض المشعوذين يستخدمون عسل النحل في الرقية

حكم الاستعاذة عند كل قراءة

أجمع الفقهاء على مشروعية الاستعاذة لقراءة القرآن، لقوله تعالى: ﴿فإذا قرأت القرآن فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم﴾ (النحل: ٩٨).

وقال أكثر العلماء: إن الاستعاذة تشرع لإرادة القراءة، وهو ما أجمع عليه العلماء الأربعة وغيرهم، وذلك تمسكًا بما دعت إليه الآية الكريمة.

أما البعض فقد قال: إن الاستعاذة بعد القراءة، وذلك عند ابن سيرين وأبي هريرة لما روي عنه أنه تعوذ بعد قراءة الفاتحة في الصلاة، وقيل لأنه نسيها قبلها، وقيل لأجل ما يقرأ بعدها.

ولكن الأصل في الاستعاذة قبل القراءة، وذلك لأسباب عدة:

١- أن القرآن شفاء لما في الصدور، ويذهب ما يلقيه الشيطان من وساوس، ولذلك شرع التعوذ لدفع الداء ليخلو القلب منه لتصادف القراءة مكانًا نقيًا فتؤثر فيه.

٢- أن القرآن مادة الهدى والخير في القلب، والشيطان نار يحرق الخير والهدى، لذلك شرعت الاستعاذة أولا لئلا يفسد ما يحصل من القرآن.

٣- أن الملائكة تدنو من قارئ القرآن، والشيطان عدو للملك، لذلك أمر القارئ بالاستعاذة ليبعد عدوه حتى تحفه الملائكة. وهذا يتفق مع

الحديث المروي عن أسيد بن حضير أنه عندما كان يقرأ القرآن فرأى مثل الظلة فيها مثل المصابيح، فقال النبي ﷺ «تلك الملائكة دنت لصوتك، ولو قرأت لأصبحت ينظر الناس إليها لا تتوارى عنهم» (رواه البخاري).

٤- أن الشيطان يجلب على القارئ بخيله وبرجله، حتى يشغله عن تدبر القرآن وفهمه، فلا يكمل به الانتفاع لذلك كانت مشروعية الاستعاذة بالله منه.

٥-أن الشيطان يكون أحرص ما يكون على الإنسان عندما يهم بالخير ويدخل فيه ليفسده عليه، ولذلك شرعت الاستعاذة منعا لنزغ الشيطان.

حكم الاستعاذة في الصلاة

ذهب غالبية العلماء لوجوب الاستعاذة في الصلاة استجابة للآية الكريمة، ولكن ذهب الإمام الشافعي إلى القول بالتعوذ في كل ركعة، أما الإمام أبوحنيفة فقال إذا تعوذ في الركعة الأولى فإنه تعوذ للصلاة كلها.

عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: كان رسول الله ﷺ إذا قام إلى صلاة الليل كبر ثم يقول «سبحانك اللهم وبحمدك وتبارك اسمك وتعالى جدك ولا إله غيرك»، ثم يقول «أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم من همزه ونفثه» (رواه أحمد والبخاري والترمذي).

أشكال الاستعاذة

١- أعوذ بالله من الشيطان الرجيم.

٢- أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم.

٣- أعوذ بالله من الشيطان الرجيم إنه هو السميع العليم.

٤- أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم إنه هو السميع العليم.

٥- اللهم إني أعوذ بك من الشيطان الرجيم من همزه ونفخه ونفثه.

٦- أستعيذ بالله من الشيطان الرجيم.

٧- أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم من همزات الشياطين وأعوذ بالله أن يحضرون إن الله هو السميع العليم.

٨- أعوذ بالله العظيم من الشيطان الرجيم.

٩- أعوذ بالله القوي من الشيطان القوي.

١٠- أعوذ بالله المعين من الشيطان اللعين.

مواطن الاستعاذة

المسلم لا يملك دفعًا لشر الشيطان وردًا لوسوسته ومكائده دون الاستعاذة بالله من هذا العدو الذي لا يرجى الصلح معه إلى يوم القيامة، وقد ذكر الحافظ ابن كثير في تفسيره أن التوجيه بطلب الاستعاذة ورد في عدة آيات قرآنية منها قوله تعالى: ﴿ادفع بالتي هي أحسن السيئة نحن أعلم بما يصفون. وقل رب أعوذ بك من همزات الشياطين وأعوذ بك رب أن يحضرون﴾ (المؤمنون: ٩٧-٩٨). وقوله تعالى: ﴿خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين. وإما ينزغنك من الشيطان نزغ فاستعذ بالله إنه سميع عليم﴾ (الأعراف: ٢٠٠).

المسلم لا يملك دفعاً لشر الشيطان وردا لوسوسته ومكائده دون الاستعاذة بالله تعالى

والمعنى المتضح من هذه الآيات يكشف عن مدى عداوة الشيطان لبني آدم، إذ في الوقت الذي يأمر فيه الله الإنسان بالعفو والصفح عن عدوه الإنسي، يرشده لضرورة الاستعاذة بالله من عدوه الشيطاني، ذلك أنه لا يقبل إحسانا، ولا يلين بمودة وغفران، لأنه لا يبغي غير هلاك ابن آدم، وذلك يتفق مع قوله تعالى: ﴿إن الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدوا إنما يدعو حزبه ليكونوا من أصحاب السعير﴾(فاطر: ٦).

والاستعاذة تكون بقول المسلم «أعوذ بالله من الشيطان الرجيم» وهو اللفظ الذي عليه الجمهور من العلماء في التعوذ، وكما أوضحنا يعني الاستجارة بالله من أن يضرني الشيطان في ديني ودنياي، أو يصدني عن فعل ما أمرت به، أو يحثني على فعل ما نهيت عنه، لأن الشيطان لا يكفه عن الإنسان إلا الله.

وهناك أوقات ومواضع لترديد صيغة الاستعاذة وهي:

أولا: عند قراءة القرآن، لقوله تعالى: ﴿فإذا قرأت القرآن فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم﴾ (النحل: آية ٩٨).

ثانيا: عند الغضب للواقعة التي سبق أن ذكرناها والتي قال فيها رسول الله ﷺ وهو يرى الرجلين يتشاجران وأحدهما تحمر عيناه، وتنتفخ أوداجه: «إني لأعلم كلمة لو قالها لذهب عنه الذي يجد، أعوذ بالله من الشيطان الرجيم».

ثالثا: عند الوسوسة في الإيمان، لقوله ﷺ «يأتي الشيطان أحدكم فيقول من خلق كذا، من خلق كذا، حتى يقول من خلق ربك؟ فإذا بلغه فليستعذ بالله ولينته».

رابعا: عند رؤية ما يكره في الحلم، قال رسول الله ﷺ «إذا رأى أحدكم الرؤيا يكرهها فليبصق عن يساره ثلاثًا، وليستعذ بالله من الشيطان ثلاثًا، وليتحول من جنبه الذي كان عليه».

خامسًا: عند دخول المسجد، فقد كان رسول الله ﷺ إذا دخل المسجد قال: «أعوذ بالله العظيم، وبوجهه الكريم، وسلطانه القديم، من الشيطان الرجيم».

سادسًا: عند دخول الخلاء، فقد كان رسول الله ﷺ إذا دخل الخلاء قال: «اللهم إني أعوذ بك من الخبث والخبائث»، والخبث والخبائث هم ذكران وإناث الشياطين.

عبادة السيد نوح nooh22@hotmail.com

أنحمل هم الإنسانية؟!

لماذا تتوه خطى الأمة يمينا ويسارا وعندها خريطة الصراط المستقيم؟ ولماذا تتخبط في تطبيق الأحكام والقواعد التي تنبع من المنهج الذي أهداه الله لأمتنا الإسلامية؟ أنحمل هم الإنسانية في حياتنا أم نحمل غثاء؟ وماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين؟ تساؤلات عديدة تجول بخاطر الكثير من أبناء هذا الدين الغيورين.

الواقع المرصود بعين موضوعية يبين أن البشرية كلها تسير نحو الهاوية والانحطاط الاجتماعي والثقافي والاقتصادي، وذلك لتراجع أبناء الإسلام عن تأدية دورهم الحقيقي في الأرض، ذلك الدور المتمثل في الاستخلاف وقيادة العالم إلى حياة السعادة الدنيوية والنجاة الأخروية.

والمتأمل في أحوال الأمة يجد أن مشكلتها الرئيسية هي الفرد، لأن صلاح المجتمع من صلاح الفرد، لذا نعيش حالة من الجمود الفكري والعلمي والدعوي والحركي بصورة ملحوظة تجاه قضايا المسلمين والإنسانية.

كذلك نعاني من التدين الأعرج القائم على عبث التطبيق، حيث يعتقد كثير من الناس أن العبادات الظاهرة فقط هي الدين ، في الوقت الذي أضحت فيه المعاملات والأخلاقيات والآداب في خبر كان، وكأننا مجتمعات مريضة بالتزييف والخداع.

فلا يكفي أن يكون أفراد المجتمع ملتزمين بالمناسك الدينية، لأن الأهم الوعي بالمقاصد التي تحولها إلى سلوك اجتماعي في معاملاتهم، لذا نرى تزايد أعداد المصلين والصائمين والمعتمرين والحجاج مع غياب الأثر الدائم لذلك على قيمنا ومبادئنا وأخلاقياتنا وتعاملاتنا..

فالذنب المجتمعي أخطر من الذنب التعبدي، فنحن لا نتحرز للمعاملات في مقابل قيامنا للعبادات رغم أن الأمر يصل إلى حد ذنوب العبادات، لأن ذنوب المعاملات لا تغفر إلا برد المظالم وإرجاع الحقوق.

لذا فإن قضية الهم تعد أمرا تعبديا يؤجر عليها الإنسان كما يؤجر على الفرح لنصر الدين وتمكينه، روى البخاري عن أنس، ومسلم عن جابر، قال رسول الله ﷺ «إن بالمدينة أقوامًا ما سرتم مسيرًا ولا قطعتم واديًا إلا كانوا معكم حبسهم العذر».

والهم الإيجابي هو بمثابة الزاد للعمل لإنقاذ البشرية من براثن المادية المتوحشة، لا الهم المثبط المقعد عن العمل، ولكن ما شروط الهم المطلوب حمله؟

ينبغي أن يتصف كل مهموم بشعور فياض يملك عليه لبه ومشاعره، حزنه وفرحه، غضبه وسروره، والإحساس بالتحدي مع النفس في ضرورة تبليغ هذا الدين لكل بقعة على هذه الأرض بمختلف الوسائل الممكنة سواء كانت تقليدية أو حديثة، والتفكير المستمر في سبل نهضة الأمة الإسلامية لكي تؤدي دور الشهادة على العالمين.

إن من يحمل هم الإسلام يجب أن يتأمل في قضية الإسلام الكبرى وهي الإصلاح الشامل، والتغيير الأخلاقي للإنسان، وإقامة الصرح الروحي الرباني، وبناء العلاقات المرتبطة بمصلحة الإسلام.

إن العالم اليوم في أمس الحاجة للإسلام الصافي..الإسلام الفطري.. الإسلام الحقيقي الذي شوهه أبناؤه في الآفاق المختلفة. فلو أثرت صلاة التراويح في أكثر من مليوني مسلم في ليلة السابع والعشرين من رمضان بالمسجد الحرام من كل عام لتغيرت حياة البشرية وصرنا نسوس العالم للصلاح والفلاح.

ويمكن القول أن قضية التفكر والتدبر في الإسلام وقضاياه ومشاكله ليل نهار بصورة المهموم الذي وهب حياته كلها للدين هي الترجمة العملية لخدمتنا للبشرية بالصورة التي طلبها الله من المسلمين، وعليه فإنه يمكن اعتبار الأجيال اليوم واقفة أمام مفترق طرق إما النجاح في إنقاذ البشرية أو الفشل في إنقاذ النفس.

ولكي نخدم الإسلام بالصورة الصحيحة لابد من العزم والصدق في الإخلاص، ومعرفة الطريق المستقيم، والاستفادة من جميع الظروف المتاحة والإمكانات المتوافرة، وتقديم حظ الإسلام على الحظوظ النفسية والمادية، وسلك سبل العلماء والدعاة والمصلحين، والبعد عن الكسل والضعف والخور، ووهبه جزءًا من همومنا، وإعطائه بعضا من أوقاتنا وأفكارنا وأموالنا، ليصبح شغلنا الشاغل وديدننا المتواصل.

أخيرا: إن الإنسانية في حاجة ضرورية لكل مسلم رباني غيور على دينه وعقيدته.. متقن لعمله.. لأن المسلم أساس بناء الإنسان الوجداني والعقلي في هذا الكون.

والله ولي التوفيق

الوصايا المهمّة المأثورة عن حكيم الأمّة

د.وليد محمد العلي *

اعلموا رحمني الله وإيّاكم أنّ مما يُرقّق الطباع: فيعظ القلوبَ ويُشنّف الأسماع، ويدعو أصحابها إلى الاتّباع ما جاء في وصايا السّلف، التي هي من أجل المواعظ التُّحف.

وحسبنا من وصايا السّلف التي تعلي الهمّة، وصايا ومواعظ حكيم هذه الأمّة، الذي هو أوّل قضاة الشّام، وصدرُ قرّائها الأعلام، وخيرٌ له من هذه الفضائل العظام، حُسنُ صحابته لخير الأنام، عليه أفضل الصّلاة وأزكى السّلام، إنّه عامرٌ الأنصاريّ الملقّب بعُويمر أحدُ رجالات الخزرج الفضلاء، المعروف والمشتهر بكنيته أبي الدّرداء ﷺ.

فدونكم هذه الوصايا والمواعظ والحِكم الزّاخرة، التي تُصلح لمن اتّعظ بها شُؤون الدّين والدّنيا والآخرة.

من رامَ من المؤمنين الإمامة في الدّين، فعليه بإزار الصّبر ورداء اليقين، وثمرة الصّبر الرّضا بالأحكام، وثمرة اليقين الإخلاص مع الاستسلام، وقد قال أبوالدّرداء ﷺ ذروة الإيمان الصّبر للحكم، والرّضا بالقدر، والإخلاص للتّوكّل، والاستسلام للربّ عز وجل.

ومن حُرم في عمله ثمرةَ اليقين وهو الإخلاصُ للربّ: فلا انتفاع بما يدّعيه الجسد من خُشوع القلب، كما قال أبوالدّرداء ﷺ استعيذوا بالله من خُشوع القلب، قيل: وما خُشوع القلب؟ فقال أبوالدّرداء ﷺ أن يُرى الجسدُ خاشعا، والقلب ليس بخاشع.

ومن حُرم الاتّباعَ في العمل كان هواهُ قائدَه إلى الزّلل، لذا قال أبوالدّرداء ﷺ إذا أصبح الرّجل اجتمعَ هواهُ وعمله، فإن كان عمله تابعاً لهواه، فيومه يومُ سوء، وإن كان هواه تبعا لعمله فيومه يومٌ صالحٌ.

فما ابتلي عبدٌ بمتابعة هواه إلا أبغضه ربُّه ومولاه، فقد قال ابن أبي ليلى، رحمه الله تعالى: كتب أبوالدّرداء ﷺ إلى مسلمة بن مخلد الأنصاريّ رحمه الله تعالى فقال: سلامٌ عليك، أمّا بعد: فإنّ العبد إذا عمل بمعصية الله أبغضه الله، فإذا أبغضه الله بغّضه إلى عباده.

فإن العباد ليس بينهم وبين الله تعالى صلةٌ ولا نسبٌ، إلا ما قدّموه لأنفسهم من عمل صالح ولنعم السّبب، كما قال جُبير بن نُفير رحمه الله تعالى: «لمّا فُتحت قبرس مُرّ بالسّبي على أبي الدّرداء ﷺ فبكى، فقلت له تبكي في مثل هذا اليوم الذي أعزّ الله فيه الإسلام وأهله؟ فقال أبوالدّرداء ﷺ يا جُبير بينا هذه الأُمّة قاهرة ظاهرة إذ عصوا الله، فلقُوا ما ترى، ما أهون العبادَ على الله إذا هم عصوه.

وإنّ خير وصيّة للسّابقين واللاحقين، هي الوصيّة بالخشية من ربّ العالمين، ولا سبيل إلى الخشية إلا بالفقه في الدّين، فليحرص المُسلم على أن يكون من المُتعلّمين، فإنّ المُتعلّم شريك في أُجور العلماء الرّبّانيّين، لذا قال أبوالدّرداء ﷺ ما لي أرى علماءكم يذهبون، وجُهّالكم لا يتعلّمون، تعلّموا فإنّ العالم والمُتعلّم شريكان في الأجر.

فليجتهد من أكرم الله تعالى بالعلم بالشّرع، على العمل بما أحاط به فهو من أشراط النّفع، فقد قال أبوالدّرداء ﷺ لن تكون عالما حتّى تكون مُتعلّماً، ولا تكون مُتعلّماً حتّى تكون بما علمتَ عاملاً، إنّ أخوف ما أخاف إذا وقفتُ للحساب أن يُقال لي: ما عَمِلْتَ فيما عَلِمْتَ؟.

فترك المُتعلّم للعمل بأحكام الشّريعة، أسوأ حالاً ممّن طوّقته رُسومُ الجهل الوضيعة، كما قال أبوالدّرداء ﷺ ويلٌ للذي لا يعلم مرّة، وويلٌ للذي يعلم ولا يعمل سبع مرّات.

وذلك أنّ العالم بالفرائض الآمرة والزّاجرة، سترقبُه عينُ السّؤال الباصرة، لذا قال أبوالدّرداء ﷺ أخوف ما أخاف أن يُقال لي يوم القيامة: أعلمتَ أم جهلتَ؟ فإن قلتُ: علمتُ، لا تبقى آيةٌ آمرةٌ أو زاجرةٌ إلا أخذت بفريضتها، الآمرة: هل ائتمرت؟ والزّاجرة: هل ازدجرت؟ فأعوذ بالله من علم لا ينفع، ونفس لا تشبع، ودعاء لا يُسمع.

لذا كانت مسؤولية العلماء العاملين عظيمة، ومسؤولية الأمّة تجاههم جسيمة، فلا يُحبّ العلماء العاملين إلا أصحاب القُلوب السّليمة، ولا يُبغضهم وينتقصهم إلا

* أستاذ العقيدة في جامعة الكويت وإمام وخطيب المسجد الكبير في دولة الكويت

أصحاب القُلوب السّقيمة، فقد قال أبو الدّرداء رضي الله عنه اطلبوا العلم، فإن عجزتم فأحبّوا أهله. فإن لم تُحبّوهم فلا تُبغضوهم.

فالعامل بعلمه مع نومه وإفطاره؛ رُبّما سبق الجاهل العابد مع اغتراره، كما قال أبو الدّرداء رضي الله عنه يا حبّذا نوم الأكياس وإفطارهم، كيف يغبنون سهر الحمقى وصومهم، ومثقال ذرّة من برّ مع تقوى ودين، أعظمُ وأفضل وأرجحُ من أمثال الجبال من عبادة المُغترّين.

فهل سأل المؤمن نفسه ما الذي يُحبّبه في طول البقاء؟ ثُمّ ليُطابق ما زوّره في نفسه مع ما ذكره أبو الدّرداء، فقد قال رضي الله عنه لولا ثلاثٌ ما أحببتُ البقاء: ساعة ظمأ الهواجر، والسّجود في اللّيل، ومُجالسةُ أقوام ينتقون جيّد الكلام كما يُنتقى أطايب الثّمر.

فذكر رضي الله عنه من جُملة ما يُحبّبه في البقاء مُجالسة الطّيّبين من الأخلاء الأتقياء الأنقياء، الذين لا يُشركونك في إثم الغيبة ولا النّميمة، ولا يُفلسونك ممّا اكتسبته من الأجور العظيمة. بخلاف مَنْ إذا ولّيت مجلسه ولك إدبارٌ وإعراضٌ، انتهك حُرمتك وقرض عرضك بكُلّ مقراض. لذا قال أبو الدّرداء رضي الله عنه أدركت النّاس ورقًا لا شوك فيه، فأصبحوا شوكًا لا ورقة فيه، إن نقدتهم نقدوك، وإن تركتهم لا يتركوك. قيل: فكيف نصنع؟ فقال أبو الدّرداء رضي الله عنه تُقرضهم من عرضك ليوم فقرك.

وهؤلاء لا حيلة لمن ابتلي بهم إلا بمُداراتهم إذا لقيهم في المجالس والدُّروب، ويجعل بُغضَ أفعالهم وكراهية أقوالهم واستكاف أحوالهم في القُلوب، كما قال أبو الدّرداء رضي الله عنه: إنّا لنُكشّر في وُجوه أقوام، وإنّ قلوبنا لتلعنهم.

فليحمد العبد ربّه تبارك وتعالى على المُعافاة ولا يُظهر الشّماتة لأحد من المُسلمين، فإنّ فعل ذلك فلا يأمنَنّ أن يُعافي الله تعالى المُبتلى ويبتلي الشّامت ولو بعد حين، فقد قال أبو قلابة رحمه الله تعالى: «إنّ أبا الدّرداء رضي الله عنه مرّ على رجل قد أصاب ذنبًا، فكانوا يسبّونه، فقال أبو الدّرداء رضي الله عنه أرأيتم لو وجدتموه في قليب، ألم تكونوا مُستخرجيه؟ قالوا: بلى. فقال فلا تسبّوا أخاكم، واحمدوا الله عز وجل الذي عافاكم. قالوا: أفلا تُبغضه؟ فقال أبو الدّرداء رضي الله عنه إنّما أبغض عمله، فإذا تركه فهو أخي.

وإنّ المُعتبرين بوصايا السّالفين يُدركون أنّ النّفس مجبولةٌ على حُبّ المال، وأنّ السّعيد من شغله ماله في صالح المآل، وأنّ الشّقيّ من شغله ماله عن صالح الأعمال. فقد قال أبو الدّرداء رضي الله عنه أعوذ بالله من تفرقة القلب، قيل: وما تفرقة القلب؟ فقال أن يُجعل لي في كلّ واد مالٌ.

فكثرة الأموال مُشتّتةٌ للقُلوب، ومُوجبةٌ للحساب بين يدي علام الغُيوب، وهل المال إلا ما هو مأكولٌ ومشروبٌ؟ وما هو ملبوسٌ ومركوبٌ؟ كما قال أبو الدّرداء رضي الله عنه: أهل الأموال يأكلون ويأكل، ويشربون ونشرب، ويلبسون ونلبس، ويركبون ونركب، ولهم فضول أموال ينظرون إليها، وننظر إليها معهم، وحسابهم عليها، ونحن منها بُرآء.

فهل ينفع الرّجلَ كثرةُ ماله إن كان جمّاعًا هلوعًا؟ فإذا سُئل نفقةً كان شحيحًا منوعًا، لذا قال أبو الدّرداء رضي الله عنه ويلٌ لكلّ جمّاع، فاغر فاه كأنّه مجنونٌ، يرى ما عند النّاس، ولا يرى ما عند الله عز وجل، لو يستطيع لوصل اللّيل بالنّهار، ويله من حساب غليظ وعذاب شديد.

فهل تفكّر بما صار إليه الآباء والأجداد؟ وهل أحضر بين يديه الموتَ واستعدّ ليوم المعاد؟ فقد قال راشد بن سعد رحمه الله تعالى: «جاء رجلٌ إلى أبي الدّرداء رضي الله عنه فقال: أوصني. فقال أبو الدّرداء رضي الله عنه اذكر الله عز

وجل في السّراء يذكرك في الضّراء، وإذا ذكرت الموتى فاجعل نفسك كأحدهم، وإذا أشرفت نفسُك على شيء من الدّنيا فانظر إلى ما يصير.

ومن أعظم ما يُعين المرء على هول ما سيلقاه، أن يعبد الله سبحانه وتعالى صدقًا كأنّه يراه، كما قال أبوالدّرداء رضي الله عنه وأرضاه: «اعبد الله كأنّك تراه، وعُد نفسك في الموتى، وإيّاك ودعوة المظلوم، واعلم أنّ قليلا يُغنيك خيرٌ من كثير يُلهيك، وأنّ البرّ لا يبلى، وأنّ الإثم لا يُنسى».

فهل تذكّر أنّ انخرام يومه وانصرام شهره معوّل لنقض حياته وفأسٌ لهدم عُمره، لذا قال أبوالدّرداء رضي الله عنه ابن آدم طأ الأرض بقدمك، فإنّها عن قليل تكون قبرك، ابن آدم، إنّما أنت أيّامٌ، فكلّما ذهب يومٌ ذهب بعضك، ابن آدم، إنّك لم تزل في هدم عمرك من يوم ولدتك أمّك.

فهل اعتبر بمن تفلّتت من أجسادهم الأرواح، وأكثر على جنائزهم من الغُدُوّ والرّواح، فقد قال شُرحبيل رحمه الله تعالى: «إنّ أبا الدّرداء رضي الله عنه كان إذا رأى جنازة قال اغدُوا فإنّا رائحون، وروحوا فإنّا غادون، موعظة بليغة، وغفلة سريعة، كفى بالموت واعظا، يذهب الأوّل فالأوّل، ويبقى الآخر لا حلم له».

من خير ما يُوصي به سلف الأمّة الأعلام كثرة الجلوس في البيت لما فيه من حفظ السّمع والبصر واللّسان عن الحرام

فمن أودع قلبه تذكّر الموت والمآل، لم يغتر ويفرح بكثرة الأعمال، ولم يبق في قلبه شُعبةٌ لحسد أحد على حُسن الحال، كما قال أبوالدّرداء رضي الله عنه من أكثر ذكر الموت قلّ فرحُه، وقلّ حسدُه.

وإنّ من خير ما يُوصي به سلف الأمّة الأعلام كثرة الجلوس في البيت لما فيه من حفظ السّمع والبصر واللّسان عن الحرام، لذا قال أبوالدّرداء رضي الله عنه: نعم صومعة المرء المُسلم بيتُه، يكفّ لسانه وفرجه وبصره، وإيّاكم ومجالس الأسواق، فإنّها تُلهي وتُلغي.

ومن آثر الجلوس في البيت على الجلوس في ملاهي المُنتديات أوْرَثَ أهل بيته تعلّم أحكام الصّلوات وآداب الدّعوات، فقد قالت أمّ الدّرداء رضي الله عنها: «كان لأبي الدّرداء رضي الله عنه ستّون وثلثمائة خليل في الله، يدعو لهم في الصّلاة، فقلت له في ذلك: فقال إنّه ليس رجلٌ يدعو لأخيه في الغيب إلا وكّل الله به ملكين يقولان ولك بمثل. أفلا أرغب أن تدعو لي الملائكة؟».

ومن أكثر من الجلوس في بيته مع أهله وعياله فإنّه يُسهم في تهذيب نفوسهم بلسان حاله ومقاله. كما قال عون بن عبدالله رحمه الله تعالى: «سألت أمّ الدّرداء رضي الله عنها ما كان أفضل عمل أبي الدّرداء رضي الله عنه؟ فقالت: التّفكّر والاعتبار.

فإنّ العالم العامل يتأثّر به أهل بيته في حياته، كما يسري هذا التّأثّر عليهم في ساعة وفاته. لذا قالت أمّ الدّرداء رضي الله عنها: إنّ أبا الدّرداء رضي الله عنه لما احتُضر جعل يقول: من يعمل لمثل يومي هذا؟ من يعمل لمثل ساعتي هذه؟ من يعمل لمثل مضجعي هذا؟ ثمّ يقول ﴿ونُقلّب أفئدتهم وأبصارهم كما لم يؤمنوا به أوّل مرّة﴾ (الأنعام: ١١٠).

فنعمًا الرّاعي لرعيّته النّاصح الأمين، فإنّ الرّعية تنتفع بنُصحه وأمانته ولو بعد حين، فقد قالت أمّ الدّرداء رضي الله عنها لأبي الدّرداء رضي الله عنه: إن احتجتَ بعدك: آآكل الصّدقة؟ فقال أبوالدّرداء رضي الله عنه: لا، اعملي وكلي. فقالت أمّ الدّرداء رضي الله عنها: فإن ضعفتُ عن العمل؟ فقال أبوالدّرداء رضي الله عنه: التقطي السُّنبل، ولا تأكلي الصّدقة. فطوبى لمن كان في بيته مع أهله وعياله بهذه المثابة، فإنّ النّفس تُغتبط بالمُجاورة له وحُسن الصّحابة، لذا قالت أمّ الدّرداء رضي الله عنها: «اللّهمّ إنّ أبا الدّرداء خطبني فتزوّجني في الدّنيا، اللّهمّ فأنا أخطبه إليك، فأسألك أن تُزوّجنيه في الجنّة، فقال أبوالدّرداء رضي الله عنه: فإن أردت ذلك، وكنتُ أنا الأوّل: فلا تزوّجي بعدي.

قال لقمان بن عامر رحمه الله تعالى: فماتَ أبوالدّرداء رضي الله عنه وكان لأمّ الدّرداء رضي الله عنها جمالٌ وحُسنٌ، فخطبها معاوية رضي الله عنهما، فقالت أمّ الدّرداء رضي الله عنها: لا. والله ما أتزوّج زوجا في الدّنيا، حتّى أتزوّج أبا الدّرداء إن شاء الله تعالى في الجنّة.

فما أحوجنا إلى وصايا السّلف السّابقين، التي تُهذّب أخلاقنا وتُثبّت في قلوبنا الدّين.

فهذه الوصايا المأثورة عن الصّحابيّ الحكيم، والمُشتملة على الخير العميم هي مصداق قول الرّسول الكريم عليه أفضل الصّلاة وأزكى التّسليم: «خير أمّتي القرن الذين يلوني، ثمّ الذين يلونهم، ثمّ الذين يلونهم» (أخرجه مُسلمٌ في صحيحه من حديث عبدالله بن مسعود رضي الله عنه).

تجلّيات الإسراء والمعراج..
أعطيات إيمان ولمسات بيان

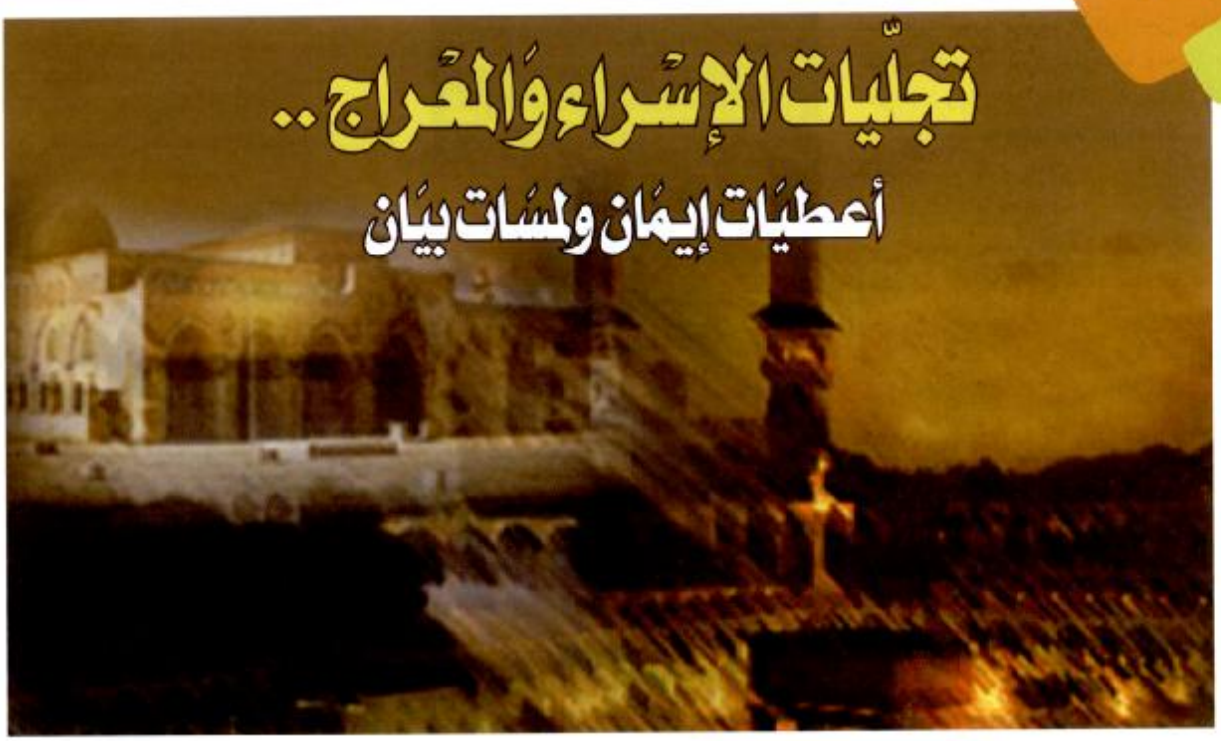

علاء الدين حسن

لاشكَّ أنّ لكلِّ ذكرى أثرًا في قلوب الذّاكرين؛ حيث تمضي الأعوام وتمرُّ الأيّام، والذكريات الخالدة تؤتي أكلها- بإذن ربّها- بالتذكار والدّرس الملهم، مهما تقادم الزمان.

ونحن اليوم على ضفاف معجزة الإسراء والمعراج؛ هذه المعجزة التي تحققت في السنة العاشرة للبعثة قبل الهجرة بعام واحد تقريبًا(١)- وهي رحلة أرضية سماوية خصّ بها نبيُّنا محمّد صلى الله عليه وسلم؛ ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلاً مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ (الإسراء: ١).

في تلك المناسبة، توالت مشاهد لا سابق لها، وأنبأ -عليه الصلاة والسلام- عن سير القافلة.. الجمل الأورق يأتيكم، وصفيب الشمس موعدكم، وبيت المقدس هذه أوصافه.

ومع هذه المعجزة نوقن يقينًا تامًّا أنّ النبي ﷺ كان في رحلة عمل بالدّرجة الأولى، ولم تكن ترفيهًا محضًا، فقد أرسل اللهُ تعالى للخليقة منذ بدايتها، أرسل الرسلَ والأنبياء؛ ليَهدُوا الخلقَ إلى صراطِ الله الحق، وما أجابهم على مدار الزمان إلاّ قليل، كما كان الحال مع النبي الصابر نوح- عليه السلام- الذي قالَ الله تعالى عنه: ﴿وَمَا آمَنَ مَعَهُ إِلاَّ قَلِيلٌ﴾ (هود: ٤٠)، وذلك بعد رحلة دعويّة استمرّتْ لألف سنة إلاّ خمسين عامًا.

ونبينا محمّد ﷺ صَعد إلى سماء لا تُطاوِلها سماء، وهناك ﴿رَأَى مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَى﴾ (النّجم: ١٨).

وما أروع ما قيل في حقّه ﷺ:

كَيْفَ تَرْقَى رُقيَّكَ الأَنْبِيَاءُ
يَا سَمَاءً مَا طَاوَلَتْهَا سَمَاءُ

لقد أسفرت معجزة الإسراء والمعراج عن أجلِّ الدروس في تاريخ الدعوة الإسلامية، وتجلّت آثارها العظيمة في إعداد خير أمّة أُخرجت للناس، وانتشار الرسالة المحمدية في آفاق الحياة.. هذه الرسالة التي كتب الله لها الخلود، وهي المنهج الذي ينبغي للبشرية أن تنهجه، ففي ظلّه يكون خلاصها من الضياع والظلمات، وعلى هديه تجد سبيل العزة والكرامة.

معجزة الإسراء والمعراج تمّت، بعد أن ذهب رسول الله ﷺ إلى الطائف يعرض عليهم الإسلام، وبعدما صبر على أذى قريش ما يقرب من عشر سنين، فقابلته الطائف بسفهائها يرمونه بالحجارة:

كان يلقى الحجارة عنه زيد
ألا إنّ روحي لنعل زيد فداءُ

وشكى الرسول صلى الله عليه وسلم إلى ربّه ضعف قوّته، وقلّة حيلته، وهوانه

* باحث سوري

على الناس؛ ليعلّمنا بأنّ الشكوى إلى الله عبادة.

لقد كان دعاءً معبّرًا عن غاية الرضى.. ومهما بلغ عظم المحنة، فإنّ المؤمن الصادق لا يبالي بكل ما يصيبه من إيذاء ﴿لا يغرّنك تقلّب الّذين كفروا في البلاد. متاع قليل ثمّ مأواهم جهنّم وبئس المهاد﴾ (آل عمران: ١٩٦-١٩٧).

وإذا كانت الأرض قد ضاقت بتكريم رسول الله، فإنّ العناية الإلهية كلها وقفت معه، وكأنها كانت تخاطبه: يا محمّد إن كان يؤلمك أن يشتمك في الأرض أعداء؛ أفلا يرضيك أن ترحّبَ بك ملائكةُ السماء؟ يا محمّد إن كان يحزنك أن يتناولك بالحجارة سفهاء؛ أفلا يسرّك أن تصلّيَ إمامًا بالأنبياء؟

ومرّت على رسول الله ﷺ لحظات كان فيها بين النوم واليقظة، وإذ بالأمين جبريل يهبط عليه حاملًا إليه دعوة ربه عز وجل، وركب ﷺ البراق بصحبة جبريل عليه السلام. وأُسري به إلى المسجد الأقصى، وهناك مُثّلت له أرواح الأنبياء، فصلّى بهم ركعتين، قبل أن يعرج به إلى السموات العلى.

روح وجسد

ثم عُرج به ﷺ «بالروح والجسد» إلى السماء الأولى فلقي آدم عليه السلام، وفي السماء الثانية لقي عيسى ويحيى عليهما السلام، وفي السماء الثالثة لقي يوسف عليه السلام، وفي السماء الرابعة لقي إدريس عليه السلام، وفي السماء الخامسة لقي هارون عليه السلام، وفي السماء السادسة لقي موسى عليه السلام، وفي السماء السابعة لقي إبراهيم عليه السلام (٢).

ثم وصل -صلى الله عليه وسلم- إلى سدرة المنتهى، وفي تلك اللحظات الخالدة فُرضت الصلاة لتكون صلة بين العبد وربّه (٣).

بعد الطائف.. يا محمد إن كان يؤلمك أن يشتمك أعداء الأرض أفلا يرضيك أن ترحب بك ملائكة السماء

قال الله تعالى: ﴿وَأقيموا الصّلاة وَلا تكونوا منَ المشركين﴾ (الرّوم: ٣١). وفي آية أخرى: ﴿وَأقيموا الصّلاة وَآتوا الزّكاة وَاركعوا معَ الرّاكعين﴾ (البقرة: ٤٣). وقال عز وجل: ﴿فَويل للمصلّين. الّذين هم عَن صَلاتهم سَاهون﴾ (الماعون: ٤ - ٥).

وروى مسلم عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إنّ بين الرجل وبين الشرك والكفر ترك الصلاة»(٤)، وقال عليه الصلاة والسلام: «مَن ترك صلاة مكتوبة متعمدًا، فقد برئت منه ذمّة الله» (٥)، وعن يزيد الأسلمي قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إنّ العهد الذي بيننا وبينهم الصلاة، فمن تركها فقد كفر»(٦).

إنّ الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر، وربنا عز وجل يقول: ﴿يوم يكشَف عنْ سَاق وَيُدعون إلى السّجود فَلا يَستطيعون. خاشعة أبصارُهم ترهقُهم ذلّة وَقدْ كَانوا يُدعَون إلى السّجود وَهمْ سَالمون﴾ (القلم: ٤٢ - ٤٣).

ووجه الدلالة في الآية الكريمة هو أن الله تعالى عندما يكشف عن ساق، يخر المسلمون الصادقون سجّدًا لله رب العالمين دليلًا ساطعًا على إيمانهم، ويأتي الكفار والمنافقون ليسجدوا مع المسلمين فيحال بينهم وبين السجود، ومنهم من ضيّع الصلاة في الدنيا، قال تعالى: ﴿مَا سَلككم في سَقر. قَالوا لم نك مِن المصلّين﴾ (المدثر: ٤٢ - ٤٣).

وروى الإمام أحمد من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص عن النبي ﷺ أنه ذكر الصلاة يومًا فقال: «من حافظ عليها كانت له نورًا وبرهانًا ونجاة يوم القيامة؛ ومن لم يحافظ عليها لم تكن له نورًا ولا برهانًا ولا نجاة وكان يوم القيامة مع قارون وفرعون وهامان وأبيّ بن خلف»(٧).

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أول ما يحاسَب به العبد يوم القيامة الصلاة، فإن صلحت فقد صلح سائر عمله، وإن فسدت فسد سائر عمله»(٨)، فإذا تمثّل نور الإخلاص في القلب، ارتقت الروح في معارج الإيمان.

والصلاة جلال وجمال، قال تعالى: ﴿قد أفلحَ المؤمنون. الّذين هم في صَلاتهم خاشعون﴾ (المؤمنون: ١ - ٢). وفي آية أخرى: ﴿وإنّها لكبيرةٌ إلّا على الخاشعين﴾ (البقرة: ٤٥).

والخاشعون هم الطائعون الممتنعون عن المحرمات، الذين يعلمون أن الأمر لله وحده.. والخشوع هو سكينة القلب، وعندما دخل أحد الصالحين المسجد، ووجد رجلًا يصلي ويعبث بثيابه، قال: لو خشع قلبه لخشعت جوارحه.

من صور الإصلاح

ولقد جسّدت ليلة الإسراء والمعراج صورًا عديدة لإصلاح الإنسان.. فالمغتاب يأكل لحم أخيه ميتًا، والذين يأكلون أموال اليتامى ظلمًا إنما يأكلون في بطونهم نارًا، والذين يأتون ما حرم الله يأكلون اللحم المنتن ويتركون الطيب.

وموقف الناس يكادُ يكون معروفًا من قصّة الإسراء والمعراج: وكما يقول البعض: الحال ناطقة، ونطقُ الحال أبلغُ من نطق المقال، وأحوال الناس تسير كلها في دربَين لا ثالثَ لهما. إمّا درْب السعداء فباتّباع الشّرْع والسّيْر على محجّته الغرّاء، وإمّا درب الأشقياء فكلّه فروع متعرّجة بمقدار سُبُل الغواية المرصودة على طريق النار، وبئس القرار.

وفي الاقتران الزمني بين إسرائه -عليه الصلاة والسلام- إلى بيت المقدس ومعراجه إلى السموات السبع؛ دلالة

الحديث عن بيت المقدس هو حديث عن تاريخ العبادة وحديث عن الكرامة التي ترمز إليها معالم المسجد الأقصى

واضحة على ما لبيوت الله من مكانة وقدسية. فالمساجد ينابيع الهدى، وأحب البقاع إلى الله، فيها يتم التعارف وتتصافح القلوب، وهي مدارس علم وأخلاق.

والمسجد الأقصى معْلَم من معالم الإسلام، ومشعر من مشاعر الإيمان، وقد ذهب عدد من مفسري القرآن الكريم إلى أن المقصود بقوله تعالى: ﴿والتِّين والزَّيتون﴾ بيت المقدس: حيث ينبت التين والزيتون.

استقراء الحضارة

والحديث عن بيت المقدس حديث عن التاريخ بمعانيه العديدة وأعماقه البعيدة، هو حديث عن تاريخ العبادة والاستقامة على نهج الخالق جلا وعلا، وحديث عن المعجزات الإلهية التي جَلاها الله تعالى في هذه البقعة المباركة؛ وحديث عن الكرامة والعزة والقيم التي ترمز إليها معالم المسجد الأقصى؛ وحديث عن استقراء الحضارة الإسلامية بكل إبداعاتها وتضحياتها. من أجل هذا انطلق عمر بن الخطاب رضي الله عنه إلى بيت المقدس في غمرة استقبال حافل، آلَ بالمسلمين بعد ذلك إلى أن رفعوا جدران المسجد الأقصى، وشيّدوا صرحه الشامخ في عهد الخليفة الوليد بن عبدالملك، وراحت دعوة التوحيد تنطلق معلنة أنه ينبغي ألا ترتفع في بيت المقدس سوى راية التوحيد.

ولما وقع الأقصى في أيدي الصليبيين، هبّ صلاح الدين يجمع الجموع، وينطلق بجيش لا إله إلا الله إلى حطين؛ حيث دارت معركة طاحنة انتهت بهزيمة الكفار

هزيمة نكراء، وامتلأت رحاب الأقصى بالمسلمين.

وها هو الأقصى يحدّثنا اليوم:

أنا المسجد الأقصى ومسرى محمّد
أنا القبلة الأولى، منارة إيمان
إذا مسّني ضرٌّ ففي الله نصرتي
يبدّد أعدائي، ولو بعد زمان
إذا طال بي عهد الظلام ففي غد
ستشهد دنيا الناس ثورة بركاني
ويعلو لواء الحقّ والفجر ينجلي
وتشرق بالزحف المظفّر أوطاني

ومن ذكرى الإسراء والمعراج، يجب ألا ننسى أنّ القدس وديعة سيّدنا رسول الله ﷺ لكلّ المسلمين، فرسول الله ﷺ قد صلّى إمامًا بالأنبياء في المسجد الأقصى، وهذا معناه أنّ مقام النبي ﷺ لا يَعدله مقام، وكذلك يجب أن تكون أمّته، وفيه إشارة أيضًا إلى أنّ هذا المسجد المبارك قد تمّ ضمّه إلى أخويه المسجد الحرام، ومسجد النبي ﷺ ليتبوّأ مكانه اللائق به ضمنَ مقدّسات المسلمين.

وقد أعلم الله تعالى نبيه محمّدًا ﷺ بأنّ هذه الأرض المقدسة سيحتلها الأعداء، ولهذا حرض -عليه الصلاة والسلام- أمّته على الدفاع عن الحق، وأخبر بالمعركة المرتقبة بين المسلمين واليهود المعتدين؛ حيث سينطق الحجر دالاً على الأعداء، وكذلك الشجر وسيكون النصر في النهاية للمسلمين بإذن الله، قال تعالى: ﴿ولا تهنوا ولا تحزَنوا وأنتم الأعلَون إنْ كنتم مؤمنين﴾ (آل عمران:١٣٩).

الهوامش

١- صحيح مسلم ١/١٨٤، فتح الباري ٣/٤٩٢، البداية والنهاية ٣/١٠٧، سيرة ابن هشام ١/٣٩٦.
٢- أخرجه البخاري في بدء الخلق (٣٢٠٧) من حديث مالك بن صعصعة.
٣- انظر: كيف فُرضت الصلاة ليلة المعراج وكيف أصبحت خمسًا بعد خمسين- البخاري كتاب ٨- باب ١، مسلم ك ١- حديث رقم ٢٥٩.
٤- رواه مسلم في الإيمان- حديث ٢٥٦.
٥- مسند أحمد- حديث معاذ بن جبل- ح رقم ٢٢٧٢٦.
٦- مسند أحمد- ج٣ - ص ٣٧٠، مسلم ك١ -ح ١٣٤، الترمذي- ك ٣٨- ب ٩.
٧- مسند أحمد- ج٢- ص ١٦٩.
٨- رواه الترمذي- ك٣- الباب ١٨٨، والنّسائي ك٥- الباب ٩، وابن ماجة ك٥- الباب ٢٠٢.

أسطورة قبر يوسف.. أوهام وأكاذيب واستغفال واستغلال

د. عصام سيسالم

لقد أعدت الحركة الصهيونية العنصرية مخططها الاستعماري الاستيطاني للعدوان على وطننا واغتصاب أرضنا وتدنيس مقدساتنا وإزالة وجودنا والتطاول على آثارنا، وتزييف التاريخ، بادعاءات باطلة لا سند لها، ولا دليل عليها سوى أساطير توراتية تعشش في عقول متخلفة، تحاول جاهدة أن تثبت دون جدوى وجود أثر واحد لها في فلسطين، وعلى الرغم من كل ما بذلته بعثات الاكتشاف والتنقيب الأوروبية والصهيونية المريبة منذ مطلع القرن التاسع عشر وحتى اليوم من جهود، فإن كل ما توصلت إليه ادعاءات لا تستند إلى أي دليل أو نص تاريخي موثق، وقد أثبت بطلان ما يدعونه عدد كبير من الباحثين والمؤرخين وعلماء الآثار المصنفين، ومن بينهم الباحثة الأميركية كينون والجيل الجديد من المؤرخين اليهود في الحقبة الحالية (ما بعد الصهيونية).

من الأكاذيب التي شاعت ولم تجد من يتصدى لها أسطورة قبر يوسف، ولكون جميع الأنبياء والمرسلين من المسلمين كما أكد القرآن الكريم، فنحن أحق بهم وبتكريمهم والمحافظة على أي أثر ينسب لهم سواء كان ذلك صحيحًا، أو مجرد إدعاء لا أساس له، لأنهم يمثلون أصدق تمثيل تراثنا وعقيدتنا وما نعتز به من قيم ومثل عليا.

ومن بين الآثار الفلسطينية التي حافظ عليها أسلافنا وأضفوا عليها هالة من القداسة والتكريم، على الرغم من عدم وجود سند تاريخي لها، الحرم الإبراهيمي في مدينة الخليل المجاهدة الصابرة، وهو من مساجدنا التي لها مكانة كبرى في وطننا، والذي يضم عددًا من القبور ومن بينها قبر إبراهيم الخليل عليه السلام وزوجته سارة وقبر يعقوب وابنه يوسف الصديق عليهم السلام وغيرهم.

أما بالنسبة لأبي الأنبياء إبراهيم الخليل عليه السلام فقد كان حنيفًا مسلمًا، وكذلك أعقابه من بعده، ويؤكد ذلك قوله تعالى: ﴿يا أهل الكتاب لم تحاجون في إبراهيم وما أنزلت التوراة والإنجيل إلا من بعده أفلا تعقلون، ما كان إبراهيم يهوديًا ولا نصرانيًا ولكن كان حنيفًا مسلمًا وما كان من المشركين﴾.

وظل الأحناف في جزيرة العرب التي ارتبط إبراهيم الخليل بعشائرها وقبائلها حتى عهد حفيده من ابنه إسماعيل الرسول الأعظم محمد بن عبدالله صلوات الله عليه وسلامه كما يؤكد القرآن الكريم أن يوسف الصديق عاش في مصر ووصل إلى مكانة رفيعة فيها ﴿وقال الذي اشتراه من مصر لامرأته أكرمي مثواه عسى أن ينفعنا أو نتخذه ولدًا وكذلك مكنا ليوسف في الأرض﴾ (يوسف: ٢١).

وأنه دفن في مصر كما يؤكد الحديث الذي رواه أحمد في مسنده، «ما من نبي يموت، إلا ويدفن حيث يقبض».

وتروي التوراة المحرفة التي كتبها عزرا ونحيميا في القرن الخامس قبل الميلاد، بأن الذي اشتراه هو فوطيار وأن يوسف تزوج أسنات ابنة فوطى فارع كاهن معبد آمون، وكان من بين بناته طاي، وأنه عاش مائة وعشر سنوات، وحنط ووضع في تابوت من رخام، ودفن في قاع النيل،

* أستاذ في جامعة الأزهر سابقا

الحركة الصهيونية تدعي أن قبر الشيخ المسلم يوسف دويكات هو قبر يوسف الصديق

ونضيف إلى هذه المزاعم التي لا تستند إلى أي سند تاريخي أو منطق عقلي أن موسى عليه السلام استخرج تابوته من أعمال النيل وحمله معه، وأن يوشع بن نون دفنه في مغارة المكفيلة حبري (الخليل)، بجانب قبر إبراهيم ويعقوب وهو ادعاء باطل مثل الادعاءات الصهيونية كما يقول المؤرخ سوسة في كتابه الرائع «العرب واليهود» في النص التالي: «إن الشريعة التي نزلت على موسى عليه السلام والتي حرفتها الأحبار هي صهيونية اليوم بعينها لكونها تهدف كما تهدف الحركة الصهيونية الحالية إلى استغلال عاطفة الدين وفق نصوص صيغت في السبي البابلي من أجل خلق دوافع تحث الأسرى إلى العودة ثانية إلى الأرض التي اغتصبوها. وعاثوا فيها تخريبًا لاغتصابها من جديد بالاستناد إلى ادعاءات باطلة وأساطير وتطاول وعدوان لخلق تاريخ وهمي لهم من العدم».

ومن بين الادعاءات الباطلة قبر يوسف على مشارف مدينة نابلس المجاهدة، فالبرغم من الزعم بوجود قبر ليوسف في الحرم الإبراهيمي كما ذكرنا ووجود عدد من القبور لأولياء من المسلمين ممن يدعون بيوسف في عدة قرى مدن فلسطينية. فقد وجدت الحركة الصهيونية في التماثل في التسمية فرصة مواتية للادعاء بأن قبر الشيخ المسلم يوسف دويكات هو قبر يوسف الصديق، لاتخاذ الموقع الاستراتيجي على مشارف نابلس ثكنة عسكرية للتهديد والعدوان ومدرسة دينية للتضليل والتزييف وعلى الرغم من كونه أثرًا إسلاميًا مسجلا لدى

دائرة الأوقاف الإسلامية وأن المدفون في هذا القبر هو أحد الصلحاء المسلمين، ويؤكد عدد كبير من الباحثين والمؤرخين ومن بينهم العالم المصري أحمد عثمان في كتابه «غريب في وادي الملوك» ص ٨٧، بطلان الادعاءات الصهيونية، وأن يوسف كان وزيرًا لأمنحوتب الثالث فرعون مصر (١٣٦٧-١٤٠٥ ق.م) وصهرًا له فقد تزوج طاي ابنة يوسف من زوجته أسنات ابنة فوطي فارع كاهن آمون ولهذا كان من بين ألقاب يوسف «إيت نترن نب طاوي» أي عم سيد الأرضين وشاع الجزء الأول من اسمه ووجد بالهيروغليفية في مقبرته مع عدة صور منها (يويا، ويويو، ويوايا) على سبيل التحبب وتوجد مومياء يويا في المتحف المصري، ومازالت حتى اليوم تحتفظ بطابعها الآرامي وتختلف عن بقية المومياءات في ملامحها.

ويؤكد هذه الرؤية جاستون ماسبيرو مدير المتحف المصري في نهاية القرن التاسع عشر كما روى المؤرخ المصري مانيتون الذي كتب تاريخ الأسرات المصرية القديمة لبطلميوس الأول أن أحد وزراء أمنحوتب الثالث يدعى «سف»، ولهذا يذكر المؤرخ عبدالمنعم عبدالحليم أن المومياء المودعة حاليا في المتحف المصري هي ليوسف الصديق، وان اختلفنا في التفاصيل، وهكذا يتضح لنا مدى بطلان الادعاءات الصهيونية، والى أي حد وصلوا في التزوير وتروج الأكاذيب والأساطير لإنشاء كيان عدواني لن يكتب له البقاء، وسيكون لشعبنا الفلسطيني الأبي وطنه الحر وعاصمته القدس زهرة الدمائن وعاصمة العواصم، ومهما ادلهم الليل سيشرق الفجر من جديد.

المراجع

١- الشرق الأدنى القديم: د.عبدالعزيز صالح.
٢- تراث فلسطين في كتابات عبدالله مخلص: د.كامل جميل العسلي.
٣- الأولياء والمزارات الإسلامية في فلسطين د.توفيق كنعان.
٤- قراءة سياسية للتوراة: شفيق مقار.
٥- الحقيقة والمجاز: عبدالغني النابلسي.
٦- تاريخ نابلس والبقاء: إحسان النمر.
٧- مجلة أخبار الأدب المصرية: العدد المؤرخ في ١٩ أكتوبر ١٩٩٧م، والعدد المؤرخ في ٩ نوفمبر ١٩٩٧م.
٨- قراءات في التوراة: محمد وحيد خياطة.

الاجتهاد المقاصدي والتأسيس للبناء المعرفي «الشاطبي أنموذجاً»

الحسن حما

شهد العالم الإسلامي جمودا في الفكر وانحطاطا حضاريا شملت بوادره مختلف جوانب العقل المسلم، مما أثر سلبا على منظومة الفكر الإسلامي فأخذت الدراسات الحديثة تتجه إلى بحث سبل قيام إصلاحات جذرية لبلورة ثورة معرفية للخروج من الأزمة، لذلك اعتبرت أطروحة المقاصد نظرية بديلة للخروج من الأزمة التي يتخبط فيها الفكر الإسلامي بشكل عام والاجتهاد الأصولي بشكل خاص، وبما أن الأزمة لا يمكن حصرها في زاوية من الزوايا العلمية، والمعرفية كأن نقول مثلا: أنها أزمة الحديث، أو أزمة الأصول أو الفقه أو الأخلاق.. فهي تمثل وحدة تتداخل فيها عدة جوانب وعوامل يصعب عزلها عن بعضها البعض، ومع استحضار العوائق الإبستمولوجية ومن بينها الترسانة التراثية التي تولدت عبر قرون من الإنتاج المعرفي للعقل الإسلامي، بمناهج مختلفة متعددة لذلك فإن عمل الشاطبي يعدد بعض الدارسين والباحثين محاولة جادة نحو صياغة العقل الإسلامي، بما يمكنه من امتلاك قدر من الوعي التاريخي الذي يؤهله لدخول العصر بمعطيات تراثية وبآفاق اجتهادية واسعة محيطة بمنطلقات العصر الحديث، لذلك وجب الوقوف عند هذا الطرح لفهمه واستيعابه مع التمعن فيه وقراءة هذه الأنماط الفكرية قراءة معرفية ومن داخل النسق المولد لها، حتى نستطيع الوقوف عند التأثير لكل عامل من العوامل، وما مدى نجاح الطرح المقاصدي لأبي إسحق الشاطبي في بلورة منهجية تستطيع أن تنقد الاجتهاد الأصولي وتعكس تطبيقاته في المجتمع الإسلامي المعاصر، لهذا تسعى هذه الورقة إلى الوقوف عند نظرية أستاذ الاجتهاد المقاصدي، في بعدها المعرفي، الاجتهادي بتداخل مع النسق الفكري المولد لها من خلال ثلاثة مباحث:

أثبتت دراسات فلسفة العلوم والدراسات الابستمولوجية الحديثة أن العلم والمعارف نتاج لتفاعل العامل البشري والعامل المادي، بمعنى آخر، تفاعل المفكر مع محيطه العام وموضوعه، فهناك عوامل ومؤثرات متداخلة ومتعددة في عملية إنتاج وبناء المعرفة بل وتكاملها وصياغتها.

من هذا المنطلق تكون قراءتنا للشاطبي في الموافقات حتى نبين أن الموضوع والمحيط الاجتماعي للمفكر لعبا دورا أساسيا في إنتاج نظرية المقاصد، ولهذا سنركز في هذا المبحث على التأثير الذي أحدثه الاختلاف الأصولي على الاجتهاد المقاصدي.

يتضح لدارسي الكتب الأصولية الحيز المعرفي الذي أخذته قضية الاختلاف بشكل أدى بهذه الدراسات إلى الابتعاد عن تناول حكمة الشريعة وتعليلاتها، وهذا ما أفضى بالطاهر بن عاشور إلى تناول كتابه بمنهج يمكن من

الشاطبي وعي جدالا واضطرابا في نظام الأدلة الشرعية فعمد إلى جعل قضية القطع واليقين من القضايا المحورية في مشروعه الفكري

تجاوز قضية الاختلاف لإبراز البعد المقاصدي منتقدا في الوقت نفسه قضية الاختلاف، عند الأصوليين، فقال في مقدمة كتابه «على أن معظم مسائل أصول الفقه لا ترجع إلى خدمة حكمة الشريعة ومقاصدها، ولكنها تدور حول محور استنباط الأحكام من ألفاظ الشارع بواسطة قواعد تمكن العارف بها من انتزاع الفروع منها أو من انتزاع أوصاف... يمكن أن نجعل تلك الأوصاف باعثا على التشريع، فتقاس فروع كثيرة على مورد لفظ منها باعتقاد اشتمال تلك الفروع كلها على الوصف الذي اعتقدوا أنه مراد من لفظ الشارع، وهو الوصف المسمى بالعلة»(١) وهذا ما أشار إليه الشاطبي نفسه في موضع غير واحد من الموافقات ويوضحه بشكل جلي في المقدمة الرابعة من الجزء الأول فقال: «كل مسألة مرسومة في أصول الفقه لا ينبني عليها فروع فقهية أو آداب شرعية أو لا تكون عونا في ذلك فوضعها في أصول الفقه عارية، والذي يوضح ذلك أن هذا العلم لم يختص بإضافته إلى الفقه إلا لكونه مفيدا له، ومحققا للاجتهاد فيه... فليس كل ما يفتقر إليه الفقه يعد من أصوله وإنما اللازم أن كل أصل يضاف إلى الفقه لا ينبني عليه فقه فليس بأصل له».(٢)

هذا الجدال أو الاضطراب في نظام الأدلة الشرعية والذي وعاه الشاطبي تمام الوعي جعله يتفطن إلى هذا المشكل المنهجي، فعمد إلى عملية التناسب فجعل قضية القطع واليقين

* باحث في جامعة السلطان مولاي سليمان بني ملال في المغرب

من القضايا المحورية في مشروعه الفكري، وهو ما أكده في المقدمة الأولى «إن أصول الفقه في الدين قطعية لا ظنية والدليل على ذلك أنها راجعة إلى كليات الشريعة وما كان كذلك فهو قطعي».(٣)

وبهذا يكون قد فند أطروحة الاختلاف التي تشعبت بها القضايا الأصولية وهذا واضح في المؤلفات الأصولية حيث نجد بعض الأدوات الوظيفية كاللغة، اعتبرت كأحد أهم المباحث الأصولية في حين هي وسيلة فقط، يقول ابن عاشور مشيرا إلى هذا: «...إن معظم مسائله مختلف فيها بين النظار مستمر بينهم الخلاف في الفروع تبعا للاختلاف في تلك الأصول... قد استمر بينهم الخلاف في الفروع لأن قواعد الأصول انتزعوها من صفات تلك الفروع، إلى أن قال: وتلك كلها في تصاريف مباحثها بمعزل عن بيان حكمة الشريعة ومقاصدها العامة والخاصة في أحكامها فهم قصروا مباحثهم على الألفاظ الشرعية وعلى المعاني التي انبنت عليها الألفاظ وهي علل الأحكام القياسية».(٤). هذا الاجتهاد المقاصدي وضع له الشاطبي محددات منهجية ومعرفية منسجمة ساعدته في بلورة نظريته المقاصدية، وهو ما عبر عنه في المقدمة الرابعة «كل مسألة مرسومة في أصول الفقه لا ينبني عليها فروع فقهية أو آداب شرعية أو لا تكون عونا في ذلك فوضعها في أصول الفقه عارية».(٦)

وهذا النقد المنهجي المستوعب للاضطراب الأصولي الذي استوعبه أبواسحق الشاطبي بشكل متكامل هو ما ذهب بالباحث عبدالمجيد الصغير إلى حد القول بأن بعض مباحث المقاصد تشكل مشروع الإنقاذ المعرفي، فيقول في بيان قضية اليقين «لقد فتح الشاطبي في علم الأصول الطريق المضمون اليقين الموصل

مباشرة إلى إدراك مقاصد الشرع وحكمته وذلك بفعل تغيير منهجي عميق أبان الشاطبي خلاله وعيا منذ البداية بضرورة مراجعة علم أصول الفقه، ونقد أدبياته المتأخرة خاصة، مبينا حدود الاستفادة منها وضرورة تطويرها لأجل إنقاذ علم الأصول ذاته مادام علماء الأصول قد ظلوا في غفلة عن القيمة الإجرائية».(٨)

المفاهيم المؤسسة لنظرية الاجتهاد المقاصدي

لقد عمل الشاطبي على تأسيس نسقي مهم في بلورة نظريته في مجال أصول الفقه التي تحتوي على العديد من هذه المفاهيم المؤطرة لفكره، وما يتولد عنها من معارف جديدة، من هنا فإن المدخل الرئيسي للنفاذ إلى أعماق النظرية هو الوقوف عند بعض هذه الآليات (المفاهيم) التي تظل من الناحية المنهجية أمرا مطلوبا لمعرفة أبعاد النظرية أولا، ثم كذلك قد يؤدي بنا هذا إلى معرفة المصطلحات المصاحبة لعملية تأسيس النظرية نفسها، لذلك سأقف عند مفهومين رئيسيين سعيا لإبراز هذا.

الأول: مفهوم الاستقراء، والثاني: مفهوم المصلحة.

المطلب الأول: مفهوم الاستقراء.

يشكل الاستقراء عند الشاطبي مفهوما مركزيا ومحوريا لنظريته، إذ المطلع على الموافقات يجده حاضرا وبقوة في ثنايا كتابه، وإن كان الشاطبي لم يعمد إلى دراسته من الناحية المصطلحية، وإنما هو يبني عليه نظريته، يقول د.الريسوني مبرزا هذا الانصراف عن دراسة المفهوم «وما زلت منذ قرأت هذه الخاتمة (يقصد خاتمة كتاب المقاصد) أتعجب لعدم ذكره فيها للاستقراء ضمن الطرق الموصلة إلى معرفة مقاصد الشريعة، وزاد من عجبي أن كلام الشاطبي حيث ما كان مليء بذكر الاستقراء استشهادا به أو إحالة عليه، أو تنويها بقيمته وأهميته، وقد أحصيت من ذلك حوالي مائة مرة في أجزاء الموافقات الأربعة، فكيف لم يجعله جهة مستقلة واضحة فيما يعربه قصد الشارع».(٩) هذا النص يؤكد المكانة التي يحتلها الاستقراء عند أبي إسحق فهو من البداية عمد إلى التأسيس على ما يعرف بمعقولية أدلة الاستنباط الشرعية المبنية على القطع لا الظن، وبذلك يكون إعمال منهج – تراكم الأدلة– الموصل إلى الاستقراء، يقول أبواسحق في ذلك «ولما بدا من مكنون السر ما بدا ووفق الله الكريم لما شاء منه وهدى لم أزل أقيد من أوابده وأضم شواهده تفاصيل وجملا وأسوق من شواهده في مصادر الحكم

وموارده، مبينا أصولها النقلية بأطراف من القضايا العقلية حسبما أعطته الاستطاعة والمنة، في بيان مقاصد الكتاب والسنة»(١٠). والشاطبي في منهجه هذا يربط بين منهج الاستقراء انطلاقا من مفهوم القطع وهو مفهوم فرعي متولد عن منهج الاستقراء، ومصطلح القطع، وهذا المصطلح يراد به عند الشاطبي القطع المضمون أو القطع المضموني وهو عبارة عن اليقين الحاصل في مضامين القضايا الداخلة في الاستدلال، حتى ولو وقع التوسل فيه بآليات انتقالية غير مضبوطة تمام الضبط...فالقطع الذي يعنيه هو اليقين بالقضايا الكلية التي تستفاد بطريق الاستقراء من أدلة الشريعة، ويتصف بالاطراد والثبات والحاكمية»(١١). هذا الاستدلال والبناء المنهجي، نجد ما يفسره عند الشاطبي في كتابه، يقول: «وإنما الأدلة المعتبرة هنا المستقرأة من جملة أدلة ظنية تضافرت على معنى واحد حتى أفادت فيه القطع، فإن للاجتماع من القوة ما ليس للافتراق ولأجله أفاد التواتر القطع وهذا نوع منه، فإذا حصل من استقراء أدلة المسألة مجموع يفيد العلم فهو الدليل المطلوب وهو شبيه بالتواتر المعنوي»(١٢) ومنهج القطع ينبغي أن يفهم في إطاره المضموني بارتباط مع النسق الفكري للاجتهاد المقاصدي بمعنى أخذه بالدلالة المضمونية لا الصورية، كما ذهب إلى ذلك الباحث بدران بن الحسن، ومعنى هذا أن يتم تناول الاستقراء بما يمكن من الكشف عن المقاصد ودليل ذلك استقراء الشريعة والنظر في أدلتها الكلية الجزئية وما انطوت عليه من هذه الأمور العامة على حد الاستقراء المعنوي الذي لا يثبته دليل خاص، بل أدلة منظاف بعضها

لقد اعتبر الشاطبي أب التداخل بين علم الأخلاق وعلم الأصول

إلى بعض، مختلفة الأغراض بحيث ينتظم من مجموعها أمر واحد تجمعت عليه تلك الأدلة»(١٣)

إن هذا النظام يبين مدى متانة الأساس النظري والمنهجي للاجتهاد المقاصدي عند الشاطبي، إذ الانطلاق من الجزئيات لنصل إلى الكلي يعني في نظره أنه بانخرام الجزئيات يؤدي إلى انهيار الكلي بل في الوقت نفسه إن الكلي له سلطة أقوى من تلك الجزئيات.

ويقصد بالجزئيات «الظن» أما الكليات فهي عنده الضروريات والحاجيات والتحسينيات»(١٤)

المطلب الثاني: مفهوم المصلحة.

يأخذ مفهوم المصلحة في نظرية المقاصد بعدا مركزيا إلى جانب مفهوم الاستقراء. وهذا يتجلى في البعد النظري الذي تبلور حين ناقش الشاطبي البعد الدلالي لخطاب الوحي فقال: «وضع الشرائع إنما هو لمصالح العباد في العاجل أو الآجل معا. غير أن هذا التحديد النظري لم يمنع الشاطبي من الكشف عن بنيوية تشكل المصلحة في نظريته بما يبرز التفاعل الاجتماعي وحركته، إذ تفهم من خلال الفضاء العام بما يسمح بصياغة «الوعي الاجتماعي» مما يمكن من قيام محاولة الإصلاح فيه، من أجل هذا فإن الشاطبي يقسم المصلحة إلى قسمين «المصالح المبتوتة في هذه الدار ينظر فيها من جهتين: من جهة مواقع الوجود ومن جهة تعلق الخطاب الشرعي بها. فأما النظر الأول: فإن المصالح الدنيوية من حيث هي موجودة هنا. لا يتخلص كونها مصالح محضة»(١٥)

ومركزية هذا المفهوم يقول عبدالمجيد الصغير: «إن محاولة الشاطبي تستهدف إعادة النظر وتعميق الرؤيا على نفس المفهوم –مفهوم المصالح بكامله. في حين تأتي سائر المفاهيم الأخرى مجتمعة بدلالات منهجية ترمي إلى تأسيس رؤية جديدة حول المفهوم المركزي»(١٦)

لهذا يتبين أن شيخ المقاصد سعى إلى تأسيس إصلاح اجتماعي عبر التفعيل لمفهوم المصلحة، ليقوم بإعادة استيعاب خطاب الوحي، بعدما عرف خللا منهجيا في تفاعيل العقل الإسلامي معه بفعل المؤثرات الذاتية والموضوعية، ولهذا سنجد ابن عاشور الذي جاء بعد الشاطبي استفاد كثيرا من هذا التحديد النظري ليحدد المصلحة بمنطلقات تحتوي على ما يؤكد أنه استوعب طرح الشاطبي لاجتهاده المقاصدي.

لذلك فهو يقسم المصلحة إلى مصلحة عامة، وهي ما فيه صلاح عموم الأمة والجمهور ولا التفات منه إلى أحوال الأفراد إلا من حيث أنهم أجزاء من مجموع الأمة... ومصلحة خاصة وهي ما فيه نفع الآحاد باعتبار صدور الأفعال من آحادهم ليحصل بإصلاحهم صلاح المجتمع المركب منهم»(١٧)

النقلة المعرفية لنظرية المقاصد

اتجه بعض الباحثين المعاصرين في مجال الأصول الفكري المقاصدي، إلى محاولة دراسة المقاصد بأسس معرفية سعيا لاكتشاف القيمة الإضافية لهذا المبحث الأصولي، ولقد أفرد العديد منهم الشاطبي بالدراسة باعتباره حلقة مهمة في تاريخ المقاصد فهو المؤسس له، بشهادة رجال هذا العلم، يقول الطاهر بن عاشور «والرجل الفذ الذي أفرد هذا الفن بالتدوين هو أبوإسحق إبراهيم بن موسى الشاطبي (المالكي)»(١٨) ولذلك فإن إفراد الشاطبي بالدراسة شيء يظل مستحقرا لقيمته المعرفية في مجال الاجتهاد المقاصدي، ونخصص

هذا المبحث للوقوف عند أبعاد النقلة المعرفية وإلى أي حد هناك قيمة لهذا المبحث، وهذا من خلال مساهمة الشاطبي لتأسيس التداخل المعرفي في مجال الأصول بالنظر إلى الاستدلال، التي اعتمد عليها طه عبدالرحمن «فإن صحت مقولة بعض الباحثين من اعتبار علم الأصول مجرد مزيج من أبواب نظرية ومنهجية وأخرى عملية ومضمونيه مستمدة من علوم مستقلة بنفسها فتجمع بين علم المناهج «الميثولوجيا» الذي ينظر في الأدلة الشرعية، كما يدرس قواعد الاستنباط وباب فقه العلم «الابستيمولوجيا»... وباب اللغويات...»(١٩)

وعلى هذا يحقق الشاطبي تأسيسا نسقيا ومعرفيا لم ينتبه إليه الأصوليون فحقق بذلك التكامل، فيجمع بين الجانب القيمي المؤسس بدلالات نسقية، يقول طه عبدالرحمن في تحليله لهذا التداخل: «وحاصل الكلام في الأوصاف الأخلاقية للمقاصد الشرعية أن المقصود الشرعي معنوي وفطري وأن القصد إرادي وتجردي وأن المقصد حكمي ومصلحي، علما بأن المصلحة هي المحل المعنوي لتحقيق الصلاح وعلى هذا يكون علم المقاصد هو الصورة التي اتخذها علم الأخلاق للاندماج في علم الأصول»(٢٠)

وهذا التحليل يسنده أن أغلب الاتجاهات التي تناولت المقاصد تعتبره جزءا من أصول الفقه في حين يرى فيه البعض أنه نظام جديد يحمل في نظامه الداخلي نسقا يمكنه من إحداث نقلة معرفية» ولا أدل على هذا التوسع الكبير الذي شهده هذا العلم بقدوم الشاطبي إذ بمجيئه سيتم وضع قطيعة منهجية بين مرحلتين مهمتين في التأليف في المقاصد، فإذا كانت قبل الشاطبي مبثوثة في ثنايا علم الأصول، فإنه بمجيئه يتم تدشين مرحلة أخرى في هذا المبحث بل إن د.أحمد الريسوني يعتبر بأن المقاصد يظل حاضرا في ثنايا كتاب الموافقات على كل مباحث وأجزاء الموافقات وهذه خطوة جديدة تماما على علم أصول الفقه ومؤلفاته، فقد كانت المقاصد نقطة معينة تذكر ويشار إليها بمناسبة كذا أو كذا، من المباحث الأصولية، فأصبحت عند الشاطبي روحا يسري في معظم أجزاء هذا العلم»(٢١)

وعلى كل فإن الشاطبي بحق أحدث بنظريته نقلة معرفية مهمة، وهو ما اضطر أستاذ المنطق طه عبدالرحمن ليختم كلامه من تصوره في هذا الموضوع قائلا: «وما الشاطبي عندنا إلا أب التداخل بين علم الأخلاق وعلم الأصول، فنحا بذلك طريقا في بناء العلم الإسلامي على أسس التنسيق المتكامل الذي لا نعلم له نظيرا في السابق ولا في اللاحق»(٢٢)

خاتمة

بهذا العرض البسيط والموجز، الذي اتضحت معه بعض الدلالات التي ساعدت في تشكل نظرية الاجتهاد المقاصدي مع تحديد بنيتها وقيمتها المعرفية، مما يبين أن القيمة المعرفية دفعت به إلى التشكل عبر عوامل داخلية وأخرى خارجية، وهو ما يفسر تفاعل المفكر مع محيطه الاجتماعي والفكري بترشيد من الوحي، ولهذا فإن عمل الشاطبي وجد مكانته وموقعه المعرفيين ضمن المعارف الإسلامية على اعتبار التفاعل الإيجابي الذي عاشه كمفكر يتفاعل مع محيطه الاجتماعي والعلمي، لكن يبقى السؤال المعرفي المفتوح هو إلى أي حد يمكن أن تحدث فعلا مباحث الاجتهاد المقاصدي وخاصة نظرية الشاطبي نقلة معرفية تستطيع أن تساهم في الإقلاع الاجتهادي للفكر الإسلامي؟ بما يسمح لهذه الأفكار بالاستمرارية والتوالد عبر قراءات جديدة تعكس روح العصر وتندرج في المسار التكاملي للمعارف والعلوم الإسلامية، في إطار النسق القرآني الذي يؤطر هذه العملية، حتى نستطيع بناء فكر عقلاني من خلال خطاب الوحي وبامتدادات إنسانية لتحقيق الشهود الحضاري والشهادة على الناس.

الهوامش

١- الطاهر بن عشور، مرجع سابق ص٤
٢- الموافقات الجزء الأول، مرجع سابق ص٣٩
٣- الموافقات الجزء الأول مرجع سابق ص١٩
٤- الطاهر بن عاشور، مرجع سابق ص٣-٤ بتصرف.
٥- طه عبدالرحمن مرجع سابق ص٩٤ بتصرف
٦- الموافقات الجزء الأول مرجع سابق ص٣٩
٧- طه عبدالرحمن مرجع سابق ص٩٤
٨- «الفكر الأصولي وإشكالية السلطة العلمية في الإسلام قراءة في نشأة علم الأصول و مقاصد الشريعة» تأليف عبد المجيد الصغير دار المنتخب العربي للدراسات والنشر والتوزيع الطبعة الأولى ١٤١٥هـ /١٩٩٤م ص٤٧٠
٩- أحمد الريسوني مرجع سابق ص٢٨٣
١٠- الموافقات الجزء الثاني مرجع سابق ص١٦
١١- طه عبدالرحمن مرجع سابق ص ١١٥-١١٦
١٢- الموافقات الجزء الثاني مرجع سابق ص٢٤
١٣- الدكتور أحمد الريسوني مرجع سابق ي ص٢٨٦
١٤- الموافقات في أصول الشريعة طبعة ٢٠٠٣ المجلد الأول. ص٢٠ (طبعة أخرى غير التي اعتمدت عليها سابقا)
١٥- الموفقات الجزء الثالث مرجع سابق ص٢٠
١٦- عبد المجيد الصغير مرجع سابق ص ٤٧٠ وما بعدها.
١٧- ابن عاشور مرجع سابق ص٦٣
١٨- ابن عاشور مرجع سابق ص٧
١٩- طه عبدالرحمن مرجع سابق ص٩٣
٢٠- طه عبدالرحمن مرجع سابق ص ٩٥
٢١- الريسوني مرجع سابق ص ٣١٦
٢٢- طه عبدالرحمن مرجع سابق ص ٩٤.

مُساجلات الأقران

مساجلاتُ الأقران ركنٌ شرعيٌّ وأدبيٌّ، وتاريخيٌّ توثيقيٌّ، يعرض لبعض ما وقع لرجالات العلم، وأئمة الدين، وسادة اللغة والأدب، وأوعية الحديث والفقه، وأرباب الفنون المختلفة في محاوراتهم أو مراسلاتهم أو مناظراتهم، وربما تناول بالسَّرد والتحقيق ما تبارى فيه الشعراء والحكماء والمفكرون والبُلغاء، كل ذلك بغية تصوير ما كان عليه المتقدمون والمتأخرون من تمام العقل، وسَعة الصدر، وجودة القريحة، وصفاء النَّفس، وهي رسائل ناطقة وصامتة للتعلم وحُسن التهدي، تدعو من يقف عليها من عموم المثقفين للتأمل وطول التدبر في كيفية معالجة ما يقع للنفوس من الخلل والتأثر السلبي الناجم عن ضيق النفس، وكآبة الضمير، وقلة الدراية والفهم. جاء في لسان العرب: ٣٢٥/١١ «أصل المساجلة: أن يستقي ساقيان فيُخرجُ كل واحد منهما في سَجْله مثل ما يُخرج الآخر، فأيهما نكل فقد غُلب. فضربته العربُ مثلاً للمُفاخرة. فإذا قيل: فلان يُساجل فلاناً، فمعناه: أنه يُخرجُ من الشرف مثل ما يُخرجه الآخرُ، فأيهما نكل فقد غُلب، وتساجلوا، أي: تفاخروا، ومنه قولهم: الحربُ سجال».

ولئن كانت الصناعات المختلفة، كما يقرّر ذلك العلماء، لها درجاتٌ متفاوتة، فمنها ما يرفع أهله ويشرّفهم ويُغنيهم عند المساجلة والمكاثرة عن كرم المناسب، وشرف المناصب، ومنها ما يضعُ المحترفين له أشدَّ الضَّعة، ويُخملهم أقبح الخمول، حتى لا يكونوا لأحد ممَّن سواهم نظراءَ في منزلة، ولا أكفاءَ في معاشرة.

لئن كان ذلك، فإنّ صنعة العلم، وسعة الاطلاع، وجودة المحفوظ، وتجدد الفائدة من أجمل ما يتبارى فيه المتبارون، ويتمدّح به السامعون، ويتهلّل منه المتلهّفون.

التحرير

بين أبي إسحق الشيرازي وأبي عبدالله الدامغاني
حول الذمّيّ إذا أسلم.. هل تسقط عنه الجزية لما مضى؟

د. الطاهر الأزهر خذيري

أبو إسحق الشيرازي هو إبراهيم بن علي بن يوسف الشيخ أبو إسحق الشيرازي الفيروزآبادي، شيخ الشافعية في زمانه، تفقه بشيراز على أبي عبدالله البيضاوي وغيره، ولازم القاضي أبا الطيّب وصحبه وبرع في الفقه، وصار أنظر أهل زمانه، وكان يضرب به المثل في الفصاحة. روى عنه أبوبكر الخطيب وأبوالوليد الباجي والحميدي وجماعة، وحُكي عنه أنه قال: كنت نائماً ببغداذ فرأيت النبي ﷺ ومعه أبوبكر وعمر فقلت: يا رسول الله بلغني عنك أحاديث كثيرة عن ناقلي الأخبار فأريد أن أسمع منك خبراً أتشرف به في الدنيا وأجعله ذخيرة للآخرة، فقال: يا شيخ وسماني يا شيخ وخاطبني به- وكان يفرح بهذا- ثم قال: «قل عني: من أراد السلامة فليطلبها في سلامة غيره». صنّف من الكتب: «المهذب» و«التنبيه» و«اللمع في أصول الفقه» و«شرح اللمع» و«المعونة في الجدل» و«الملخص في أصول الفقه» وغيرها، وكان في غاية من الدين والورع والتمسّك بالدين. ومات سنة ست وسبعين وأربع مائة ببغداد.

وأمّا الدامغانيّ فهو مفتي العراق، قاضي القضاة، أبوعبدالله، محمد بن علي بن محمد بن حسن بن عبدالوهاب بن حسويه الدامغانيّ الحنفي، تفقه بخراسان، وقدم بغداد شابا، فأخذ عن القدوري، ولده سنة ثمان وتسعين وثلاث مائة، وحصّل المذهب على فقر شديد: له صدقات في السر، وكان منصفا في العلم، وكان يورد في درسه من المداعبات والنوادر نظير ما يورد الشيخ أبو إسحق الشيرازي، فإذا اجتمعا، صار اجتماعهما نزهة، وفي أولاده أئمة وقضاة، ومات سنة ثمان وسبعين وأربع مئة.

ذكر ابن السبكي في «طبقات الشافعية الكبرى ٢٢٧/٤» أنّ القاضي محمد بن محمد الماهاني قال: إمامان ما اتّفق لهما الحج: الشيخ أبو إسحق الشيرازي، وقاضي القضاة أبوعبدالله الدامغاني؛ أما الشيخ أبو إسحق فما كان له استطاعة الزاد والراحلة، ولكن لو أراد الحج لحملوه على الأحداق إلى مكة، والدامغاني لو أراد أن يحج على السندس والإستبرق لأمكنه ذلك.

سياق المناظرة

سُئل الشيخ أبو إسحق الشيرازي الشافعي عن الذّميّ إذا أسلم هل تسقط عنه الجزية لما مضى فمنع من ذلك، وهو مذهب الشّافعي.

فسُئل الدليل، فاستدل على ذلك بأنه أحَد الخراجين، فإذا وجب في حال الكفر لم يسقط بالإسلام، أصله خراج الأرض.

فقال أبوعبدالله محمد بن علي بن محمد الدامغاني: لا يمتنع أن يكون نوعان من الخراج، ثم يشترط في أحدهما ما لا يُشترط في الآخر، كما أنّ زكاة الفطر وزكاة المال نوعان من الزكاة، ثم يشترط في أحدهما النصاب، ولا يشترط في الآخر.

والسؤال الثاني: لا يمنع أن يكون حقّان متعلّقان بالكفر، ثم أحدهما

يسقط بالإسلام، والآخر لا يسقط، ألا ترى أنّ الاسترقاق والقتل حقّان متعلّقان بالكفر، ثم أحدهما يسقط بالإسلام وهو القتل، والآخر لا يسقط بالإسلام وهو الاسترقاق.

والسؤال الثالث: المعنى في الأصل أنّ الخراج يجب بسبب التمكّن من الانتفاع بالأرض، ويجوز أن يجب بمثل هذا السبب حقّ عليه في حال الإسلام وهو العشر، فلهذا جاز أن يبقى ما وجب عليه منه حال الكفر، وليس ذلك هاهنا؛ لأنه ليس يجب بمثل نسبته حق في حال الإسلام؛ فلهذا سقط ما وجب في حال الكفر.

فقال أبواسحق الشيرازيّ على الفصل الأول: وهو اعتبار نصاب في زكاة المال دون زكاة الفطر ثلاثة أشياء:

أحدها أنّ ما ذكرت حجّة لنا؛ لأن زكاة الفطر وزكاة المال لمّا كان سبب إيجابهما الإسلام، والكفرُ ينافيهما؛ كان تأثير الكفر في إسقاطهما مؤثّرا واحدا حتى إنه إذا وجبت عليه زكاة الفطر وارتد عندهم سقط عنه ذلك، كما إذا وجبت عليه زكاة المال ثم ارتدّ سقطت عنه الزكاة؛ فكان تأثير الباقي في إسقاطهما على وجه واحد؛ فكذلك هاهنا؛ لمّا كان سبب الخَراجين هو الكفر، والإسلام ينافيهما؛ فيجب أن يكون تأثير الإسلام في إسقاطهما واحدا، وقد ثبت أنّ أحدهما لا يسقط بالإسلام؛ فكذلك الآخر.

جواب ثان: أنّ الزّكاتين افترقتا؛ لأن زكاة الفطر فارقت سائر الزكوات في تعلّقها بالذمة، ففارقها في اعتبار النصاب، وليس كذلك الخراجان فإنّهما سواء في اعتبار الكفر في وجوبهما، ومنافاة الإسلام لهما؛ فلو سقط أحدهما بالإسلام سقط الآخر.

جواب ثالث: وهو أن زكاة الفطر لا تزداد بزيادة المال؛ فلهذا لم يُعتبَر فيها النصاب، وليس كذلك سائر الزكوات؛ فإنها تختلف باختلاف المال وتزداد بزيادته؛ فلهذا اعتُبر فيها النصاب، وأما حال الخراجين فإنهما على ما ذكرت سواء؛ فوجب أن يتساويا في الإسلام.

وأمّا الفصل الثاني وهو القتل والاسترقاق: فالجواب عنه من وجهين:

أحدهما أنّ القتل والاسترقاق جنسان مختلفان، ومع اختلاف الأجناس يجوز أن تختلف الأحكام؛ فأمّا في مسألتنا فالخراجان من جنس واحد يَجبان بسبب الكفر؛ فلا يجوز أن يختلف حكمهما.

والثاني: الاسترقاق إذا حصل في حال الكفر كان ما بعد الإسلام استدامة للرق وبقاءً عليه، وليس كذلك القتل؛ فإنه ابتداءُ عقوبةٍ فجاز أن يختلفا، وأما في مسألتنا فحال الخراجين واحدٌ من استيفاء ما تقدم وجوبه، فإذا لم يسقط أحدهما لم يسقط الآخر.

وأما الفصل الثالث وهو المعاوضة: فالجواب عنه من وجهين:

أحدهما: إن قال: لا أسلّم أن بمثل سبب الخراج يجب على المسلم حقٌّ؛ فإنّ الخراج إنما وجب بسبب التمكن من الانتفاع مع الكفر، والعُشْر إنما لزم للأرض بحق الله وهو الإسلام.

والثاني: أنه إن كان هناك حق يجب بمثل سبب الخراج فيحسن أن يجري عليه الذي في حال الإسلام، فلهذا جاز أن يبقى ما تقدم وجوبه في حال الكفر، فكذلك في مسألتنا يجب بمثل سبب الجزية حقٌّ حتى يجري عليه في حال الإسلام وهو زكاة الفطر؛ فإن الزكاة وزكاة الفطر تجب عن الرَّقَبة؛ فيجب أنّ الجزية تجب عن الرقبة وأن يبقى ما وجب من ذلك في حال الكفر؛ فلا فرق بينهما.

فقال أبوعبدالله الدامغاني على فصل الزكاة على الجواب الأول وهو قال فيه إن ذلك حجة فإنهما يستويان في اعتبار الإسلام في حال واحد من الزكاتين فقال لا يمتنع أن يكون الكفر يعتبر في كل واحد من الخراجين ثم يختلف حكمهما بعد ذلك في الاستيفاء، كما أن زكاة الفطر وزكاة المال يستويان في أن المال معتبر في حال واحدة فيهما ثم يختلفان في كيفية الاعتبار، فالمعتبر في زكاة الفطر أن معه ما يؤدي فاضلا عن كفايته عندكم والمعتبر في سائر الزكوات أن يكون مالكا لنصاب، فكذلك هاهنا يجوز أن يستوي الخراجان في اعتبار الكفر في كل واحد منهما ثم يختلف حكمهما عند الاستيفاء فيعتبر البقاء على الكفر في أحدهما دون الآخر.

وجواب ثان أن الزكاتين إنما أثر الكفر فيهما على وجه واحد لأنهما يجبان على سبيل العبادة فلا يجوز استيفاؤهما بعد الكفر، لأن الكافر لا تثبت في حقه العبادات، وليس كذلك في مسألتنا فإن الجزية تجب على سبيل الصغار، لأن الله تعالى قال: ﴿حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون﴾ وبعد الإسلام لم يوجد الصغار فلا يصح استيفاؤهما، وكذلك الخراج في الأرض لا يجب على سبيل الصغار، ولهذا يجوز أن يوجد باسمه من المسلمين وهو الذي ضربه عمر رضي الله عنه على الأرض السواد.

وتكلم على الجواب الثاني عن هذا الفصل وهو أن زكاة الفطر تتعلق بالذمة، فقال لا يمتنع أن يكون أحدهما في الذمة والآخر في المال ثم يستويان في النصاب، كما أن أرش الجناية يتعلق بعين الجاني وزكاة الفطر تتعلق بالذمة ثم لا يعتبر النصاب في واحد منهما، وأيضا فقد اختلف قول الشافعي في أن الزكاة تتعلق بالعين أو الذمة، فدل على أنه ليس العلة فيه ما ذكرت.

وتكلم على الجواب الثالث في هذا الفصل وهو أن زكاة الفطر لا تزداد بزيادة المال، فقال لما جاز ألا تزداد بزيادة المال، ثم لا يعتبر فيه النصاب، ثم هذا يبطل بما زاد على نصاب

الدنانير والدراهم عندك فإنه يزداد بزيادة المال ثم لا يعتبر فيها النصاب.

وتكلم على الفصل الثاني وهو الاسترقاق والقتل حيث قال إنهما جنسان يختلفان وهاهنا جنس واحد، فقال إنهما وإن كانا جنسين إلا أنهما يجبان بسبب الكفر، وكان يجب أن يكون تأثير الإسلام فيهما واحدا كما قلنا في الخراجين، والثاني أن الخراجين وإن كانا جنسا واحدا فإنه يجب أن يستوفيا في حال الإسلام كالخراج الذي وضعه عمر رضي الله عنه مع الخراج، فهما خراجان ثم يجوز ابتداء أحدهما بعد الإسلام فلا يجوز ابتداء الآخر فكذلك هاهنا.

وأجاب عن الجواب الثاني في هذا الفصل وهو أن الاسترقاق استدامة والقتل ابتداء فعل، فقال القتل والجزية سواء، لأن القتل قد تقدم وجوبه ولكن بقي بعد الإسلام الاستيفاء كما وجبت الجزية وتقدم وجوبها وبقي الاستيفاء وإن كان القتل لا يجوز بعد الإسلام لأنه ابتداء مع ما تقدم وجوبه في حال الكفر فهما سواء.

وتكلم على المعاوضة على الجواب الأول أن العشر لا يجب بالسبب الذي يجب به الخراج، فقال الخراج يجب بإمكان الانتفاع بالأرض، ولذلك لا يجب فيما لا منفعة فيه من الأرض كالمستغدر وما يبطل منه الانتفاع به، كما يجب العشر بإمكان الانتفاع فهما يجبان بسبب واحد فإذا جاز ابتداء أحدهما بعد الإسلام جاز البقاء على الآخر بعد الإسلام.

وتكلم على الفصل الثاني وهو زكاة الفطر فقال الجزية لا تجب بالمعنى الذي تجب به زكاة الفطر لأن زكاة الفطر تجب على سبيل العبادة والجزية تجب على وجه الصغار فسببهما مختلف.

فتكلم الشيخ أبو إسحق على الجواب الأول بأن ذلك حجة لي فقال أما قولك إنه يجوز أن يشترك الحقان في اعتبار الإسلام ثم يختلفان في الكيفية والتفصيل كما استوى زكاة الفطر وزكاة المال في اعتبار المال واختلفا في كيفية الاعتبار فهذا صحيح في اعتبار المال، فأما في اعتبار الدين فلا يجوز أن يختلف جاز الابتداء والاستيفاء، ألا ترى أن زكاة الفطر خالفت سائر الزكوات في التفصيل في اعتبار المال ثم الكفر لما كان مباينا لهما والإسلام معتبر فيهما لم يختلف اعتبار ذلك فيهما لا في الابتداء ولا في الاستيفاء، بل إذا زال الإسلام الذي هو شرط في وجوبهما أثر الكفر في إسقاط كل واحد منهما ومنع من استيفائهما، فكذلك هاهنا لما كان الإسلام منافيا للخراجين والكفر شرط في وجوبهما وجب أن يكون حالهما واحدا في اعتبار الكفر في الابتداء والاستيفاء كما قلنا في زكاة الفطر وزكاة المال.

وأما الكلام الثاني الذي ذكرت على هذا بأن زكاة الفطر وزكاة المال يجبان على سبيل العبادة فنافاهما الكفر وأن الجزية على سبيل الصغار فغير صحيح؛ لأنه كما تجب الجزية على سبيل الصغار فخراج الأرض كذلك فإذا نافى الإسلام أحدهما ومنع من الاستيفاء لأنه ليس بحال صغار وجب أن ينافى الآخر أيضا ووجوبه على سبيل الصغار.

والثاني أنا لا نعلم أن الجزية تجب على سبيل الصغار بل هي معاوضة، ولهذا المعنى تعتبر فيها المدة كما تعتبر في المعاوضات ولو كان ذلك صغارا لم تعتبر فيها المدة كما تعتبر في الاسترقاق والقتل، ويدل عليه أنها تجب في مقابلة معوض لهم وهو الحقن والمساكنة في دار الإسلام وما سلم لهم معوضه دل على أنه يجب على سبيل العوض.

وأما قوله تعالى: ﴿حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون﴾، فقد قيل في التفسير إن المراد به أنهم ملتزمون لأحكام الإسلام.

والثالث أن الصغار إنما يعتبر في الوجوب، فأما في الاستيفاء فلا يعتبر، ألا ترى أنه لو ضمن عنه مسلم جاز أن يستوفي عنه، وإن لم يجب على المسلم في ذلك صغار فدل على بطلان ما قالوه، وأيضا فإن الصغار قد يعتبر في إيجاب الشيء ولا يعتبر في استيفائه، كما أن الحدود تجب على سبيل التنكيل بالمعاصي، ولهذا قال الله تبارك وتعالى: ﴿جزاء بما كسبا نكالا من الله والله عزيز حكيم﴾، فذكر النكال عقب ذكر الحد، كما ذكر الصغار عقيب ذكر النكال، فقد روي عنه ﷺ أنه قال: «التائب من الذنب كمن لا ذنب له» فكذلك هاهنا.

وأما الكلام عن الجواب الثاني من هذا الفصل وهو أن زكاة الفطر تتعلق بالعين فصحيح، وما ذكرت من التفصيل فلا يلزم لأني لم أقل إن كل حق يتعلق بالعين يعتبر فيه النصاب، وإنما قلت إن الزكاة إذا تعلقت بالعين اقتضت النصاب وزكاة الفطر تخالف سائر الزكوات في تعلقها بالعين فخالفتها في اعتبار النصاب، فلا يلزم عليه سائر الحقوق.

وأما قولك إن النصاب معتبر في سائر الزكوات من غير اختلاف وفي تعلق الزكاة بالعين قولان فغير صحيح، لأن القول به فاسد، وبهذا يستدل على فساده لأنه لو كان تعلق بالذمة لما اعتبر فيه النصاب.

وأما الجواب الثالث عن هذا الفصل أن زكاة الفطر لا تزداد بزيادة المال وسائر الزكوات تزداد بزيادة المال فهو صحيح، وما ذكرت من أنه لو كان ذلك صحيحا لما اعتبر فيه وجود صاع فاضلا عن الكفاية فباطل، لأنه يعتبر فيها النصاب ولا يزداد بزيادة المال.

والله أعلم.

لغة وأدب

نحن والعمل الدرامي الأدبي

من أعجب العجب أن ترى كل أمة من أمم الأرض تتباهى بتاريخها وماضيها، وتسعى لتخليده بكل ما أوتيت من سبل التوثيق، ثم تتولى مؤسساتها المختلفة عرضه على أجيالها المتوالية لتحافظ على صلة الوصل بين ماضيها وحاضرها، وهذا حق مشروع للجميع، لكن السؤال الحارق هو أين نحن -المسلمين- من هذه القاعدة؟

إن المرء ليطمح أن تتولى مؤسسات إسلامية أدبية وإعلامية وتربوية وتاريخية إنجاز عمل درامي أدبي يوجز تاريخ الإسلام ويعرضه بصورة منصفة مجملة تتعرض لإنجازات المسلمين في المجالات العلمية والأدبية والطبية والإنسانية...إلخ، ويكون مستوعبًا وجود المسلمين التاريخي من لحظة انبثاق الرسالة حتى يوم الناس هذا، متعرضا قدر الإمكان لوجود المسلمين المكاني المتوزع على أصقاع الأرض؛ بحيث يخرج منه القارئ أو المشاهد بصورة كلية عن الإسلام والمسلمين عبر التاريخ، مما يبعث في نفسه الشعور بالانتماء لخير أمة أخرجت للناس، والفخر بهذا الإرث العظيم.

المحرر

الشعر والإصلاح الاجتماعي

شعبان ناجي

كان الوطن العربي في فترة ما بين الربع الأخير من القرن التاسع عشر والنصف الأول من القرن العشرين الميلادي يعاني من مشكلات اجتماعية عديدة فضلا عن المشكلات السياسية وعلى رأسها الاستعمار الذي كان قد استنزف قوى البلاد وخيراتها، وفي المجال الاجتماعي الذي نحن بصدد الحديث عنه كانت توجد مشكلات فيما يتعلق بالمرأة العربية ووضعها، والشباب وما هم فيه من انغماس في اللهو والزينة والتشبه بالنساء.

كان اجتياز مثل هذه المشكلات الاجتماعية الشائكة، يعد اختبارًا صعبًا للإرادة الوطنية والأصالة العربية وذلك في ظل ما طرأ على البلاد من تداعيات الاستعمار، وتوابعه، ومن ثم كان الدافع قويًا للسير في درب الإصلاح من أجل العثور على الحلول لكي يخرج المجتمع إلى الحضارة والرقي والكرامة الإنسانية، وكان حماس الشعراء والمصلحين قويًا لحل تلك المشكلات حلا يتوافق مع أصول حضارتنا الإسلامية والعربية على الرغم من ميل بعض هؤلاء المصلحين للمناخ الغربي في أوروبا ولكن لأن الحضارة الإسلامية تتميز باتساع الآفاق ورحابة الفكر فقد هيأت لأصحابها فرص الانتفاع بكل ما يحمد من حضارة الإنسان على اختلاف الزمان والمكان والجنس والعقيدة.

ويهمنا فيما يلي من حديث حول الشعر في ميدان الدعوة إلى الإصلاح الاجتماعي أن نؤكد على أن الشعر العربي الحديث كان له دور إيجابي وفعال في ميدان الإصلاح وكان له صوت مسموع، وقد ظهر ذلك من خلال تصدي الشعراء لمشكلات المجتمع وقضاياه من مظاهر الفساد والانحلال الخلقي والآفات الاجتماعية التي شاعت بين كثير من طوائف الشعب (١)، وفي هذا يقول الرافعي في إحدى قصائده عن الشباب وما صار إليه من تدنٍ وتميع بدعوى الحضارة والمدنية:

أرى فتنة كالغانيات تدللا
تميل مع الأهواء كل مميل
تخال الفتى منهم على ظلمة النهى
لألوان ثوبيه سماء أصيل

وفي نفس القضية كان قد تحدث الشاعر محمد حمدي النشار (٢) وقد يئس من الوصول إلى حل لفساد الشباب وقد راح ينفس عن نفسه فقال:

فسد الزمانُ وأهله
يارب نسألك السلامة
هذا تمدين معشر
جعلوا الفجور له علامة
من كل مياس القوام
له على الخدين شامة

ومن بين ما شاع في هذا العصر من مفاسد وآفات، آفة التواكل والتراخي والكسل، وتحكم الأنانية وتقديم المصالح الشخصية على مصالح المجتمع، وقد تصدى الشعراء لمثل هذه الآفات، منهم حافظ إبراهيم الذي راح ينعى على الشعب تخاذله وتواكله وقعوده عن الكفاح ومواصلة بناء الحضارة التي يريد المستعمر هدمها:

أرى شعبًا بمدرجة العوادي
تمخمخ عظمه داء عقام
سرى داء التواكل فيه حتى
تخطفَ رزقه ذاك الرخام
هلاك الفرد منشؤه توان
وموت الشعب منشؤه انقسام

وأما في سبيل الحث على التمسك بالدين الحنيف والاعتصام بحبله المتين والالتزام بأوامره وصون كتاب الله الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، يقول الشاعر أحمد محرم في إحدى قصائده:

هو الدين إن يذهب فلا عز بعده
وإن جد ساعينا على إثر من سعى (٣)

• ناقد أدبي

وهكذا كانت قضية الفساد الخلقي محورًا مهماً من محاور الدعوة إلى الإصلاح احتشدلها الشعر بكل طاقاته ففضح المستور وشخص الداء وحدد له الدواء على أمل كبير في الشفاء.

وثمة قضايا أخرى بجانب تلك القضايا كان على رأسها قضية الاقتصاد المأزوم في ظل الاستعمار، والذي كان له الأثر السيئ على الشعوب العربية حيث انخفاض مستوى المعيشة لدى السواد الأعظم من الناس. هذا الانخفاض الذي ارتفع مؤشره مع قيام الحرب العالمية الأولى فضاقت أبواب الرزق، وتوقفت حركة الصادرات والواردات، وتوقفت المشروعات ووجد الألوف من العمال والموظفين أنفسهم وقد فقدوا مورد رزقهم وأصبحوا عرضة للموت جوعًا (٤)، وإزاء تلك الظروف الخانقة ارتفعت أصوات الشعراء في ذلك الوقت بالدعوة إلى حل مشكلات الفقر الذي هد الناس وجعل كرامهم أذلة فنجد حافظ إبراهيم يقول:

أيها المصلحون رفقًا بقوم
قيد العجز شيخهم والفلاما
واغيثوا من العلاء نفوسًا
قد تمنت مع الغلاء الحماما

وفي ذم البخل والإشادة بالبر والإحسان إلى المحتاج يقول أحمد شوقي (٥):

ولم أر مثل جمع المال داءً
ولا مثل البخيل به مصابا
فلا تقتلك شهوته، وزنها
كما تزن الطعام أو الشرابا

ولعل فيما تقدم من نصوص ما يدل على أن الشعر العربي الحديث ولاسيما المحافظ منه كان مواكبًا لمشكلات الأمة العربية ناهضًا برسالة الإصلاح الاجتماعي، وأن الشعراء والمصلحين قد ارتفعوا بما لا يقبل الشك إلى مستوى الالتزام الأدبي تجاه عروبتهم وتجاه دينهم الحنيف، وأنهم لم يهيموا في أودية الخيال والبهرجة بينما شعوبهم تتلوى جوعًا من ناحية، وتحترق من نيران الفساد والاستعمار من ناحية أخرى، وإنما قد انغمسوا في تيار أمتهم موقنين كل اليقين بأن من واجب الشاعر وإنسانيته أن يكون في قومه نغمًا شاديًا تستريح إليه النفوس وتستجيب له عواطف القوم، وتتلاقى عنده آلامهم وآمالهم وأن من أمانة الكلمة أن تكون لصالح المجتمع طيبة مثل الشجرة الطيبة التي تؤتي أكلها كل حين بإذن ربها.

مراجع

١- دراسات في الأدب واللغة، ص١٠٤، مجموعة من الأساتذة بجامعة طنطا - مصر ١٩٩٨م.
٢- ديوان البشار، ج٢، ص٢٤.
٣- ديوان أحمد محرم، ج١ ص١٣.
٤- محمد سيد كيلاني، فترة مظلمة في تاريخ مصر، ص ١٨١ -١٨٣.
٥- الشوقيات، ط١، ص٦٩.

اللفافة

محمود مفلح

تجني عليكَ وأنت فيها مولع
وتقول إنك عاشقٌ مستمتع
في كل يومٍ أنت تبصر راحلًا
من سمّها، ورحيلهم لا يقنع
تلك اللفافة عقربٌ لذّاغةٌ
والقرب منها يا صديقي مفزع
يا ليت أنك حين تنفث سمّها
تدري بأنك كأسه تتجرع!
يا ليت أنك حين تدفع مهرها
تدري بأن رحيق عمرك تدفع
كم من فتى تركتْه أصفرَ ناحلا
بالأمس كان كوردةٍ يتضوّع
شلّت قواه وراح يلهث خلفها
ويذوب مشتاقًا وفيها المصرع
فتكتْ به ولها يسلّم أمره
عجبًا أتمعن في أذاه ويخضع!
كم من فتاةٍ حين تبصر وجهها
تأسى لها وتقول جلّ المبدع
قد كان في تلك الخدود نضارةٌ
قد كان ضوء الشمس فيها يلمع
فسطتْ عليها آفةٌ قتّالة
وإذا بأجملِ ما أثارك يلقع
وإذا سمعتَ سعالها ترثي لها
فكأنما أحشاؤها تتقطّع
كل الطلاء وإن غلَتْ أثمانه
لا يُرجعُ الألق الذي لا يَرجع
لا تخدعنّكَ من اللفافة نكهةٌ،
هي كذبةٌ كبرى وقولٌ أقرعُ
إن الإرادة أن تكون مقرّرًا
لطلاقها ولك الوسام الأرفع

* أديب وشاعر

الكيد للفصحى على مدى قرن ونصف من الزمان

د.محمد أحمد عبدالهادي

تنبَّه المستعمر الصَّليبي بعد طرده من ديار الإسلام- بل وبعد نقل المعركة إلى عقر داره في أوروبا- إلى أهمية الدين الإسلامي، وأثره في بقاء المسلمين أقوياء، فبدأوا في غزو فكري يحاول هدم أسس الإسلام في نفوس المسلمين، وشنوا حملات مختلفة في جميع الميادين، فشككوا في المسلمات الدينيَّة، ونبشوا آثار الأمم الكافرة التي أزال الله بالإسلام دولهم وحضاراتهم، وشوهوا تاريخ الإسلام وسيَر قدواته، وكانت الهجمة مركزة على لغة الإسلام، ولغة رسول الإسلام ﷺ لقطع حبال الاتصال بين حاضر المسلمين وماضيهم، ولجعل القرآن الكريم غريبًا على آذانهم، وكذلك سنة رسوله ﷺ وتراث المسلمين المتنوع، فجردوا اللغة العربية من رداء القدسية، وحاولوا فصل اللغة العربية عن الإسلام.

يقول طه حسين: «إن اللغة العربية ليست ملكًا لرجال الدين يؤمنون وحدهم عليها، ويقومون وحدهم دونها، ولكنها ملكٌ للذين يتكلمونها جميعًا، وكل فرد من هؤلاء الناس حرٌّ في أن يتصرف في هذه اللغة تصرف المالك...» (١). ونحن بدورنا نقول ردًا على قول طه حسين وغيره من المستغربين: «إذا فقدت اللغة العربية هذا الرداء المقدس، وفقدت أهميتها الدينيَّة سارت إلى ما سارت إليه اللغات البائدة».

وعلى أية حال فقد اتخذ الهجوم على اللغة العربية لتدميرها عدة محاور هي

المحور الأول: الدعوة إلى العامية

روج الغرب والمستغربون لهذه الدعوة لينعزل كل جزء من العرب في محيطهم بلغتهم العامية، وتاريخهم الوثني القديم، وليصبحوا أممًا شتى. وكان أول من دعا إلى استعمال العامية وتدوين قواعد لها رفاعة رافع الطهطاوي (المفتون بالغرب) الذي قال في كتاب أصدره عام ١٨٦٨م تحت عنوان «أنوارٌ توفيق الجليل من أخبار توثيق بني إسماعيل»: «إنَّ اللغة المتداوَلة المسمَّاة باللغة الدارجة التي يقع بها التفاهمُ في المعاملات السائرة لا مانع أن يكون لها قواعد قريبة المأخذ، وتصنف بها كتب المنافع العمومية، والمصالح البلدية...».

وفي عام ١٨٨٨م خرج علينا مندسٌّ من المستشرقين عاش في مصر مديرًا لدار الكتب المصرية اسمه ولهلم سبيتا بكتاب أسماه «قواعد اللغة العامية في مصر» وذكر أنه قد جازف بذلك العمل لحبه لمصر وللمصريين.

وكان لـ «ولكوكس» في الفصحى رأي صفيق: فقد قال في محاضرة له: إن ما يعيق المصريين عن الاختراع هو كتابتهم بالفصحى، وما أوقفني هذا الموقف إلا حُبي لخدمة الإنسانية، ورغبتي في انتشار المعارف. وأعلن في آخر المحاضرة عن مسابقة للخطابة بالعامية، ومن تكون خطبته جيدة ناجحةً فله أربع جنيهات، كان ذلك عام ١٨٩٢م، وكان يصدرُ مجلة اسمها «الأزهر». وكان يدعو إلى العامية من خلالها.

أما القاضي ولمور فقد كتب عام ١٩٠١م كتاب «العربية المحلية في مصر»، قال فيه: ومن الحكمة أن ندع جانبًا كل حكم خاطئ وُجِّه إلى العامية، وأن نقبلها على أنها اللغة الوحيدة للبلاد(٢). وفي عام ١٩١٠م وضع كتابًا آخر سمَّاه «لغة القاهرة»، وجاء مضمونه كسابقه.

وقد تبنى عدد من العرب المغرضين هذه الدعوة أمثال سلامة موسى الذي يقول في كتابه «البلاغة العصرية»: إنها تبعثر وطنيتنا- يقصد بذلك الفصحى- وتجعلها شائعة في القوميَّة العربية.

وكذلك لويس عوض الذي كتب ديوانه «بلوتو لاند» عام ١٩٤٧م الذي دعا فيه إلى كسر رقبة البلاغة العربية، وإلى الكتابة بالعامية.

لم يكن هذا الوباء لمصر وحدها، فهذا إسكندر معلوف (٣) اللبناني قد أنفق وقته في ضبط أحوال العامية، وتقييد شواردها لاستخدامها في كتابة العلوم؛ لأنَّه وجد أسباب التخلف في التَّمسك بالفصحى.

ومارون غصن الذي أصدر كتابًا قال فيه: إنَّ كل لغة سائرةٌ إلى الفناء؛ لأن الشعب كلَّه متعلقٌ كل التعلق بلغة آبائه وأجداده، وما هذه اللغة إلا العامية.

ويتعمق الشاعر العراقي جميل صدقي الزهاوي فيقول: فتَّشْتُ طويلا عن انحطاط المسلمين فلم أجد غير سببين أولهما: الحجاب الذي عدَّدتُ في مقالي الأول مضاره، والثاني: كون المسلمين- ولاسيما العرب منهم- يكتبون بلغة غير التي يحكونها.

وكان للمغرب العربي نصيب من هذا الدعوة: فقد أصبحت اللغة العربية لغة ثانية بعد الفرنسية لغة المستعمر، وجاء في تقرير أعدته لجنة العمل المغربية الفرنسية: إنَّ أول واجب في هذه السبيل هو التقليل من أهمية اللغة العربية، وصرف الناس عنها بإحياء اللهجات المحلية واللغات العامية في

* أستاذ اللغة في جامعة قطر

شمال إفريقيا.

وقد وضع علماء الاستعمار من المستشرقين كتبًا في قواعد اللهجات الأمازيغية لتزاحم العربية. يقول شحادة الخوري: شعر المستعمر باستحالة اقتلاع اللغة العربية من أرض الجزائر، وغرس اللغة الفرنسية مكانها، فلجأوا إلى وسيلة مُساعدة أخرى وهي الإيحاء لأكبر عدد من أبناء الجزائر بأن اللغة العربية ليست لغة أصليَّة في الجزائر، وإنما اللغة الأصلية لسكان الجزائر هي اللغة البَرْبريَّة لغة الأمازيغ، وقد تطوع الفرنسيون لوضع أبجدية لها كيما يمكن كتابتها.

المحور الثاني: الدعوة إلى الكتابة بالحروف اللاتينية

هذه الدعوة مرتبطةٌ بالدعوة السابقة: حيث أخذ الهجوم على الفصحى (٤) بالتدرج وتوحيد الجهود، وقد بدأ بذلك سلدان ولمور في كتابه(٥) «العربية المحلية المصرية»، وهدَّد بأن العرب إن لم يفعلوا ذلك فإن لغة الحديث والكتابة ستتقرض، وستحل محلها لغة أجنبية.

ويخرج علينا عضو في مجمع اللغة العربية هو عبدالعزيز فهمي، الذي دعا عام ١٩١٣م لكتابة العربية بالحروف اللاتينية، وأصدر كتابًا يوضح فيه طريقته.

وأما أنيس فريحة الخوري فلا يرضى بأن تكون العامية اللغة المعتمدة بل يدعو إلى كتابتها بالحروف اللاتينية لتكون لغة رسمية للعرب، لأن الحرف العربي لا يصلح لتدوين اللهجة

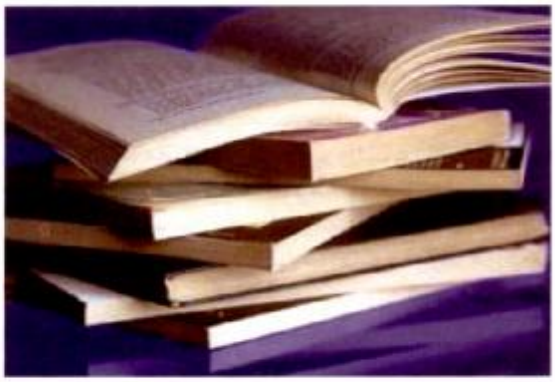

العامية. ويقبل اقتراح عبدالعزيز فهمي: لأنَّه يَضْبط لفظة اللغة مرةً واحدة لجميع الناس، ويطبق أدونيس تلميذ فريحة المدلل ما يريد أستاذه فيصدر في عام ١٩٦١م ديوانًا اسماه «يارا» كتب بالحروف اللاتينية.

المحور الثالث: الدعوة لإصلاح اللغة العربية

فمن أجل الإصلاح «المزعوم» وصم المفرضون العربية بالجمود والتعقيد والصعوبة، فمنهم من دعا إلى إلغاء الإعراب مثل قاسم أمين عام ١٩١٢(٦)، حيث دعا إلى تسكين أواخر الكلمات عوضًا عن الإعراب، يقول سلامة موسى: والتأفف من اللغة الفصحى التي نكتب بها ليس حديثًا، إذ يرجع إلى ما قبل ثلاثين عامًا حين نعى قاسم أمين على اللغة العربية صعوبتها، وقال كلمته المشهورة: إن الأوروبي يقرأ لكي يفهم، ونحن نفهم لكي نقرأ.

فانظر إلى ترابط الهدم، إذ يتحدث عن إفساد المرأة ثم يدعو إلى إفساد العربية.

ولمثل دعوته في ترك الإعراب دعا عبدالعزيز فهمي وتبعهما كثيرون بدعوى التخلص من العبء الثقيل وهو الإعراب.

ومنهم من دعا إلى إصلاح قواعد الكتابة مثل أحمد لطفي السيد(٧) الذي يقول: إن سبب تراجع الأمة العربية تمسكها بالتشديد والتنوين، ثم دعا إلى قواعدَ جديدةٍ ابتكرها مزهوًا بذلك.

أما أنيس فريحة فقد أصدر عام ١٩٦٦م كتابًا أسماه «في اللغة العربية وبعض مشكلاتها» يوصم العربية بالعجز عن اللحاق بالعلوم والفنون، وجعل هجاءها من مشاكلها، ودعا إلى تيسير ذلك، وأخذ يحيي اقتراحات بائدةً لإصلاح ذلك، كما تأفف من مشكلات القواعد النحوية، واشتكى من الصرف، ودعا في ثناياه إلى العامية!

المحور الرابع: إفساد الذوق السليم

لما عجز المفرضون عن فرض العامية، وكَلَّت أقلامُهم في الدعوة إلى الحروف اللاتينية، وماتت تجاربهم في مهدها، ولم يستطيعوا جرَّ العرب لتحطيم العربية بدعوى الإصلاح، عند ذلك لجأوا إلى إفساد الذوق السليم لكي يعدمَ العربي ذوقه الذي اعتاد عليه في الاستمتاع بما كتب به كتابه الكريم، وسنة نبيه ﷺ، وتراثه الأصيل، وحاضرهُ الزاخر.

لقد دعوا إلى تحطيم الشعر، يقول لويس عوض: «حطِّموا الشعر: لقد مات الشعر العربي عام ١٩٣٣م، مات بموت أحمد شوقي»، فصار الشعرُ طلاسم وأحاجي لا يفهمها حتى كاتبها، لكي يعدم الشاب النماذج التي يحاكيها.

كما شُجعت الآداب الشعبية لإفساد الذوق، وحرف الناس عن أدبهم الفصيح، ولكي تسيطر العامية على الناس، وبهذا الصدد يقول د. محمد محمد حسين- رحمه الله- عن هذا الأدب: «هو امتداد للدعوة إلى استبدال اللهجات المحلية العامية مكان اللغة الفصحى»، وأجزم أولًا أنَّ تدوينها والاهتمامَ بها ليتعلقَ بها الناس، ويفسدَ ذوقهم ويعتادوها، ويعدموا بذلك النموذج الأصيل.

مراجع

(١) المجموعة الكاملة لمؤلفات طه حسين، علم التربية، ٢٩٠، بيروت ١٩٩٧-١٩٨٠.
(٢) الاتجاهات الوطنية، لمحمد محمد حسين ج٢، ٣٦٠.
(٣) المرجع السابق، ج٢، ٣٦٣.
(٤) المرجع السابق، ج٢، ٣٦٠.
(٥) المرجع السابق، ج٢، ٣٦٣.
(٦) المرجع السابق، ج٢، ٣٧٢.
(٧) المرجع السابق، ج٢، ٣٦٩.

العلامة اللغوي محمود الملاّح (يرحمه الله)

طلال محمود النعيمي

تمر الذكرى الحادية والأربعون على وفاة العلامة اللغوي النحرير والشاعر الكبير محمود الملاح رحمه الله، دون أن يذكره أحد من أبناء العراق بصورة عامة، أو أبناء بلدته بصورة خاصة حسب علمنا ومعرفتنا، وقد حاولت التعريف به- وهو أشهر من نار على علم- للأجيال الصاعدة والناهضة بما قدمه للشعر واللغة والأدب والتاريخ من مؤلفات وغيرها من بحوث ومحاضرات ومقالات وتعليقات، ومن حقه علينا وعلى جيله أن نذكره ويذكروه بكل إجلال واحترام، وألا ننسى فضله وعلمه وجهاده الذي استمر ما يقارب نصف قرن، وربما اكثر ما يقارع فيها المنحرفين من الملل والنحل المغرضة والمنحرفة كما سنوضحه إن شاء الله.

ولد الاستاذ العلامة محمود الملاح، رحمه الله، بمدينة الموصل عام ١٨٩١م ونشأ وترعرع فيها، تعلم القرآن بنفسه من غير معلم أو شيخ كما ذكر ذلك لأحد أصدقائه وهو الاستاذ محمد سعيد عبدالوهاب، وأخذ يقرأ كل كتاب يقع بيده، استفاد من استاذه ومعلمه الوحيد الشيخ عبدالله النعمة الذي منحه الشهادة العالمية والاجازة العلمية ليصبح عالم دين أو شيخًا معممًا.

وفي الحرب العالمية الأولى، استدعي للخدمة العسكرية، فالتحق جنديًا كاتبًا في حلب، وهناك التقى بعلمائها وأدبائها، وأخذ عنهم واستفاد من علمهم وبقي فيها الى ان انتهت الحرب العالمية الأولى فرجع الى بلدته الموصل وظل بها فترة، بعدها سافر الى سورية حوالي سنة ١٩١٩م في مهمة وطنية، فعهدت اليه الحكومة السورية ببعض الوظائف العلمية لقلة وندرة من يحسن العربية في دوائر الدولة، ولما عرف عنه من تفان واخلاص في عمله، وقد بقي في عمله في خدمة الحكومة العربية الى ان احتل الفرنسيون سورية، فرجع الى بلدته الموصل وبقي فيها فترة قصيرة وسافر الى بغداد سنة ١٩٢٠ وسكنها، وعين فيها مدرسًا في الثانوية ودار المعلمين، وجرت عليه معاكسات ومضايقات! فاستقال منها واكتفى بالتدريس بالمدارس الاهلية، واختير للتدريس في المدرسة العسكرية فترة من الزمن، ثم ألغيت وظيفته، وبعد الغاء وظيفته، اختار العزلة والعكوف على المطالعة والتتبع وقرض الشعر والكتابة في الصحف، وانتخب نائبًا عن لواء (محافظة) الموصل قبل الحرب العالمية الثانية، وبقي في بغداد الى ان وافاه الاجل المحتوم ليلة الاربعاء ١٩٦٩/٣/١٩.

ساهم الملاح في شبابه مع طلائع الشباب الوطني في الموصل في نشر وبث الوعي الإسلامي والقومي عن طريق الشعر والخطب الحماسية وتشجيع النشء الجديد والصاعد على التمسك بأخلاق وآداب العرب والمسلمين لإعادة الامجاد والمفاخر العربية والإسلامية، ودعا الى الحرية والاستقلال.

كان -رحمه الله- واسع الاطلاع غزير العلم بالادب والنقد الادبي والشعر والتاريخ واللغة والاديان وباقي العلوم الاخرى، وبعبارة اخرى كان موسوعيًا ودائرة معارف حية ومتنقلة!! فأخذ على عاتقه التصدي للشعوبيين والمنحرفين

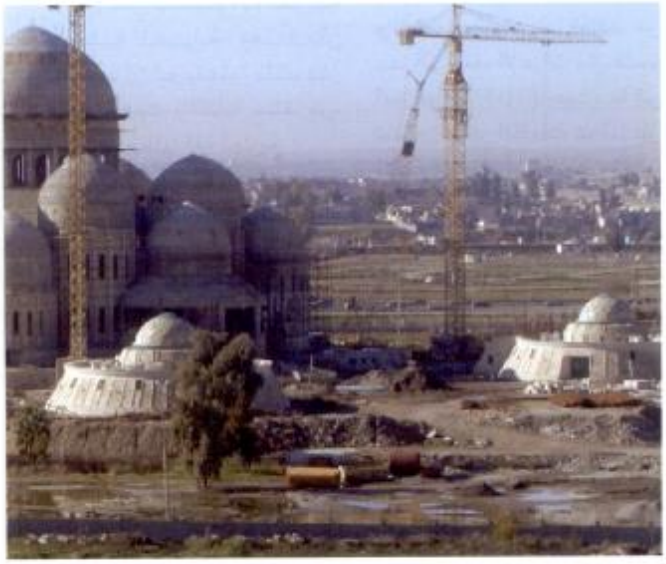

* باحث عراقي

والمفترين والدساسين الذين سوّلت- وتسول- لهم أنفسهم الافتراء أو الدس أو الكذب على ديننا الإسلامي وتاريخنا وعروبتنا واخلاقنا وعاداتنا وتقاليدنا.

مؤلفاته ومقالاته

لقد بيّن الملاح وأوضح زيف العقائد والنحل المنحرفة والزائفة كالبابية والبهائية والاحمدية والقاديانية فقال عنها: كانت حركة البابية حركة ذاتية، أي انها نبتت في صميم الوطن الايراني غير مستمدة من خارجه شيئًا، فلما بطش بها الايرانيون تحولت الى بهائية واتصلت بالاستعمار ليحميها. أما الاحمدية فإن الاستعمار هو الذي أنبتها، وهو الذي تعهدها بالسقي، وهو الان يحميها، وهما من حيث المبدأ والغاية ملة واحدة! (١).

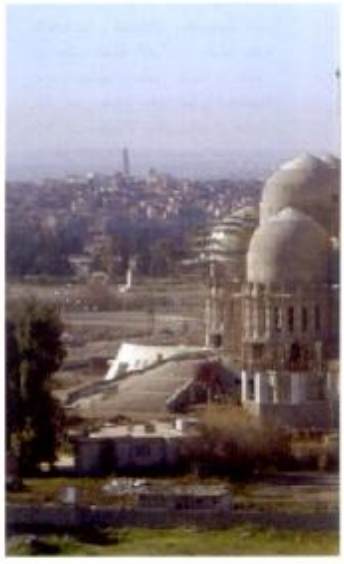

وتكلم عن القرمطية فقال: ان الحركة واساتذتها من العبيديين (آل القداح) حركة طائفية أشربَت معنى الشيوعية، وهي شعبة من الاباحية التي تلقوها عن المزدكية الفارسية لاجتذاب الشبان الى نحلتهم! وكانت شيوعية مزدك في النساء والاموال (٢).

وتكلم عن ثورة الزنج - بل فتنة الزنج - فقال: أما ثورة الزنج فكان زعيمها رجل من الطالبيين اسمه علي بن محمد، وكان من حيل هذا الطالبي، أن أشاع بين العبيد من الزنج أن كل من التحق به فهو حر! وبذلك كثر جيشه، كما يعمد الثوار الى كسر السجون ليكثروا بالمسجونين، ولم يكن هو عبدًا يطلب التحرير لنفسه أو لغيره، بل لنقل اولئك العبيد السود من عبودية مادية الى عبودية روحية!

وكانت نتيجة ثورته خراب معظم العراق، خاصة البصرة فقد نالها أعظم قسط من التدمير وسبي النساء وهتك الاعراض!

ولم تظهر له رسالة تدل على أنه طالب اصلاح، فثورته اعتقادية لا اقتصادية، ومن الغريب ادعاء بعض المؤلفين المحدثين في كتاب مملوء بالتدليس والتلبيس ان صاحب الزنج بمنزلة ابراهام لنكولن (محرر العبيد)!

وكانت ثورة القرامطة من هذا الطراز، أي كانت لغاية مذهبية لا تحريرية، كما زعموا، وجرت على ايديهم فضائح أكثر شناعة مما ارتكبه الزنج، لأن الزنج انحصر شرهم في العراق، والقرامطة جاوز شرهم الشام الى مصر، ومن فروعهم الحاكم بأمره الذي ادعى الالوهية! وأوضح مثال مجسم نقدمه لذوي الشبه اغاخان الذي يوزن كل سنة بالماس والعقيان (٣).

وتكلم عن اخوان الصفا وعن رسائلهم فقال: كل رسالة من الرسائل الخمسين تقوم مقام فرقة أو رتل، تحت كل حرف صل (نوع من أخبث الحيات)، وتحت كل كلمة افعى، وتحت كل عبارة ثعبان، وتحت كل سطر تنين. فلا يحسن الدخول فيها الا لمن كسا قدميه خفين حديديين، وكفيه قفازين فولاذيين، وهو مع ذلك مدرع باليقين، متوكل على ذي القوة المتين. وهي رسائل رجعية، ورجعيتها لا تنفي أن تكون هدامة للقومية الإسلامية والعربية، ولها منافذ الى الهاوية ونوافذ للريح العاتية ... انهم اخوان الشياطين (٤).

كما تكلم عن كثير من تلك العقائد والنحل المنحرفة والزائفة كالشيخية والسيئية والبابكية والخرمية والخوارج... الخ.

ودعا الى التمسك بالدين الإسلامي الحنيف، والى وحدة العرب والمسلمين، والى نبذ التعصب والاختلاف والرجوع الى الحق، فكثر خصومه، فحاربهم بلا هوادة وعلى عدة جبهات دون كلل أو ملل.

وكان يراقب ويرصد ما صدر من مجلات وكتب ويراجعها، وبعد التصفح يرد على من يفتري ويبث الاكاذيب حول نبينا عليه الصلاة والسلام أو الدين الإسلامي أو التاريخ الإسلامي... الخ.

والويل للمفتري أو الكذاب أو لمن تسول له نفسه أن يدسّ أنفه فيما لا يراه النفقيد (الملاح) صحيحًا.

ولهذا وغيره فقد دبج المئات من المقالات.. تصدى بها للفحول والقطاحل من العلماء والادباء والباحثين، وكان يخرج من تلك المعارك الصحافية منتصرًا. بل كانت تلك المعارك تزيده قوة وعزمًا ومضاء، فهو المحقق والمدقق لما ينشر، ليعقب بعد ذلك على كل منحرف من الكتاب والمؤلفين والادباء وغيرهم.

وكان كالسيف الصارم على الشعوبية والشعوبيين وعلى

اعداء الإسلام بما يدسونه ويفترونه على الإسلام ونبيه ورجالاته.

واصدر مجلة «التجدد» في بغداد عام ١٩٢٨م.

أما رسائله وكتبه المخطوطة فمنها:

١- المهدي والمهدوية.

٢- المجوسية المبرقعة.

٣- ديوان شعر يبلغ اكثر من جزأين وربما ثلاثة.

وكان له مجلس او ندوة اسبوعية يعقدها في بيته، يحضرها محبوه وعارفو فضله من العلماء والادباء والمؤرخين وغيرهم.. ينهلون بما يفتح الله عليه من اللغة والادب والتاريخ والتعليقات والمناقشات على الكتب الجديدة والقديمة والمجلات، فيستفيدون من تلك التعليقات والمناقشات. يقول الشيخ يونس ابراهيم السامرائي البغدادي: وكان له مجلس عامر في داره في البتاوين ببغداد يحضره عدد غفير من محبيه وعارفي قدره وفضله، وكنت أحضر هذا المجلس في كل اسبوع، وكنت اسمع منه التعليقات القيمة على الكتب وما فيها من تشويه ودس على كتب الإسلام وتاريخ الامة العربية، وكان ممن يحضر مجلسه: المرحوم طه الفياض صاحب جريدة «السجل»، والاستاذ محمد صالح العبيدي، والاستاذ جعفر مال الله، والاستاذ علي البصيري، والاستاذ حميد المحل، والسيد سعيد عباس الراشدي وغيرهم. (٦).

نماذج من شعره

ساهم الملاح في بث الوعي الإسلامي والعروبي عن طريق القصائد الشعرية الحماسية التي تبعث على الفخر بالدين الإسلامي والعروبة و تحفز النشء الجديد على اقتفاء اثر الاجداد في الوحدة والتحرر والعيش في ظل الحرية والاستقلال، فجاءت جل أعماله الأدبية والفكرية لتمزج بين شدة الولاء للعقيدة الإسلامية وحب العروبة، ففي قصيدة له يتغنى بالبطولات الإسلامية زمن الفتوحات الإسلامية التي شملت مشارق الارض ومغاربها يقول:

نفسي الفداء لقوم في الارض كانوا نجوما
إذا بكيت عليهم دوماً فلست ملوما
بالسيف والعدل سادوا عُرْبًا وفرسا وروما

ثم يعود الملاح داعيا قومه للنهوض وترك التكاسل والسعي في بناء الاوطان والمجتمع فيقول:

يا بني الاوطان جدوا واخلعوا هذا الكسل
ليس مثل السعي شيء يبتغى منه الامل
قمر العلياء لولا السعي فيها ما كمل (٧)

وبعد انتخابه نائبًا عن مدينة الموصل، سهل له هذا المنصب السفر الى القاهرة لحضور المؤتمر البرلماني الذي عقد لمعالجة قضية فلسطين.. يقول الملاح:

وكنت القيت قصيدة في حفلة اقيمت في فندق «كارلتون» بمناسبة المؤتمر البرلماني الذي اجتمع في القاهرة لمعالجة قضية فلسطين سنة ١٩٣٩م رمزت فيها الى ان ظهور المعجزات السماوية كان له عصر مضى وانقضى.. ولعصرنا معجزات من نوع اخر تبدأ من الأرض.

وقال:

غدت فلسطين مرآة لأندلس
لما تطاير في انحائها الشرر
الا ضمائر عن ذا الغي زاجرة
لو كان فيهن للفاوين مزدجر
يا خطة من صميم الخسف جائرة
قد سيمها عرب ما سيمها نوَر
وما عجبت لقوم ضل سعيهم
كما عجبت لمن إياهم نصروا

والملاح لا ينسى المناسبات الدينية وخاصة الهجرة النبوية والمولد الشريف

وفي قصيدة «السيد الاعظم»:

طموح لا يدانيه طموح
وروح عم منه الكون روح
نبي كله حزم وعزم
وسيرته الهداية والوضوح
تبسم يوم مولده زمان
فزايل مبسم الزمن الكلوح
أنار جوانب الحق المغشى
فبات برأس شاهقة يلوح
طبيب فوق راحته دواء
به تشفى من الجهل القروح
اتى والجهل يفعم كل واد
وفي الاكوان فاشية جروح
أتانا مكملاً ما جاء موسى
به من قبل دهر والمسيح

هوامش

١- محمود الملاح: البابية والبهائية بغداد ١٣٧١هـ، ١٩٥٥م هامش ص١٠.

٢- محمود الملاح: نظرة ثانية في مقدمة ابن خلدون، مطبعة اسعد - بغداد ١٩٥٦ هامش ص٤٠.

٣- محمود الملاح: الوحدة الإسلامية بين الأخذ والرد، مطبعة الهلال - بغداد ١٣٧٠، ص٢٢-٢٤.

٤- العلامة محمود الملاح: مقيقة إخوان الصفاء، مطبعة دار المعرفة - بغداد ١٩٥٤، ص٤٩.

٥- قال عن مقدمة ابن خلدون: ليس في العالم الانساني عالم او اديب اطلع على ما احتوته مقدمة ابن خلدون إلا عرف قيمتها، ولكن هل لقيت ما تستحقه من العلماء والادباء غير كلمة اطراء واعجاب؟!

اني اشبه مقدمة ابن خلدون بالعروس البالغة، تدق حولها الطبول وهي تشكو البؤس، واقل بؤس لقيته، سوء طبعها على اختلاف مطابعها. نعم، ان بعض حملة الافكار، حلوها بتتبع بعض ابحاثها، وعلقوا عليها ما علقوا ولكن هل وفوها حقها الذي تستحقه؟ كلا، ان حقها لا يوفى باعمال عابرة، بل هو موقوف على تصميم خاص من ذوي الاختصاص بان تقسم مواضيعها الى أجزاء، ثم يناط كل جزء بمختص، ثم تجمع الاجزاء، وتوجد، فيكون العالم العربي قد حصل على دائرة خالدة تنقل الى سائر الالسن. وفي هذا مفخرة قومية لاتنكر، راجع كتابه: نظرة ثانية في مقدمة ابن خلدون، مطبعة اسعد - بغداد ١٣٧٦ -١٩٥٦، ص٣.

٦- الشيخ يونس ابراهيم السامرائي، محالس بغداد، مطبعة الانتصار - بغداد، المطبعة الاولى ١٤٠٥-١٩٨٥، ص٥٤-٥٥.

٧- د. ذنون الطائي: رواد النهضة الفكرية في الموصل، مكتب دار الفن ١٤٢٢-٢٠٠١، ص١٤١.

قصة

الأبواق الكاذبة (١)

محمد مسعد ياقوت

تـرى في تقاسيم وجهه الأبيض، صفحات مطوية على أمجاد منسية.. شواطئُ تركيا الطويلة، وغدرانها المترعة، وأنهارها الرقراقة، وقيعانها ورياضها المونقة؛ كلها كلها؛ تبرقُ في لمعة عينيه الحازمتين.

خطواته الواثقة، وهو يتقدم نحو منصة المؤتمر، تضاهي عراقة مسجد آيا صوفيا، رشاقته الفائقة، تحلفُ أنه ابن عشرين سنة وليس ابن خمس وخمسين!

بطمأنينة وهدوء جلس هذا الرجل الطيب.. لا يبالي أن أجلسوه إلى جوار عدوه، ذلك الحاخام الكَهْل، الذي تَقَوَّسَ ظَهْرُهُ تقوسًا مُنكرًا؛ كأنما طعن في عموده الفقري بسَهْم الموت النافذ؛ الذي أحنى جبينه المتقطب، تفوح من بين تجاعيده تعاليمُ رجال الدين، ونصوصُ التلمود، وتوصياتُ حكماء صهيون.

نظر إلى الحاخام نظرةً عابرةً، فتولدت منها نظرات أخرى، يبدو أنها تولدت من معانٍ غريبة، وصورٍ بشعة، وجراحٍ غائرة، وتاريخ أسود و... و...!

وردًا على نظرة الرجل الطيب نظر إليه الحاخامُ بعينيه الغائرتين نظرةً ملوثة بأحقاد قديمة، ثم هز له صلعته التي بَرَقت ووميضت، هزة سخرية، وقد انعكس منها ضوء القاعة.. إضاءةً ذكَّرتْ الرجل الطيب بضوء قنابل الفسفور الأبيض المحرمة دوليًا!

قال الحاخام الصهيوني مخاطبًا الجمهور:

وطنُنا فوق كل الأوطان، من النيل إلى الفرات، من بيروت إلى خيبر، لقد ظُلمنا كثيرًا عبر التاريخ، لقد شُردنا كثيرًا بين البقاع والأصقاع، في التِّيه، واللعن، والتشريد، والهجران، من مذابح نبوخذنصر إلى محارق هتلر، ومن حقنا أن ندبح العرب فداءً لوطننا، من حقنا أن نقتل الأطفال، أن نأسر النساء، أن نحرق الشيوخ، أن نحطم المعابد، وليس علينا في العرب سبيل! لقد ساموا الخسف، لقد أرَّقوا علينا المضجع، لقد قتلونا، لقد ذبحونا، لقد ظلمونا، لقد أراقوا دُموعَنا السخينة، ودمروا عرائس بناتنا البريئة.. أيها العالم المتحضر! أيها الناس أجمعون! تضامنوا معنا، ادعمونا، انصرونا، قلوبكم مع قلوبنا، يدكم في يدنا؛ حتى نطهر العالم من الظلم! ولتنعمي يا أرض بالأمن والأمان، والحب الإحسان، والسلام والإيمان، والوئام و... و... و...!

ينظر الرجل الطيب إلى الحاخام، والحاخام يتكلم، تخرج منه هذه الكلمات؛ فتفرقع في قاعة المؤتمر فرقعةً أشبه بفرقعة الجعلان إذا سافد الخنفساء، أو فرقعة حَبِّ الكُحَل عندما يُطرح على النار، وتَعْلو فرقعاتها وتعلو وتعلو مع هذه السجعات التي هي أفحش من سجع الكهان.. كهان، كهان، كهان، آن، آن، آن!

لكنها كانت كالمطارق الحديدية على رأس الرجل الطيب، كانت تهزه هز المس الكهربائي إذا تمكن من إنسان، وتَحوَّلَ رياشُ المقعد اللين من تحته إلى أشواك لاهبة لاذعة.

ضاقت به نفسه، وضاقت به القاعة الرحيبة..

وقف وكأنما لسعه عقرب في مقعدته؛ يقول. وقد ملأته غضبة موجهًا كلامه لمدير الجلسة، طالبًا منه حق الرد على هذا الشيخ؛ دقيقة واحدة!

تردد مدير الجلسة، فبدت عليه علامات التضامن والتأييد لكلام الحاخام، وأخذ ينطق بكلام مرتجل يؤكد به كلام الحاخام؛ كما يعوي الفصيل في آثار الإبل.

فعاود الرجل الطيب طلبه:

دقيقة واحدة! دقيقة واحدة!

اصفر وجه مدير الجلسة؛ فبدت مخايل صهيونيته من وراء صفرة وجهه، وسكت قليلا، ولم يأذن بعدُ للرجل الطيب بالكلام .

فكسر الرجل الطيبُ سكوتَ مدير الجلسة، وأكثر عليه، وشدد في سؤله:

دقيقة واحدة ! دقيقة واحدة ! دقيقة واحدة !

رضخ مدير الجلسة: فأذن للرجل الطيب بالكلام..

طاب مقعده إذن، فجلس، وتَوَرَّكَ (٢) وتناول المذياع، وفورًا.. أطفئت الأنوار، وقُطعت الكهرباء؛ لتظل الحقيقة غائبة عن مسامع الأغبياء، وليبقى الصوتُ الأعلى صوتُ سجعات الكهان!

فالأبواق الكاذبة لا تصدع بالصدق!

الهوامش

١- من وحي موقف «رجب طيب أردوغان» عندما انسحب من مؤتمر داڤوس، يوم ٢٩ يناير ٢٠٠٩؛ تضامنًا مع غزة، واحتجاجًا على عدم إعطائه الوقت الكافي للرد على الرئيس الإسرائيلي شمعون بيريز، بعد أن دافع الرئيس الإسرائيلي عن حق إسرائيل في الحرب على غزة.

٢- وضع رِجلاً على رِجل

• عضو الاتحاد العالمي لعلماء المسلمين، والمشرف العام على موقع نبي الرحمة.

أمريكا بعيون عربية

بهيج بهجت سكيك

كثيرة هي الكتب التي تناولت دور الولايات المتحدة الأميركية بعد الحرب العالمية الثانية، ومحاولتها السيطرة على العالم بعد انحسار موجة الاستعمار التقليدي القائم على الغزو العسكري وامتصاص ثروات هذه المستعمرات، وقد تزعمت هذه الموجة بريطانيا وفرنسا ثم أسبانيا وألمانيا وإيطاليا والبرتغال وهولندا وبلجيكا، فبريطانيا التي عرفت بـ «الامبراطورية التي لا تغيب عنها الشمس» تعبيرًا عن مستعمراتها الكثيرة المنتشرة في شرق المعمورة وغربها، بدأت تنسحب من مستعمراتها وصارت تلقب «بالأسد العجوز» وتحل محلها الولايات المتحدة الأميركية التي نصبت نفسها شرطيًا للحفاظ على الديموقراطية والسلام في العالم، والحقيقة أن تجربة أميركا في العراق عام ٢٠٠٣م لا تختلف كثيرًا عما حدث في الفلبين عام ١٧٩٨م، وما بينهما من سلسلة حروب يشكل جزءًا لا يتجزأ من عقيدة الرأسمالية الأميركية، وبات هذا الحلم الأميركي- بعد انكشاف وجه أميركا القبيح- كابوسًا كونيًا نحتاج أن نصحو منه بأسرع وقت ممكن.

من هذه الكتب التي عالجت هذه المشكلة:

- أميركا المستبدة: الولايات المتحدة الأميركية وسياسة السيطرة على العالم (العولمة)، للكاتب ميشيل بينيون موردن Michel Bugnon - Mordant، ترجمه إلى العربية د.حامد فرزات، وصدر عن دار نشر اتحاد الكتاب العرب، دمشق ٢٠٠١م.

- أميركا والإبادات الجماعية - حق التضحية بالآخر The Right to Sacrifice the Others، للكاتب منير العكش، ترجمته إلى العربية ونشرته دار رياض الريس - بيروت عام ٢٠٠٢م، ويتناول موضوع إبادة ١٨,٥ مليون هندي أحمر Natives على يد المستعمرين الإنجليز، وهي الفكرة التي سيطرت على الأميركيين (استبدال شعب بشعب وثقافة بثقافة) والمعنى الإسرائيلي لأميركا.

- أميركا - الكتاب الأسود، وهو يستعرض فظائع أميركا ابتداءً من هيروشيما ونجازاكي وتكوين جيش أميركا الامبريالي، واستعراضًا لفرق الموت الأميركية في نيكاراغوا والهندوراس وغواتيمالا وتشيلي وانتهاء بأفغانستان والعراق.... غير الاندماج العضوي بإسرائيل، تأليف بيتر سكاون، نشرته الدار العربية للعلوم ٢٠٠٣م، بيروت.

- كتاب: لماذا يكره العالم أميركا؟ Why do people hate America للكاتبين ضياء سرداز- ميريل وين ديفيز، نقله إلى العربية معين الإمام، ونشرته مكتبة العبيكان- بالرياض ٢٠٠٥م. وكتب على غلافه «ترجم إلى أكثر من ٢٢ لغة، ومن أكثر الكتب العالمية مبيعًا».

- الحلم الأميركي كابوس العالم، للكاتبين السابقين سرداز، وديفيز، هذا الكتاب استكمال لأحداث الكتاب السابق ومعالجة لمشكلة أميركا مع نفسها ومع العالم.

- كتاب: معرفة الآخر- صياغة أنثروبولوجيا إسلامية، للكاتبة نفسها ميريل وين ديفيز، والطريف والمؤكد أن كتاب ومؤلفي هذه الكتب من الجنسية الأميركية.

أمّا كتاب أميركا بعيون عربية، فقد صدر أولاً باللغة الإنجليزية بعنوان Oil Crusades: AMERICA THROUGH ARAB EYES، نشرته دار بلوتو Pluto للنشر بلندن، وترجم إلى العربية عام ٢٠٠٧م، ومؤلف هذا الكتاب د.عبدالحي يحيى زلّوم، عربي درس الهندسة والإدارة في الولايات المتحدة، وعمل فيها و في أوروبا، وأسهم في تأسيس العديد من شركات النفط العربية في الخليج والعراق وإفريقيا، وصار مستشارًا عربيًا بارزًا لشؤون البترول لمدة خمسين عامًا، صدرت له كتب عدة بالعربية منها نذر العوطة، وامبراطورية الشر الجديدة: الإرهاب الدولي ضد الإسلام، وحروب البترول الصليبية، وترجمت إلى الإنجليزية والألمانية.

يقع الكتاب في ٣٢٠ صفحة من القطع الكبير، نشرته المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت- الصنايع، وهو يخلو من الصور تمامًا، ويضم مقدمة وثمانية فصول.

يرى المؤلف أن النفط منذ إنتاجه بالطرق الحديثة عام ١٨٥٩م أصبح عماد الامبراطوريات وذراعها لتسيير آلاتها العسكرية والصناعية والهيمنة على الغير، ويضرب مثلاً بأن: الطاقة المستخرجة من برميل نفط واحد تساوي ما يعادل طاقة عمل رجل واحد لمدة ٢٥ سنة، وأن النفط يتم استخدامه كأساس للسماد الكيماوي والمبيدات الحشرية والماكينات الزراعية ورقائق الكمبيوتر وإنتاج النحاس وغير ذلك كثير....

* كاتب وباحث

لذلك فإن الكاتب الأميركي ويليام بلوم William Blum في كتابه: الدول المارقة، ذكر أن أهداف الامبراطورية الأميركية في حروبها النفطية العلنية والسريعة منذ سبعينيات القرن الماضي ثلاثة هي:

١- خدمة المال وشركاته، وفتح الأسواق في جميع أنحاء العالم لتخدم شركات أميركية باسم «العولمة».

٢- عدم السماح بقيام أي مجتمع يمكن أن يمثل منافسًا للنظام الرأسمالي الأميركي.

السيطرة والهيمنة الكاملة على دول العالم جميعها لتحقيق الهدفين السابقين.

٣- ولتبرير هذه الهيمنة والسيطرة لم يجد حرجًا صامويل هانتغون Samuel Huntington من كتابة آراء الساسة الغربيين والأميركيين في كتابه صراع الحضارات، منهم المستشار الألماني، ورئيس وزراء فرنسا، وسكرتير عام حلف الناتو Nato سنة ١٩٩٥م، بأن «الأصولية الإسلامية توازي الخطر الذي كانت تمثله الشيوعية للغرب».

بداية النهاية

هو عنوان الفصل الأول، ويرى المؤلف أن تراجع القدرة الإنتاجية لكثير من مناطق إنتاج النفط في العالم في كولومبيا وبحر الشمال وألاسكا وحقول روسيا، وبالمقابل تعاظم إنتاج واحتياطي دول الشرق الأوسط، خاصة الدول العربية، يقابله اقتصاد أميركي نهم تزداد شهيته لنفط الشرق الأوسط. إن المؤلف، وهو مستشار أردني عمل في شؤون النفط، قدم عرضًا شيقًا لإنتاج النفط منذ استخراج أول برميل وحتى يومنا هذا في الصناعة والاقتصاد.

التدافع على نفط العراق

إن الحروب الأميركية السابقة ابتداءً من الحرب الأميركية الأسبانية ١٧٩٨م، وانتهاءً بالحرب الأميركية على العراق ٢٠٠٣م، تشكل جزءًا لا يتجزأ من عقيدة الرأسمالية الأميركية، وذلك تطبيقًا لمبدأ مونرو، أو عقيدة مونرو التي أعلنها الرئيس الأميركي جيمس مونرو ١٨٢٣م، والتي تسعى للسيطرة على العالم. فقد أقدمت الولايات المتحدة على ١٠٣ حالات من التدخل الأميركي في شؤون دول أخرى خلال الفترة من ١٧٩٨- ١٨٩٥م.

وحتى يبرر الرئيس جورج بوش الابن حربه على العراق واحتلال منابع النفط فيها.. فقد أعلن عن وجود علاقة بين العراق وهجمات ١١ سبتمبر الشهيرة على أميركا، وهو أسلوب اتبعته أميركا قبل ذلك في إلحاق وتلفيق التهم للدول قبل غزوها واحتلالها، ولتبرير وحشية الغزو بل إن كثيرين من الرؤساء الأميركيين استغلوا الدين وسيلة لتحقيق أهدافهم، بل وصل الأمر بالرئيس وليام ماكنلي William Mckinley انه تلقى رسالة من السماء تطلب منه احتلال أراضي دول أخرى، وكذلك إعلان جورج بوش أنها حرب مقدسة في أفغانستان والعراق.

لو عدنا إلى الوراء قليلًا لوجدنا أن اتفاقية سايكس- بيكو السرية ثم الشهيرة فيما بعد.. قامت فيها بريطانيا وفرنسا بتقسيم الامبراطورية العثمانية (الرجل المريض) بعد هزيمة العثمانيين إلى دول صغيرة وأشباه دول، وانضمت لهما روسيا وإيطاليا لاحقًا، ثم جاءت اتفاقية سان ريمو لتكمل رسم المنطقة واقتسامها. ونوجتها بريطانيا بإعلان وعد بلفور: لتعطي بريطانيا (من لا يملك) فلسطين إلى اليهود (من لا يستحق).

كانت أميركا تراقب هذه الأوضاع وتبدي قلقها الشديد من تصرف بريطانيا وفرنسا، فبدأت التحرك لنيل

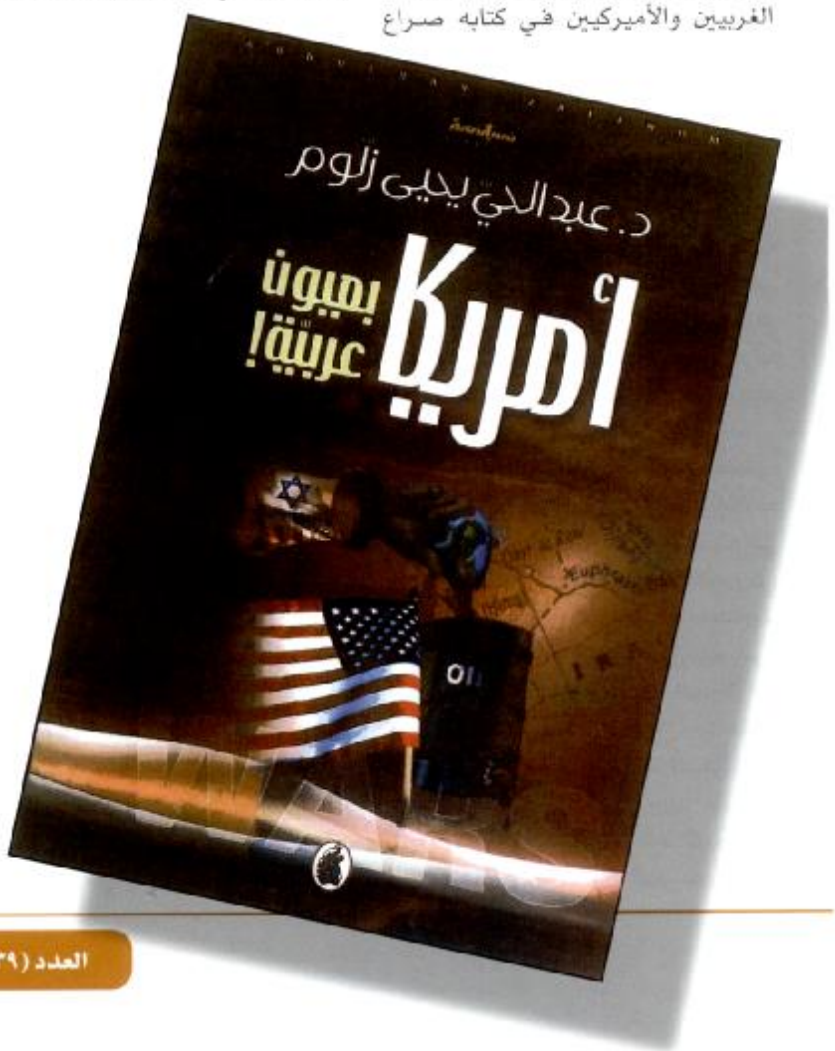

أمريكا لا ترى العرب سوى حقل نفط ومناطق نفوذ وتخلف وإرهاب ودول مارقة

حصتها من الكعكة النفطية الواعدة.

ركائز السياسة الأميركية تجاه العالم العربي والإسلامي

الدين، النفط، الجغرافيا، والنفوذ السياسي... هذا عنوان الفصل الثالث، ويؤكد المؤلف على هذه الحقيقة من خلال العوامل الأربعة God. Geography. Geopolitics. Geology. ويقصد بالجيوبوليتك: الجغرافيا السياسية التي تبيح التدخل وفرض النفوذ بأي وسيلة على أي دولة، كما أن الجيولوجيا تعني البحث عن منابع النفط واحتلالها وربطها بعجلة الاقتصاد الأميركي، ويرى المؤلف أن أول عهد لأميركا بالشرق الأوسط، أو الشرق كما عرف وقتها، كان من خلال الإرساليات التبشيرية التي دخلت المنطقة لأول مرة عام١٨٢٠م ومعها مؤسسة Care الأهلية التي تقدم مساعدات عينية وتموينية للمحتاجين، وقتها لم يحالف المبشرين الحظ لتحقيق إنجاز فيما يتعلق بإقناع المسلمين بالتحول للمسيحية، فكان معظم الذين اعتنقوا المذاهب المسيحية الجديدة من المسيحيين أنفسهم، ومن أتباع المذاهب الأخرى الموازنة.

تعاظم هذا الدور بعد قيام دولة إسرائيل عام ١٩٤٨م وأصبحت العلاقة بيولوجية حميمة بين الدولتين.

دفاعًا عن إسرائيل

عنوان الفصل السادس، وفيه أورد المؤلف حقائق عدة، منها:

إن الأحداث العالمية الكبيرة مثل قيام دولة إسرائيل لا تأتي مصادفة، منها لجوء بنيامين ديزرائيلي Benjamin Desraeli رئيس وزراء بريطانيا عام ١٨٧٥ لاقتراض مبلغ ٤ ملايين جنيه إسترليني من عائلة روتشيلد اليهودية الثرية لشراء نصف أسهم قناة السويس من الخديوي إسماعيل، وبذلك أصبحت بريطانيا في قبضة اليهود الفولاذية! وبدأت الهجرة إلى فلسطين.

ثم جاء عقد أول مؤتمر صهيوني في مدينة باسل Basel السويسرية عام ١٨٩٧م الذي جاهر بإقامة وطن قومي لليهود في فلسطين، وأعقبه إعلان وعد بلفور ١٩١٧م، ودور المهاجر الروسي فلاديمير جابوتنسكي Jabotinsky الذي وصل إلى فلسطين مع دخول الجيش البريطاني إليها، وصار أستاذًا ومثلًا أعلى لمناحيم بيجن وإسحق شامير الإرهابيين المطلوبين عند الإدارة البريطانية لفلسطين.

حتى الفيلد مارشال مونتجمري Montgomery وكان حينها جنرالا General لجأت إليه الحكومة البريطانية لإخماد ثورة الفلسطينيين ١٩٣٦- ١٩٣٩م، وكانت أوامره للجيش البريطاني في التعامل مع ثوار فلسطين: اقتلوهم، وبعد قيام دولة إسرائيل تراجع النفوذ البريطاني ليفسح المجال أمام دور متعاظم ليس في إسرائيل وحدها بل في المنطقة كلها.

إن العلاقة بين اليمين الإنجيلي المتشدد واللوبي المناصر لإسرائيل في الولايات المتحدة بدأت منذ قيام دولة إسرائيل، فهي أبعد بكثير من١١ سبتمبر، فإنه حسب مفاهيمهم الدينية: إن قيام إسرائيل تحقيق لنبوءة الإنجيل، بل إن القاسم المشترك بين الأصوليين المسيحيين واليهود هو مؤامرة جبل الهيكل، قال هذا مايكل ليدن Michael Ledeen في صحيفة نيو ريبلك New Republic بتاريخ ١٨ يونيو ١٩٨٤م.

صارت إسرائيل تحظى بحصة الأسد من المساعدات الأميركية الخارجية، فقد بلغ نصيبها من المساعدات الاقتصادية والعسكرية عام ٢٠٠٥م أكثر من ٣,٣ مليار دولار يضاف إليها ٩ مليارات دولار على شكل ضمانات ائتمانية.. طبقًا لما جاء في تقارير لجنة العلاقات العامة الأميركية الإسرائيلية AIPAC (إيباك) التي تعد أكبر جماعة ضغط (لوبي) يهودية في الولايات المتحدة، وبفضل هذا الدعم الأميركي لإسرائيل، والذي جعلها متقدمة صناعيًا وتكنولوجيًا، وصل متوسط دخل الفرد السنوي فيها إلى ١٨ ألف دولار، وهي بذلك من الدول العشر الأوائل في متوسط دخل الفرد، بينما يبلغ متوسط دخل الفرد السنوي في بنجلادش مثلًا ١٢٠ دولارًا سنويًا.

قال إسرائيل ميدا Yisrael Meida الذي يعمل في مؤسسة جبل الهيكل نائبًا للرئيس: من يسيطر على جبل الهيكل يسيطر على القدس، ومن يسيطر على القدس يسيطر على أرض إسرائيل.

وعندما حاول جورج بوش الأب التدخل لكبح سياسة التوسع الإسرائيلي من خلال فرض قيود على ضمانات ائتمانية بقيمة ١٠ مليارات دولار، تحرك اللوبي اليهودي لضمان هزيمته أمام كلينتون عام ١٩٩٢م، ونجحوا في ذلك.

الذهب الأسود بدل الذهب الأصفر

في الفصل الخامس من الكتاب سجل الكاتب قصة الذهب الأسود في أميركا، حيث إن الإنتاج النفطي الأميركي عام١٩٧٠م لم يعد يكفي حاجتها، وصارت أكبر مستورد له في السوق العالمي، وفي نفس الوقت كان حجم الدولارات المتداولة في الأسواق العالمية ٣٠٠ مليار دولار، بينما حجم احتياط البلاد من الذهب، الغطاء النقدي، لا يزيد على ١٤ مليار دولار، وهذا يمثل خللًا كبيرًا في الميزان التجاري، الفرق كبير بين حجم

الدولارات المتداولة وحجم ما تمتلكه أميركا من احتياطات الذهب، مما اضطر معه الرئيس نيكسون إلى استبدال معيار الذهب بمعيار الدولار وفرض العملة الأميركية على العالم كأمر واقع، فاعتبره البعض أكبر ابتزاز اقتصادي عرفه العالم، بل وصفه هيلمون شميدت، وزير الدفاع الألماني آنذاك، بأن النظام المالي الجديد هو نظام اللانظام، وجرت أحداث عدة بعد ذلك مثل: فضيحة ووتر جيت للرئيس نيكسون، ثم حرب عام ١٩٧٣م بين إسرائيل ومصر وسوريا، وانهيار الاقتصاد المكسيكي الذي يحتاج إلى ٥٠ مليار دولار لاستعادة النظام الاقتصادي، ففقد البيزو المكسيكي أكثر من نصف قيمته خلال شهر! وبلغ معدل التضخم أكثر من ٤٠٪ لذا وضعت الولايات المتحدة خطة للاستيلاء على النفط العربي، واشتملت على ثلاث مراحل:

المرحلة الأولى: ما بين ١٩٧٤: ١٩٩٠م، وفيها يتم إقامة بنية تحتية عسكرية في الدول النفطية! ولقد تحقق ذلك، بل شهدت منطقة الخليج العربي في الثمانينيات تعاظمًا في الوجود البحري الأميركي بحجة الحرب العراقية الإيرانية.

المرحلة الثانية: ما بين ١٩٩٠: ٢٠٠٣م، وهي الفترة التي شهدت غزو الكويت من العراق، وحرب الخليج الثانية (التحرير) وغزو أفغانستان كان عام ٢٠٠١م وجاءت الفرصة سانحة أمام انهيار الاتحاد السوفيتي لتصبح أميركا القوة الوحيدة في العالم.

المرحلة الثالثة: من عام ٢٠٠٣م إلى الآن، وفيها تم احتلال العراق والسيطرة على منابع النفط فيه، في الوقت الذي وصل فيه الاقتصاد الأميركي إلى مرحلة الانصهار النووي.. كما وصفه ستيف جوبس Steve Jobs، رئيس شركة Apple للكمبيوتر، وفي المرحلة الثالثة بدأت حرب بوش الابن على الإرهاب، واحتلال أفغانستان لتأمين السيطرة على احتياجات بحر قزوين وآسيا الوسطى، وهي أكبر منطقة احتياطات نفطية غير مستغلة خارج الشرق الأوسط، ولذلك مزجت الولايات المتحدة بين النفط والأمن القومي.

النفط والله

لعل الكاتب في الفصل السابع حين ربط بين النفط والله- تعالى- أراد أن يثبت أن أميركا ومؤسساتها لا تعرف الله في سبيل الحصول على النفط! فقد تملكت فكرة السيطرة على العالم معظم مسؤولي الولايات المتحدة بعد الحرب العالمية الثانية، وازدياد ظاهرة ونفوذ المحافظين الجدد. والتي تعاظمت حين تبناها جورج بوش الابن فيما عرف بـ «مشروع القرن الأميركي»، وخلال الـ ٦٠ عامًا هذه تبنى هذه الفكرة مجموعة من أقطاب المحافظين الجدد منهم البروفيسور Carroll ووليام غريدر William Greeder ووالتر ليبمان Watter Lippmen صاحب كتاب قرون الحروب... وغيرهم كثير.

كل ذلك يقابله شعب مهمش كما يرى المؤرخ وليام بولك: بأن شعب الولايات المتحدة لا يظهر الكثير من الالتزام بممارسة الدفاع عن حقه.

ولتحقيق هذا الهدف، السيطرة على العالم، سعت الولايات المتحدة إلى إجراءات عدة منها:

(١) سيطرة المال الأميركي على الشركات العالمية من خلال مجلس العلاقات الخارجية.

(٢) سيطرة الولايات المتحدة على منظمة الأمم المتحدة، وقد تم لها ذلك من خلال حق النقض(الفيتو).

(٣) السيطرة على الإعلام الدولي، مثل شبكات C.B.S، وC.N.N، و H.B.O، وشركة والت ديزنيWalt Disny، وشبكةFox T.V، ونيو هاوس New House وغيرها.

ويفرد الكاتب صحفات عدة تناول فيها مستقبل الشراكة الإسرائيلية الأميركية ودور المؤسسات والمنظمات البروتستانتية الأصولية المؤيدة لإسرائيل بأعضائها الذين يصل عددهم إلى أكثر من ٥ ملايين مناصر، يضاف إليهم حوالي ٨٥ مليون أميركي ممن يؤمنون ولو بصورة غامضة بالرؤية الخاصة بمعركة «هرمجدون» Armagaddon الفاصلة بين الإسلام واليهودية على أرض فلسطين، هذه الأقلية التي تتحكم في قرارات البيت الأبيض منذ وصول جورج بوش الابن، ويرى أن معظم الأميركيين العاديين جاهلون إلى حد كبير بحقيقة مدى اعتماد السياسة الخارجية والأمنية لبلادهم على دولة أجنبية (إسرائيل) لها أجندتها الخاصة، وأسيرة أوهام توّراتية تسيطر عليها.

الخلاصة

هذا الكتاب «أميركا بعيون عربية» جدير بالقراءة والاقتناء لأسباب، منها:

١- أن كاتبه خبير ومستشار نفطي، عرض لمشكلة الطاقة عامة والنفط خاصة منذ اكتشافه وحتى اليوم، ودوره كمصدر للدخل والطاقة ومادة استراتيجية بطريقة مهنية جادة.

٢- أن الكاتب، وهو أردني- فلسطيني، مسكون بهموم وطنه فلسطين، فقدم تحليلاً رائعًا للعلاقة بين إسرائيل والولايات المتحدة من قبل نشأتهما وحتى اليوم، ودور الأصولية البروتستانتية الأميركية وجماعات الضغط اليهودي (اللوبي AIPAC) في دعم إسرائيل.

٣- أميركا هذه ومنظماتها وأحلامها لا ترى العرب سوى حقل نفط، ومناطق نفوذ.. وتخلف.. وإرهاب.. ودول مارقة.

٤- أليس من الأفضل لو أن هذا الكتاب، أميركا بعيون عربية، حمل اسم: العرب بعيون أميركا..!!

إنها هجمة صليبية بمخالب الكترونية يا مسلمون.

خراسان (١-٢)

إن من أحب الأشياء إلى النفس أن تتعرف على منطقة أو مدينة كانت حاضرة المناطق، ثم غيبتها الأيام، ونسيها سكان الزمان.

مدن كانت نسبًا لعلمائها الذين ملأوا الدنيا علمًا، فعرفتهم أقاصي المعمورة، وطوّف ذكرهم البلاد، على حين زالت هذه المدن مع تقلب الأيام، واندرست، وطمست معالمها، أو استبدل باسمها آخر.

وإن من أحب الأشياء إلى النفوس أن تعرف عالما طار صيته، ثم تعلم موقع بلده، لتقرن العلم بالمكان، والسمع بالحس، والمعرفة بالبيئة، والنبوغ بالمصدر، وتكون خبيئة أملها شديدة عندما تبحث فلا تصل، وتفتش فلا تعرف، إذ ضاع الماضي، واندثر الفن، وندبت الحضارة أيامها الخوالي.

وتكون ثورة النفس عنيفة على أمتها وعلمائها الذين لم يضعوا تحت يديها ما يعرفها على ذلك المكان، الذي اقترن بترجمة عالم من العلماء، يذكر كلما ذكر ذلك العالم، ومع ذلك لا يعرف موقعه في خريطة العالم اليوم.

ومن الموضوعات التي يعاني الباحثون من شح المعلومات حولها ما يتعلق بالتعريف بالبلدان التي ينتسب إليها العلماء، حيث إنها وإن كانت معرّفة في كتب البلدان القديمة، كمعجم البلدان للحموي، وغيره، إلا أن تحديد موقعها اليوم، وتقديم وصفها الحالي، مما يعجز عن الوصول إليه كثيرٌ من الباحثين، وأنا واحد من أولئك، حيث كنت أجد صعوبة في الوصول إلى بغيتي في هذا المجال في بحوثي الأكاديمية في الجامعة.

ولاشك أن علماء المسلمين اهتموا بعلم البلدان، وأولوه عناية خاصة، وذلك لأسباب كثيرة منها التعرف على الأمصار والأقطار التي ينتسب إليها علماء كان لهم إسهام بارز في التراث الإسلامي، وكان اهتمام المحدثين منهم بهذا العلم أكثر من غيرهم؛ لأن معرفة موطن المحدث من أهم عناصر ترجمته، ولذلك أفردوه كنوع مستقل من أنواع علوم الحديث(١).

وقد زادت الحاجة إلى هذا العلم بعد أن طرأ تغيير واسع على بعض الأسماء المعروفة من نواح عديدة، وبعد أن أهمل الباحثون ذكر كثير من المناطق والأقاليم التي كانت من حواضر العلم، وذلك بعد أن تقاسمتها دول عدة، وضمت إلى أراض واسعة، فضاعت لصغرها النسبي، كما هو حال «خراسان».

وللمساهمة في تذليل هذه العقبات؛ أردت أن أتناول الأمصار التي انتسب إليها العلماء.

د.محمد محمدي محمد جميل
اختصاصي دراسات إسلامية في وزارة الأوقاف الكويتية

«خُراسان» من أشهر أقاليم المشرق الإسلامي، بل أشهرُها، ومَعقل كثير من المراكز الإسلامية، ومَوطنُ الكثير من الأئمة والأعلام، قال الإمام النووي: «خراسان: الإقليمُ العظيمُ المعروف، موطن الكثير- أو الأكثر- من علماء المسلمين- رضي الله تعالى عنهم»(١).

ومعنى «خراسان» في الفارسية القديمة: مطلع الشمس، أو البلاد الشرقية، وقيل: معنى خُرْ: كل، وآسان: معناه سهل، أي كل بلا تعب، وقيل في سبب تسميتها غير ذلك.

توسُّع القدامى في إطلاق اسم «خراسان» على أغلب الأقاليم الشرقية، وكان هذا الاسمُ يُطلقُ عند البلدانيين القدامى على جميع الأقاليم الإسلامية شرق المفازة الكبرى(٢) حتى حدّ جبال الهند(٣)، فخراسانٍ في مدلولها الواسع كانت تضمُّ كل بلاد «ماوراء النهر» التي في الشمال الشرقي، وكذلك سجستان في الجنوب(٤)، وكانت حدودُها الخارجيةُ: صحراءُ الصين، والبامير، من ناحية آسيا الوسطى، وجبال «الهندوكوش» من ناحية الهند(٥).

إلا أنّ حدودَها هذه صارت بعد ذلك أكثر حصْرًا وأدقّ تعيينًا، فرقعةُ «خراسان» عند المتقدمين أوسع مما هي عليه عند المتأخرين، بل إن التفاوتَ في تحديد رقعتها يُلاحظ حتى عند المتأخرين، ومن الواضح أنّ المتأخرين أكثر دقةً في تحديد رقعتها عن المتقدمين، كما أنّ بعضَ المتقدمين كان يُدخِل في حدودها جميعَ الأقاليم التي كانت تدخل تحت ولاية والي خراسان، كما سيأتي في كلام الحمويّ تعقيبًا على كلام البلاذري.

وممن نتلمَّس منه بدايات التحديد لخراسان هو ابنُ خُرْدازْبه (ت نحو ٢٨٠هـ)، حيث ذكرَ أنّ خراسان كانت مقسمةً إلى أربعة أرباع، كلُّ رُبع منها يتولاّه «مرزبان»، وهي: ربعُ «مرو الشاهجان» وأعمالها، وربعُ «بلخ» و«طخارِستان»، وربعُ «هراة» و«بوشنج» و«بادغيس» و«سجستان»، وربعُ «ماوراء النهر»(٦).

وقد أدخل في خراسان إقليمَي «سجستان» و«ماوراء النهر»، وبنحوه قال البلاذريُّ- على ما نقلَ عنه الحمويُّ- وقد عقّبَ عليه الحمويّ بقوله: «وإنما ذكرَ البلاذريُّ هذا لأن جميعَ ما ذكره من البلاد كان مضمومًا إلى والي خراسان، وكان اسمُ «خراسان» يجمعُها، فأما «ماوراء النهر» في بلاد الهياطلة ولايةٌ برأسها، وكذلك «سجستان» ولايةٌ برأسها، ذاتُ نخيل، لا عمل بينها وبين خراسان»(٧).

ويُعقّب على ابنِ خرداذبه وغيره بمثل ما عقّبَ به الحمويُّ على البلاذري، حيث إنهما أدخلا في خراسان ما كان يتبعُها من الناحية السياسية، لا من الناحية الجغرافية.

أرباعُ خراسان وعواصمها

وهذا الإقليم ينقسم إلى أربعة أرباع، يُنسَب كلُّ ربع منه إلى إحدى المدن الكبرى، التي كانت في أوقاتٍ مختلفة عواصمَ الإقليم بصورة منفردة أو مجتمعة، وهذه المدن هي: بلخ، ومرو، ونيسابور، وهراة.

ومما يُلاحظ في عواصم خراسان أنها لم تستقرَّ على قصبة (حاضرة) معيَّنة على مر التاريخ، بل انتقلت باختلاف الولاة والسلاطين على النحو التالي(٨):

قاعدة خراسان في زمن الأكاسرة، وفي زمن بني الصفار، كانت مدينة بلخ، وتقع في شمال أفغانستان، بالقرب من مدينة «مزار شريف»، وفيها نارُ المجوس

التي سدّتها البرامكة، وكانت «بلخ» عاصمة ملوك العجم قبل ملوك الطوائف، ثم نزلوا بابل، ثم نزل أزدشير بن بابك فارس، فصارت دار ملكهم.

وفي أيام السلجوقيين وصدر الإسلام كانت قاعدةُ خراسانَ هي مدينةُ «مرو»، وهي «مرو الشاهجان»، وتقعُ الآن في جمهورية «تركمانستان»، إلى الشرق من العاصمة «عشق آباد»، وتسمّى الآن «ماري».

وقاعدةُ خراسان في أيام الطاهريين كانت مدينةَ «نيسابور»، وتقع في الشمال الشرقيّ من إيران، وتُسمّى الآن «نيشابور».

تحديد دقيق لإقليم «خراسان» قديمًا:

ولعلّ أدقّ تحديد لخراسان عند البلدانيين القدامى هو ما جاء على لسان الحمويّ حيث قال:

«خُرَاسَانُ: بلادٌ واسعةٌ، أولُ حدودها مما يلي العراق «أزَاذوار» قصبةُ «جوَين» و«بَيهق»، وآخر حدودها مما يلي الهند طخَارِسْتان وغزنة وسجستان وكرمان، وليس ذلك منها، إنما هو أطراف حدودها، وتشتمل على أمهات من البلاد، منها: نيسابور، وهراة، ومرو- وهي كانت قصبتُها- وبلخ، وطالقان، ونَسا، وأبيورد، وسرخس، وما يتخلّل ذلك من المدُن التي دون نهر جيحون.

ومن الناس من يُدخلُ أعمالَ خوارزم فيها، ويَعُدُّ «ماوراء النهر» منها، وليس الأمر كذلك»(٩).

فتح خراسان(١٠)

بعد معركة «نهاوند» عام ٢١هـ (٦٤٢م)، والتي كانت معركةً حاسمةً انتصرَ فيها المسلمون على الفرس انتصارًا مؤزَّرًا، حيث أطلقَ المسلمون عليها اسم «فتح الفتوح»، بعد تلك المعركة عقدَ أميرُ المؤمنين عمرُ بنُ الخطاب سبعةَ ألويَة لسبعة من القادة، عهدَ إليهم فتحَ أرضَ فارس كلها، وكان ممن سارَ إلى خراسان الأحنفُ بنُ قيس التميمي، وقد سارَ على رأس جيشه حتى دخلَ خراسان من طريق مدينة «طبَس»(١١)، فافتتح «هراة» و«مرو»، ثم سارَ نحو «مرو الرود» ليلاحقَ يزدجرد، حيث فرَّ إليها، ووصلت الإمدادات من الكوفة إلى الأحنف، وسارَ المددُ نحو«بلخ» حيث انتقل يزدجرد إليها، واستطاعَ أهل الكوفة دخولَ «بلخ»، وفرَّ يزدجرد إلى بلاد «ماوراء النهر»، ولحقَ الأحنفُ بأهل الكوفة في بلخ وقد نصرَهم الله على عدوّهم، وأصبحَ الأحنفُ سيّدَ خراسان؛ إذ تتابعَ أهلها على الصلح، وكان الأحنفُ وهو في طريقه إلى «مرو» قد بعثَ مطرف بن عبدالله إلى نيسابور، والحارث بن حسان إلى سرخس، وبذلك تمّ فتحُ خراسان كلّها.

توفي أميرُ المؤمنين عمرُ بنُ الخطاب رضي الله عنه والمسلمون على حالهم في خراسان، إلا أنّ أهلَ خراسان لم يلبثوا أن نقضوا العهدَ بعد وفاته، واجتمعَ المسلمون في «مرو الرود»، وعليها عبدُالرحمن بن سمرة، فكتبَ إلى خليفة المسلمين عثمان بن عفان رضي الله عنه ، فأرسلَ عثمانُ رضي الله عنه إلى عامله عبدالله بن عامر أن يستعيدَ فتحَ خراسان، فتحرَّك سنة ٣١هـ إلى خراسان، ومعه الأحنفُ بنُ قيس، واستطاعَ أن يُعيد فتح خراسان في فترة وجيزة، واستعادَ المسلمون مواقعَهم في خراسان كلّها، وأعادوا عمّالَهم على ما كانوا عليه في السابق.

مآثر إقليم «خراسان»

وهذا الإقليم كان أحد أركان العلم والعلماء في القرون الذهبية للإسلام، حتى قال بعضُهم: «الدنيا خراسانُ». قال الحِمْيَري (ت٩٠٠هـ): «وهو عمل كبير وإقليمٌ جليلٌ معتبر، وفي شعر الحكيم الذي ذكرَ أقطارَ الأرض وحكَمًا لها قوله: «والدنيا خراسانُ»»(١٢).

وقال المقدسي (المعروف بالبشّاري) (ت نحو ٣٨٠هـ) عن خراسان: «اعلم أن لهذا الإقليم فضائلَ تُنسَبُ إلى هذا الجانب، ويَشرَكه في أكثرها جانبُ هيطل(١٣)، إلا أنّ هذا لمّا كان أقدمَ في الاختطاط، والفتح في الإسلام، وأقربَ إلى أقاليم العرب، خُصَّ بالذكر، وعُرف عند النسبة.

يُحكى عن ابن قتيبة أنه قال: خراسان أهل الدعوة، وأنصارُ الدولة، لما أتى الله بالإسلام كانوا فيه أحسن الأمم رغبةً، وأشدَّهم إليه مسارعةً، منًّا منَ الله عليهم، أسلموا طوعًا، ودخلوا فيه أفواجًا، وصالحوا عن بلادهم صلحًا، فخفَّ خَراجُهم، وقلّت نوائبُهم، ولم يجب عليهم سبيٌ، ولم يُسفَك فيما بينهم دمٌ، مع قدرتهم على القتال، وكثرة العدد، وشدّة البأس»(١٤).

وقال الحمويُّ وهو يذكرُ بعضَ مآثر «خراسان»، منتقدًا بعضَ ما يتناقله بعضُ الناس من التنقّص من بعض البلدان بالجملة.. قال:

«ومن أين لغيرهم أمثالُ البرامكة، والقحاطبة، والطاهرية، والسامانية، وعليّ بن هشام، وغيرهم، ممن لا نظيرَ لهم في جميع الأمم... فأمّا العلم فهم فرسانُه وساداتُه وأعيانُه...» (١٥).

ثم ذكرَ بعضَ الأعلام الذين خرجوا من خراسان، سواء في الحديث، أو في الفقه، أو في الأدب، أو غير ذلك من فنون العلم.

وقال القزوينيُّ (ت٦٨٢هـ):
«خراسان: بلادٌ مشهورة، شرقيّها «ماوراء النهر»، وغربيها قُهستان، قصبتُها: مرو، وهراة، وبلخ، ونيسابور.

وهي من أحسن أرض الله وأعمرها، وأكثرها خيرًا، وأهلها أحسنُ الناس صورةً، وأكملهم عقلا، وأقوَمُهم طبعًا، وأكثرُهم رغبةً في الدين والعلم»(١٦).

وقد خرجَ من خراسان من العلماء في كلّ فنٍّ عددٌ يصعبُ حصرُهم، ومما يدلّ على كثرتهم أنّ كثيرًا من مدن خراسان قد خُصّت بتواريخ خاصّة بها، ذُكر فيها أعلامُ تلك المدن، مثل مدن: بلخ، بيهق، مرو، نيسابور، هراة.

قال السمعاني: «والعلماءُ في كلّ فنٍّ منها بحيث لا يدخل تحت الحصر، وقد صنّف(١٧) التواريخ في ذلك»(١٨).

انحسارُ العلم من خراسان

أطلقَ الإمامُ الذهبي على «خراسان» أنها «دار الآثار»(١٩)، إلا أنه ذكرها ضمن الأقاليم والبلدان التي بدأ ينحسرُ منها علمُ الآثار بعد أن كان منتشرًا فيها، فإذا كان الأمرُ كذلك في عهد الذهبي- وهو القرن الثامن- فما تلاه من القرون شهدت انحسارًا أكبر لعلوم السنة من خراسان، وواقعُها الحالي يُعد أسوأ من حيث ندرة وجود مراكز العلم فيها.

تحديد خراسان اليوم

«خراسان» تقع اليومَ ضمنَ ثلاث دول، وهي: أفغانستان، وتركمانستان، وإيران.

يَحُدُّها من الجنوب الشرقيّ:

سلسلةُ جبال «هندوكوش» الواقعةُ في أفغانستان، والتي تمتدُّ من الشرق إلى الغرب، آخذةً إلى الجنوب، فتفصلُ الشمالَ الأفغانيَّ من جنوبه، وجميعُ الولايات (المناطق) الواقعةُ شمالَ هذه الجبالِ في أفغانستان، من «بدخشان» شرقًا إلى «هراة» غربًا داخلةٌ في خراسان، وهي عبارةٌ عن السفوح الشماليّة والغربيّة لجبال «هندوكوش» العالية.

ويَحدُّها من الجنوب الغربيّ:

مناطقُ «قوهستان» في إيران، وهي الإقليمُ الجَبَلِيُّ بين هراة ونيسابور، ومناطق «قومس»، وهي كورةٌ كبيرةٌ واسعةٌ بين الريِّ «طهران» ونيسابور في سفوح جبال طبرستان «البرز» الجنوبيّة.

وهذا الجزءُ كلّه في إيران، ويشملُ منطقتين:

الأولى: إقليم طبرستان، ويسمّى اليومَ «مازَنْدَران»، ويشمل المنطقةَ المحصورةَ بين جبال «البُرز» وسواحل بحر «الخزر»، وأشهرُ مُدُنها- الآن: ساري، وبَنْدَرْ شاه، وجرجان.

الثانية: منطقة نيسابور، وتسمّى الآن «نيشابور»، وقد ضُمَّ إليها إقليمُ «قوهستان»، وهي المعروفة اليومَ باسم «خراسان».

ومن أهمّ مدُنه- الآن- مَشْهَدْ، طوس، نيسابور، سرخس.

والإقليمُ الذي يُعرف الآن باسم «خراسان» في إيران يضمُّ أقلّ من نصف خراسان القديمة.

ويَحُدُّها من الشرق:

نَهرُ «جيحون»، والذي يُعرَفُ الآن بنهر «آمو»، وهذا النهرُ يُسايرُ أرضَ خراسان من الشرق، من بدايتها إلى نهايتها، فالمنطقة التي تُعرَفُ قديمًا بـ «ما وراء النهر» ليست داخلةً في خراسان.

ويَحُدُّها من الشمال:

صحراءُ «قراقوم» الواقعةُ في تركمانستان.

ومن الغرب: بحرُ الخزر، المعروف- الآن- بـ «بحر قَزوين».

والخلاصة: أن خراسان تشملُ الآن:

١- جميعَ الولايات (المناطق) الواقعة على السفوح الشماليّة والغربيّة لجبال «هندوكوش» في أفغانستان، وتزيدُ مساحةُ «خراسان الأفغانية» على ثلث مساحة أفغانستان، ومن مدنها: بلخ، مزار شريف، هراة، بغلان، قندز، طالقان، جوزجان.

٢- وإقليمَي: «مازندران» و«خراسان» الواقعتَين في الشمال الشرقيّ من إيران.

٣- وجميعَ المناطق الواقعةَ جنوبَ صحراء «قراقوم» في تركمانستان، وتشملُ القسم الأكبرَ من خراسان من حيث المساحة.

وتزيدُ مساحةُ خراسان كلّها إجمالا على ثلاثة أرباع المليون من الكيلومترات المربعة(٢٠).

وللمقال بقية.

الهوامش

(١) تهذيب الأسماء واللغات، للنووي (٣/ ٤٠٥).
(٢) هي هضبة إيران، وتمتد جنوبي جبال البُرز إلى جبال مكران، وهي مجدبة الإقليم، ويقدر طولها بنحو ٨٠٠ ميل، ولكن عرضها يختلف باختلاف بقاعها، وقد عرفها العربُ باسم (مفازة)، والقسمُ الجنوبيُّ منها يُعرف اليوم باسم (صحراء لوط)، والقسم الشماليُّ باسم (الصحراء الملحية الكبرى).
(٣) وقال السمعانيُّ في «الأنساب» (٢/ ٢٣٧): «وهي بلادٌ كبيرة، فأهل العراق يظنون أنّ من (الريّ) إلى مطلع الشمس خراسان، وبعضهم يقولون: إذا جاوزتَ حدّ سواد العراق- وهو جبل حلوان- فهو أول حدّ خراسان إلى مطلع الشمس».
(٤) استثنى «كي لسترنج» سجستان منها، والذي يظهر لي خلافه، وهي كلام ابن خردازبه الآتي تأييدًا لما ذهبت إليه.
(٥) انظر التفصيل في: بلدان الخلافة الشرقية، (ص٤٢٣) وما بعدها.
(٦) المسالك والممالك، لابن خردازبه (ص١٨).
(٧) معجم البلدان، للحموي (٢/ ٢١٩).
(٨) انظر: الجغرافيا، لابن سعيد المغربي (١/ ٥٣).
(٩) معجم البلدان، (٢/ ٢١٨).
(١٠) انظر التفصيل في: دول الإسلام، للذهبي (١/ ٢٠) وما بعدها. خراسان لمحمود شاكر (ص١٤- ٢٨).
(١١) أول مدينة بعد المفازة الكبرى إلى الشرق، تقع على الطريق المؤدي إلى خراسان، وكانت تسمّى «باب خراسان»، ولا تزال بهذا الاسم، وتقع إلى الغرب من مدينة «بيرجند» في الشمال الشرقيّ من إيران.
(١٢) الروض المعطار في خبر الأقطار، للحميري (١/ ٢١٥).
(١٣) هو الإقليم المعروف بـ«ماوراء النهر»، وأكثره يقع في «أوزبكستان».
(١٤) أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم (ص٢٩٣).
(١٥) معجم البلدان (٢/ ٢٢٠- ٢٢١).
(١٦) آثار البلاد وأخبار العباد، للقزويني (ص٢٦٩).
(١٧) كذا في المطبوع، ولعلها: «صنفت».
(١٨) الأنساب، للسمعاني (٢/ ٢٣٧).
(١٩) الأمصار ذوات الآثار، للذهبي (ص٢٣٣).
(٢٠) انظر: معجم البلدان (٢/ ٤٠١- ٤٠٥). خراسان، لمحمود شاكر.

أسرتي

كلكم مسؤول..

مع قدوم فصل الصيف يكثر السفر والتجوال وتتسع أوقات الفراغ لدى الابناء وتشد بعض الأسر- ممن وسع الله عليهم في الرزق- الرحال قاصدين الراحة والاستجمام مع اولادهم وبناتهم نحو المناطق السياحية داخل أوطانهم وخارجها مما يتيح لهم قضاء أوقات طويلة معهم يمكن الاستفادة منها في التوجيه والنصح والإرشاد، وإذا كانت المدرسة تتحمل جزءًا من العملية التربوية خلال العام الدراسي فإن عطلة الصيف تلقي بالمسؤولية التربوية كاملة على عاتق الوالدين، الأمر الذي يتطلب منهم مراعاة أمور عديدة لعل من أبرزها:

- تشجيع الأبناء والبنات على القراءة والمطالعة، وحبذا لو قدمت لهم مجموعات قصصية هادفة.
- مصاحبة الأولاد الى المساجد لأداء الصلاة جماعة.
- الإكثار من زيارة الأقارب والأرحام.
- ربط الأولاد والبنات بكتاب الله تعالى وسنة نبيه محمد ﷺ وسير الصحابة والتابعين والصالحين، وتقديم الحوافز لهم لحفظ سور من القرآن الكريم.
- توجيه الأبناء لتوثيق صلاتهم بالصحبة الصالحة والابتعاد عن رفاق السوء.
- التحذير الدائم من الاقتراب من أماكن اللهو غير المشروع، وتشجيعهم على ممارسة اللهو الهادف البريء.

إنها مسؤولية عظيمة تستوجب الحيطة والحذر وقد بينها لنا رسول الله ﷺ بقوله: «كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته» رواه مسلم.

المحرر

أمهاتنا وأجراس الامتحانات

لينة أحمد جلبط

الأمهات أحيانًا هن اللاتي يخلقن القلق والخوف في نفوس أبنائهن؛ بسبب بعض التهديدات التي تنبئ بصعوبة الامتحانات وقربها، فتتأهب بعض الأسر، عند اقتراب موعد الامتحانات، وتحول البيت إلى حالة من الطوارئ، حيث يغلق جهاز التلفاز وتمنع الزيارات وتنخفض الأصوات، ويمنع الأطفال الصغار من الاقتراب من أخيهم الذي يدرس... وما إلى ذلك من سلوكيات تشيع الرهبة في نفس الطالب، لذلك كانت أهمية خفض مستوى القلق والتوتر عند الوالدين كبيرة؛ لأنها تنعكس على راحة الطالب النفسية والانفعالية، فالتوتر والقلق وفرض حالات الطوارئ يصيب الطفل بحالة من الرعب تجعله يفقد القدرة على التركيز، والمبالغة في القلق تفقد الامتحانات قيمتها وأهميتها.

ويعرف قلق الامتحان بأنه حالة نفسية انفعالية تؤثر على اتزان الطالب النفسي وقدرته على استدعاء المادة الدراسية أثناء الامتحان، يصاحبها أعراض نفسية وجسدية كالتوتر والانفعال والتحفز، وينتج ذلك عن الخوف من الرسوب أو الفشل، والرغبة في المنافسة والتوقعات العالية المثالية التي يضعها الطالب لنفسه أو يضعها الوالدان له، أو ضعف الثقة بالنفس، ويعتبر هذا القلق، الذي يعتري الطالب أثناء وقبل الامتحان، أمرًا مألوفًا بل ضروريًا لتحفيزه على الدراسة طالما أنه يتراوح ضمن مستواه الطبيعي، ولا يؤثر بشكل سلبي على أدائه للمهام العقلية المطلوبة. فالقلق سلوك عرضي طبيعي ما دام في درجاته المقبولة، بل ويعد دافعًا إيجابيًا لتحقيق الحافزية نحو الإنجاز المثمر، وذلك انطلاقًا من القانون السيكلوجي المسمى قانون «بركس - دادسون» والذي ينص على أنه كلما زاد القلق الطبيعي زاد مستوى التركيز والأداء، وهو ضروري لكل طالب، فوجود قدر معين منه يمكن أن يحفز الطالب على المذاكرة والجد والاجتهاد .

لذا كان لابد للأم أن تعلم أن مذاكرة أولادها عبادة لإرضاء الله، وليس من أجل الجامعة أو الشهادة، وأن ما قدره الله سوف يكون، وأن المؤمن يمر في حياته الدنيا بظروف معينة، من هذه الظروف ما هي لصالحه، ومن هذه الظروف ما يبدو لأول وهلة أنها لغير صالحه، والحقيقة أن الله يبني إيمان عبده لبنةً لبنة، من خلال الظروف، والمحن والشدائد، والعطاء والمنع، والطمأنينة والخوف، هذه الظروف التي تحيط بالإنسان، والتي تنعكس على نفسه تارةً خوفًا وتارةً قلقًا، وتارةً طمأنينةً وتارةً انقباضًا، هذه الظروف إنما هي مسخرةٌ لبناء إيمانه الصحيح، ومن الممكن أن تصلي الأم صلاة الحاجة، وتقرأ بعض آيات القرآن الكريم، وتكثر من الدعاء لأولادها بالنجاح والتوفيق، فإذا حل الهدوء النفسي عليها فسوف ينعكس على الطالب ويبدأ مذاكرته.. فيجب أن نستشعر معية الله سبحانه وتعالى دائمًا وأبدًا.

ويقول أستاذ المناهج وطرق التدريس د سمير يونس: إن الدرجات ليست بالأهمية التي تولينها، فالشيء الأكثر أهمية هو أن تبني في ولدك الرغبة والقدرة على العمل الجاد والمثابرة، والارتباط بأي مهمة إلى أن يتم إكمالها؛ لأنه لو أكتسب هذا المفهوم الأخلاقي للعمل فسينفعه في حياته المدرسية والمستقبلية. فقد توصلت كل الدراسات في الخمسة عشر عامًا الأخيرة إلى أن الاستغراق ومشاركة الوالدين لابنهما لهما التأثير الأكبر في نجاحه الدراسي، ويسبقان في الأهمية المدرسين أو مستوى المدرسة، فعليك إن كنت ترغبين في تحسن مستواه الدراسي أن تمنحيه ووالده وقتًا كافيًا كل يوم للعناية بواجباته.

وعلى أية حال، فللنهوض بمستوى ابنك وعلاج مشكلته ننصحك بما يلي:

١ - احرصي دائمًا على إيجاد دافع لدى ابنك للاستذكار والانتباه، والدوافع نوعان: داخلية، وهي الأقوى، كأن تغرس فيه حب العلم عبادة لله وطاعة له، ودوافع خاصة كالحوافز والإثابة والترغيب... وأنت أدرى بما يحبه ابنك، ومن المفيد أن تذكري له أشخاصًا ناجحين ممن يحبهم.

٢ - اعتمدي في مساعدة ابنك على المتابعة لا التلقين، مع تشجيعه دائمًا وبث الثقة في نفسه.

٣ - عوّدي ابنك أن يبدأ مذاكرته بتلاوة ما تيسر من القرآن الكريم؛ حتى ولو آية، ثم قول الدعاء المأثور: «اللهم لا سهل إلا ما جعلته سهلا، وأنت تجعل الحَزْنَ إن شئتَ سهلًا».

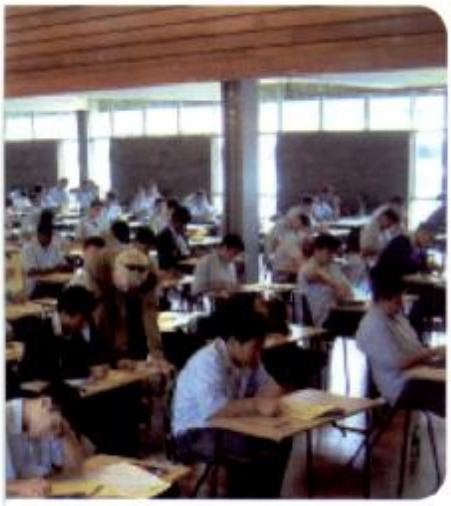

• باحثة اجتماعية

٤ - عوِّدي ابنك أن يهيئ نفسه للاستذكار؛ وذلك باختيار الوقت المناسب؛ بحيث لا يكون متعبًا ولا متضايقًا ولا حزينًا ولا مهمومًا؛ لذا فليتعود أن يحاول حل مشكلاته قبل الاستذكار؛ كأن يبادر بمصالحة من تشاحن معه، أو يلجأ إلى من هو أكبر منه من الموثوق بهم من أفراد الأسرة أو الأقارب، أو حتى يكتب همومه في ورقة بينه وبين نفسه إذا لم يجد من يبوح له بمشكلته؛ ففي كتابته هذه تنفيس وترويح عن النفس، وربما استراح نفسيًا بمجرد بث همومه لهذه الصديقة (الورقة)، ويمكن له أن يمزِّقها بعد تحقيق الهدف وهو الراحة النفسية والتهيؤ للمذاكرة.

٥ - تهيئة مكان الاستذكار؛ وذلك بالتغلب على الضوضاء، واتباع أسس الإضاءة الصحيحة، فتكون الإضاءة على يساره، ولا تكون ضعيفة فتبعث على النوم أو تضعف العين أو توتر الأعصاب أو تسبب النفور أو تضعف التركيز، ومن تهيئة المكان أيضًا: ترتيب الكتب، وألا يكون أمام المتعلم على مكتبه إلا الكتب التي ينوي مذاكرتها، مع تجهيز أدوات المذاكرة قبل الجلوس.

٦ - الاهتمام بالصحة والتغذية، وضرورة الكشف الصحي الدوري على ابنك؛ فلذلك أثره الكبير في التركيز.

٧ - عوِّدي ابنك ألا يذاكر وهو جائع أو متخم بالطعام، وألا ينام كذلك وهو جائع أو متخم.

٨ - احرصي على أن يجلس ابنك جلسة انتباه لا جلسة استرخاء عند المذاكرة (يجلس عموديًا مع الميل قليلًا للأمام، لا الانكفاء، وذلك على كرسي لا هو باللين الناعم فيسبب النوم، ولا بالخشن القاسي فلا يصبر في جلسته)، مع تجنب المذاكرة جالسًا على السرير أو مستلقيًا.

٩ - درِّبي ابنك على أن يبدأ مذاكرته بالاطلاع على العناوين أو العناصر والأفكار الرئيسية وتحديدها أولًا، ثم الدخول في تفاصيل الدرس بعد ذلك.

١٠ - إذا تعثر ابنك في استيعاب جزء معين فوجهيه إلى أن يكتب ما يذكره من هذا الجزء في ورقة، ثم ينظر في الكتاب مرة ثانية، ويعيد محاولة الكتابة مرة ثانية، إلى أن يتم الاستيعاب.

١١ - ألا يذاكر مادتين متشابهتين على التوالي، فإن ذلك قد يسبب النسيان والتداخل.

١٢ - اهتمي بعملية الاسترجاع بين الحين والآخر، ويمكنك ذلك بتوجيهه ومتابعته ومشاركته، كما يمكنك أن توجهيه بين الحين والآخر إلى الاعتماد على النماذج المحلولة، من باب «اختبر نفسك»، أي بعد حل التدريبات أو الأسئلة كاملة، ينظر في حل النماذج ويصحح لنفسه بنفسه، ثم تابعي ذلك بعد أن يصحح لنفسه، وشجِّعيه على هذا التقويم الذاتي حتى يصبح عنده عادة مستمرة من عادات العلم، مع مراعاة علاج نقاط الضعف.

١٣ - أرشدي ابنك إلى ضرورة فهم الشيء المراد حفظه أولًا؛ لأن الفهم يحقق حفظًا سريعًا ويسيرًا.

١٤ - يمكنك تقوية الحفظ والاستيعاب لديه عن طريق تشجيعه على استثمار أوقات فراغه في المبادرة بالمراجعة الصامتة، أو شرح ما فهمه لك ولأخوته وزملائه.

١٥ - عوِّدي ابنك أن يعطي نفسه فترة راحة (١٠ - ١٥ دقيقة) بين فراغه من مذاكرة مادة والبدء في مادة أخرى، وحتى في أثناء مراجعة المادة من المفيد جدًا أن يعطى راحة خمس دقائق كل نصف ساعة أو كل ساعة حسب طاقته، يتحرك فيها أو يروح عن نفسه بأية وسيلة يحبها؛ ففي ذلك إفادة للتلاميذ العاديين، وفيه إفادة أكبر لضعيفي التركيز.

ولتحقيق هذه الخطوات ستحتاجين إلى ما قدمه استشاري الطب النفسي د.سمير عبدالمنعم من بعض النصائح للتقليل من تشتت الطفل ودفعه للتركيز أثناء التحصيل أو أثناء أي مهمة تحتاج للجلوس، وهذا ما يجب تنفيذه في البيت والمدرسة بالتنسيق مع المعلمة، فيجب تنبيه جميع حواس الطفل لأداء مهمة ما، وتخفيف ما يشتت كل حواسه وذلك باتباع الآتي:

أولا: حاسة البصر، يجب أن يتم التواصل مع الطفل في عينيه مباشرة ولا يسمح بتشتيتهما هنا وهناك، ويجب أن يكون مكتبه خاليًا من المشتتات البصرية كالأشياء الملونة أو الألعاب، مع تقليل الأدوات المكتبية المستخدمة قدر المستطاع والتي تحدث أصواتًا، أو التي بها مفاتيح يمكن أن يصرف الوقت في الضغط عليها، ومن الأفضل أن يكون مكتبه مواجهًا للحائط، والمقصود هنا هو التحكم في نشاط الطفل ولكن دون قسوة.. فقط بإزالة المشتتات.

ثانيًا: حاسة السمع، يجب خلو المكان من أي مشتتات سمعية وتكون القراءة أثناء المذاكرة بصوت مرتفع مع تغيير نغمات الصوت بشكل يجذب الانتباه.

ثالثًا: حاسة اللمس، من الأفضل أن يتم التواصل مع الطفل باللمس وذلك عن طريق التمليس على الشعر أو اليدين كل فترة.

وأهم نصيحة هنا هي أن تكون هناك فترات راحة أثناء المذاكرة تقضى في مجهود حركي وليس في مشاهدة التليفزيون، أو في شيء يتطلب الراحة أو الاسترخاء، كالجري في المكان أو أي لعبة يحبها وتتطلب مجهودًا حركيًا؛ وذلك لتفريغ الطاقة المكبوتة خلال فترة الاستذكار، مع زيادة الاتزان والحلم والصبر وعدم استعجال النتائج.

وفي النهاية فإنه على الوالدين أن يتذكرا قول النبي ﷺ «كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته» (صحيح البخاري).

طفل مطيع بلا عقاب

أمال عبدالرحمن محمد

تعتبر الأم المصدر الأساسي في مد المجتمع بالأبناء الصالحين، فالأم مدرسة اذا أعددتها أعددت شعباً طيب الأعراق، فهي التي تعطي طفلها أول درس في الأخلاق عن طريق القدوة التي هي أكثر عمقا من الألفاظ الجوفاء، كما تعطي الطفل الدفء والحنان، فالأم الصالحة هي التي تنجب الأبناء الأصحاء، انشغال المرأة وخروجها للعمل في هذا العصر أحدث فجوة بين الأم وطفلها اذ لم يتسع لديها الوقت الكافي لتمنحه القدر اللازم من الحنان ومن ثم انعكس ذلك على سلوك الطفل فترجمه الى عصيان وربما تطور الى مقاومة السلطة الأبوية، وعلى ذلك ينبغي على الأم أن تدرك هذا الأمر الخطير وتحاول إيجاد الوقاية عن طريق إشعار الطفل بالحب والحنان والعطف ليشعر الطفل بأنه مقبول ومرغوب فيه، وخاصة أن وضع القواعد السلوكية للأطفال من مهام الأم وأصعبها في الوقت نفسه، لأن الطفل سيقاوم كثيراً لكي يؤكد استقلاله وهنا يجب على الأم أن تتحلى بالصبر والمثابرة وان تكرر حديثها وتعاليمها مرة بعد مرة وفي النهاية سيدفعه حبه لوالدته ورغبته في نيل رضاها الى تقبل هذه القواعد.

ولكن كيف يمكن للأم أن تقنع صغيرها بأهمية الأوامر وتقبلها؟

يجيب خبراء الصحة النفسية بمجموعة من الخطوات يمكن للأم أن تتبعها مع طفلها لكي يصل الى مرحلة التقبل والاقتناع.. فنقول

١- ادفعي طفلك للسلوك الايجابي من خلال جمل قصيرة وايجابية وبها طلب محدد فبدلا من عبارات مثل: كن جيدًا أو أحسن سلوكك أو لا ترمي الكتب، قولي: الكتب مكانها في المكتبة وهكذا.

٢- إن إلقاء الأوامر طول اليوم يساعد على توليد المقاومة عند الطفل ولكن عندما تعطى الطفل سببًا منطقيًا لتعاونه فمن المحتمل أن يتعاون أكثر فبدلا من أن تقولي للطفل اجمع العابك قولي له يجب ان تعيد ألعابك مكانها وإلا ستضيع أو تتكسر واذا رفض الطفل فقولي هيا نجمعها معاً وبذلك تتحول المهمة الى لعبة.

٣- علقي على سلوكه لا على شخصيته اي اكدي لصغيرك ان فعله او سلوكه غير مقبول ولكن لا يعني هذا انك لا تقبلينه هو شخصيًا فقولي له مثلا هذا فعل غير مقبول ولا تقولي ماذا حدث لك ولا تصفيه بالغباء او الكسل لأن مثل هذه التوصيفات تؤثر على احترامه لذاته وتؤدي الى فقدان الثقة بنفسه.

٤- اعترفي لنفسك برغبات طفلك، فمن الطبيعي ان يتمنى ان يمتلك كل لعبة في محل اللعب لأنه طفل لكن بدلا من معاقبته على تمسكه باللعب ووصفه بالطمع قولي له أنت تتمنى أن تحصل على كل اللعب ولكن اختر لعبة الآن وأخرى للمرة القادمة، أو اتفقي معه قبل الخروج من المنزل على أنه سوف يختار ويكتفي بلعبة واحدة فقط فمثل هذه الاتفاق يجنبك الكثير من المعارك وتجعلين طفلك يشعر بأنك تحترمين رغبته وتشعرين به وتحاولين إسعاده.

٥- استمعي وافهمي.. قعادة ما يكون لدى الاطفال سبب للشجار فأنصتي لطفلك فربما عنده سبب منطقي لعدم طاعة أوامرك أو ربما يعاني شيئًا يؤلمه أو يضايقه.

٦- حاولي الوصول الى دوافعه الداخلية إذا أبدى أي سلوك يتميز بسوء الأدب لتعرفي الأسباب الحقيقية وراء تصرفاته المرفوضة. هذا مع الأخذ في الاعتبار ان لكل طفل قدرات خاصة وميولا تختلف عن الآخرين، فاحرصي على أن توجهي حديثك الى مشاعره بقولك له مثلا لقد رفضت ان اتركك تلعب على الكمبيوتر فأغضبك هذا وليس بامكانك ان تفعل ما فعلت ولكن يمكن ان تقول انا آسف أو أنا غضبان وبهذا تفرقين بين الفعل والشعور وتوجهين سلوكه بطريقة ايجابية.

٧- تجنبي التهديد والرشوة لأنك إذا كنت تستخدمين التهديد باستمرار للحصول على طاعة صغيرك فإنه سيتعلم أن يتجاهل رغباتك حتى تبدئي التهديد. والتهديدات التي تكون في ثورة الغضب عادة ما تكون غير ايجابية، ومع الوقت سوف يتعلم الطفل ألا ينصت لك أو يعيرك أي اهتمام حتى إن هددتيه بالعقاب كما أن رشوته تعلمه أيضاً ألا ينتبه لك لأنك عندما تقولين له سوف اعطيك لعبة جديدة إذا نظفت غرفتك فإنه سوف يطيعك من أجل الحصول على اللعبة وليس لكي يساعدك أو يقوم بما عليه من واجبات ومع الوقت سوف يتعلم أن لكل شيء ثمنًا وبدونه لن يقدم شيئًا من عنده.

٨- عندما يطيعك طفلك قبليه واحتضنيه أو امتدحي سلوكه بكلمات مثل ممتاز، عمل رائع، ليرغب في تكرار مثل هذه السلوكيات الحميدة التي استحق عليها ثناءك.

إن وضع القواعد صعب بالنسبة لأي أم ولكن إذا وضعت قواعد واضحة ومتناسقة وعاملت طفلها باحترام وصبر فسوف تجدينه كلما كبر أكثر تعاونا وأشد برًا، فأسلوب المدح والثناء يدعم السلوك المقبول وهو أفضل من العقاب لأن العقاب يولد العنف، وينبغي التحلي بالصبر ونحن نتعامل مع أطفالنا، فصناعة الأجيال وبناؤها أهم وأصعب من بناء المصانع، فمهمة بناء الأجيال مهمة سامية اذا أخلصت فيها فستنالين تقدير المجتمع والأجر من الله عز وجل. وفقك الله.

• استشارية تربوية

لا تسخروا من مشاعر أولادكم!

أميرة سليمان أبوجبة

تزداد خبرة الإنسان، وتزيد معلوماته ما دام يتعامل مع الناس، ويقابل مختلف الشخصيات.

طوال فترة نمونا، لا نكف عن اكتساب الخبرات، أي إنه لا يوجد وقت معين أو سن معينة، تستطيع أن تقول فيها: «لقد تعلمت كل شيء في الحياة، واستطعت اكتساب كل الخبرات، ولا أريد المزيد»!

ومرحلة المراهقة من أكثر المراحل تطورًا وتأثيرًا في حياة الإنسان، بعد مرحلة الطفولة، فهناك مبادئ يزداد فهمها وثباتها، ومعلومات أصبحت واضحة بصورة أفضل، كما يجد المراهق أنه بدأ يتعامل بأسلوب مختلف وأكثر نضجًا مع من حوله، وأكثر من يلاحظ هذا الاختلاف هم الوالدان والأقارب، والجيران.

وبالتالي يغير «الكبار» أسلوب معاملتهم، إذ صبحوا يعتمدون على أبنائهم، وبناتهم بصورة أكبر، كما يصبح أسلوب الحوار أكثر نضجًا وصراحة، ولكن تزداد التنبيهات والمحظورات في هذه المرحلة أيضًا، وهي ليست نابعة من فراغ، أو لرغبة الكبار في فرض سيطرتهم، لكن لأن الأمور بالنسبة للمراهق لم تتضح بعد، وهناك رغبة ملحة لاكتشاف كل ما هو جديد وغريب ولافت للأنظار، ويحتاج المراهق لأن يعرف ويفهم: «لماذا» و«كيف» وتزداد تساؤلاته بداخله.

إن خوف الوالدين على أبنائهما في اجتياز هذه المرحلة بسلام، لا يكفي وحده دون إبداء الأسباب، أما أسلوب التخويف فلم يعد مجديًا، إذ لم يعد المراهق طفلاً.

ويصيح المراهقون «نحتاج لمن يتكلم معنا... ويسمعنا»!!

صيحة بداخل كل مراهق.. إنه يفتقد الحوار، ويفتقد من يتحدث معه، يقول الابن: «إن الكبار يتعاملون معنا وكأننا أطفال، وكأننا لا نسمع إلا آراءهم فقط، فهم يريدون منا أن نتصرف كما يتصرفون هم».

ويقول الوالد: «يظن ابني أنه أصبح ناضجًا، وأنه يعرف كل شيء، وينفد صبره سريعًا بمجرد البدء في توجيه نصيحة له، أو لفت نظره، فكيف إذا سيفهم، ويتعلم؟»!

تقول إحدى الأمهات: «إنني لا أتخيل أن ابنتي تأتي إلي في يوم لتقول لي: «أحب زميلي، وأريد أن أتزوجه أو أن تكون قد تزوجته عرفيا بالفعل ونحن لا نعرف».

إن إنكار الوالدين لمشاعر أبنائهما وبناتهما في سن المراهقة، لا يلغيها، لذلك فبدلاً من الخوف والانتظار، يجب تهيئة ذهن المراهق لكل ما يمكن أن يسمعه أو يعرض عليه من زملائه بالمدرسة أو بالكلية، أو من أي إنسان يمكن أن يتصل به.

وأسلوب التخويف لا يصل إلى عقل المراهق، ولكن يجب شرح حقيقة هذه المشاعر والعواطف والعلاقات بطريقة صحيحة وصريحة، وفتح مجال الحوار والأسئلة بدون حرج بين الابن ووالده أو الدته، وإنارة الطريق أمامه حتى يمكن أن يميز الصواب والخطأ، وبين الحقيقة والخداع، وحتى لا يقدم المراهق على تصرف خاطئ يسيء إليه أو إلى أسرته من ورائهم، أو خوفًا منهم.

ويجب على المراهق أن يفهم ويتأكد - تمامًا- أن مشاعره أو عواطفه التي تتجه سريعًا إلى الجنس الآخر لا تدفعه إلى أن يتخذ في هذه السن قراره باستمرار العلاقة أو بالزواج لأنه يحب (أو هكذا يعتقد).

لذلك كان من المهم أن يفرق المراهق بين القصص والأفلام، والحياة والواقع، فإذا استطاع أن يفهم ويفرق جيدًا، فإنه يسهل عليه بعد ذلك تلقي المعلومات التي تهمه، وتحفظ نفسه وسمعته وكرامته بعيدًا عن مشكلات الحب في هذه السن.

دعوة من الشباب إلى الوالدين

لا تسخر من مشاعري عندما أتحدث معك، لا تسخف من اسئلتي، واشرح لي كل ما يهمني بلا حرج، فأنا لن أطمئن للكلام إلا مع أبي وأمي- اشرح لي كيف أتصرف عندما أسمع أول كلمة من الجنس الآخر تصرح لي: «أحبك» وأنا مازلت في هذه السن، شجعني على ممارسة هوايتي ورياضتي، حتى في فترة الدراسة، لا تجعلني أخاف أو أكذب عليك عندما أحكي لك كل شيء أراه، أو أسمعه من الزملاء أو من أي مصدر آخر.

لا تظن أنني مازلت صغيرًا فجيلنا مختلف، ولكننا يجب أن نتعلم منكم لأننا نحبكم ونحترمكم.

- لا داعي للخوف، فيداخلي مبادئي، وطاعة الله منذ صغري، وهي تحميني.

باحثة اجتماعية

د. حنان زين مدير مركز السعادة للاستشارات والتنمية الأسرية لـ «الوعي الإسلامي»:

الأمم المتحدة تشن حرب مؤتمرات للقضاء على المرأة

حوار: منير أديب

المرأة نصف المجتمع، بل المجتمع كله، فإذا صلحت صلح هذا المجتمع، فهي مدرسة إن أعددتها أعددت شعبا طيب الأعراق كما قال الشاعر العربي، وهي صاحبة الغرس ومعلمة الأسرة الأولى ومربية النشء، لذلك التف الغرب حولها لضرب المجتمعات العربية والإسلامية من خلالها، وأطلق في سبيل ذلك حرب مؤتمرات رسخت مقرراتها وتوصياتها لإباحة الإجهاض، فضلا عن العلاقات غير المشروعة وركزت أجندتها للقضاء على مفهوم الأسرة.

في المقابل عقد أول مؤتمر إسلامي علمي بالبحرين يناقش قضايا المرأة من منظور إسلامي ويطرح اتفاقيات ومؤتمرات المرأة الدولية وأثرها في العالم.

حول هذه القضايا وغيرها وإمكانية تفعيل توصيات مؤتمرات المرأة من وجهة نظر إسلامية واستنساخ مثل هذه الأفكار أجرينا حوارا مع الدكتورة حنان زين مدير مركز السعادة للاستشارات والتنمية الأسرية.. فإلى نص الحوار:

■ في البداية كيف ترون مثل هذه المؤتمرات وأهميتها في الوقت الحالي؟

– هذه المؤتمرات مهمة وضرورية، فنحن نعاني معاناة شديدة وقاسية من قلة المؤتمرات التي توضح وجهة النظر الإسلامية، في الوقت الذي تنتشر فيه المنظمات الحقوقية الغربية صاحبة الأجندات الفاسدة والتي تهدف لطرح أفكارها عنوة على حساب قيمنا وديننا، ومؤتمرات الأمم المتحدة وغيرها شاهدة وشاخصة أمام العين، والغريب في مقررات هذه المؤتمرات أنها تعمد للقضاء على المرأة، فالحرب ليست ضد المرأة، وإنما ضد المجتمع ممثلا في المرأة.

■ وما أهميتها من وجهة نظرك؟

– أما بالنسبة للأهمية، فهذه المؤتمرات تجلي الصورة أولا أمام المسلمين الذين وقعوا أسرى لوجهة نظر واحدة طرحها الغرب بهدف

مؤتمرات المرأة الإسلامية حائط صد وصمام أمان للمجتمعات العربية والإسلامية

القضاء على المجتمع، ليصبحوا بعيدين تماما عن مجرد تخيل حجم المؤامرات التي تحاك لهم ليل نهار وأبعاد هذه المؤامرات، وأستطيع أن أقول إن هذه المؤتمرات مهمة بشكل كبير، لأنها تطرح وجهة النظر الإسلامية وتدافع عن قيمنا وثوابتنا التي ابتعد عنها المسلمون.

■ ما الإشارات التي يمكن أن نفهمها من عقد هذا المؤتمر بالبحرين؟

– هناك ملاحظة رئيسية لابد أن نلتفت إليها، وهي قلة المؤتمرات التي ترسم وجهة النظر الإسلامية وتطرحها أو حتى التي ترد على المؤتمرات التي تتبنى وجهة نظر الغرب أو حتى تناقش قضايا المرأة بصورة واقعية، بعيدا عن التطرف.

وأهمية مؤتمر المرأة في البحرين أنه مؤتمر متخصص وعالمي، مع أن حجم الدعاية له كان ضعيفا للغاية.

– هل تعولون على هذه المؤتمرات؟ وما الثمار التي يمكن أن يحصدها العالم من ورائها؟

– نتمنى أن تخرج هذه المؤتمرات بعدة توصيات يكون هدفها التطبيق، وأن تتحقق فعليا على أرض الواقع، وأن تساهم بشكل إيجابي في التوعية، كما نتمنى أن تصاحب عقد هذه المؤتمرات حملات إعلامية تروج للأفكار الإيجابية التي تناقش داخل ردهاتها، وأن تكون هناك إستراتيجية بعيدة الأمد لتطبيق التوصيات والاستعداد للمؤتمر الثاني.

■ كيف يمكن تطبيق التوصيات الناتجة عن هذا المؤتمر بشكل عملي؟

– أي مؤتمر لابد أن يكون له خطابان أحدهما موجه لمؤسسات المجتمع المدني في العالم العربي والإسلامي، والآخر موجه للجهات الحكومية، ويجب أن تكون هناك خطة عمل لا تقتصر على مجرد عقد المؤتمر والإعداد له، ولكن تمتد لما بعد المؤتمر، كما أنها تعمل أثناء انعقاده، وهناك معايب كثيرة تقع فيها مثل هذه المؤتمرات، وهي أن أصحابها يبذلون الغالي والنفيس من الوقت والجهد والمال فيقولون ما يقولون ثم ينتهي كل شيء بعد ذلك دون تفعيل التوصيات العملية والتعامل معها.

في إحدى محاضراتها

ولذلك لابد من وجود خطة شاملة وطويلة الأمد لتطبيق توصيات المؤتمر، فأهمية المؤتمر تختبئ في الاستفادة من التوصيات بعد ذلك، فإذا غابت هذه الفكرة عن المنعقدين أصبح المؤتمر مكلمة أو محبرة وقعت على الأوراق لتخرج توصيات لا مكان لها في التطبيق.

■ وكيف يمكن إلزام الجهات الحكومية بتوصيات هذه المؤتمرات؟

– الإلزام يأتي بمخاطبة هذه الجهات والمطالبة بتصحيح أوضاع المرأة والتحذير من مخاطر هذه الأوضاع والتعامل مع الواقع الحالي ونشر التوصيات على مدى أوسع وأهم.

وأريد أن أقول في هذا الشأن إن كثيرا من المؤتمرات أو حتى الدراسات والبحوث لا تراعي بعد الجهات الحكومية وأهمية هذه الجهات في تغيير واقع المرأة، فالناشطون في واد والجهات الحكومية التي من المفترض أن تتولى فكرة التغيير في واد آخر.

■ هل هذا يعني أنها تبقى مجرد مطالبات تقبلها الجهات الحكومية أو ترفضها؟

– هذا حقيقي، ولذلك يجب أن يكون هناك رعاة للمؤتمرات يكون جل همهم الترويج لهذه التوصيات وبحث اليات تطبيقها، ولذلك أقول إن المشكلة ليست في عقد المؤتمرات أو تنسيق الجهود لعقد هذه المؤتمرات، ولكن المشكلة في الاستفادة بهذه المؤتمرات التي تحولت إلى حبر على ورق، ولابد من آلية لتنفيذ مقررات هذه المؤتمرات وتنفيذ ما ورد بها من توصيات.

■ ما أهمية هذه المؤتمرات، خاصة أن المؤتمر يعد الأول من نوعه؟

– أهمية هذا المؤتمر تبدو في أنه الصوت الإسلامي الذي يخرج وسط أصوات أخرى نشاز تعلو حناجر البعض بها باسم حقوق المرأة والطفل تارة، والدفاع عن المرأة والطفل تارة أخرى، فلاشك أن الأفكار المنبثقة عنه سوف تعبر عن رؤية الإسلام الحقيقية للمرأة، ومن خلالها سوف يكون هناك رد عملي على الأجندات التي يطرحها الغرب من أجل القضاء على المرأة، فضلا عن أنه سوف يمثل الركيزة الأساسية لمؤتمرات أخرى تلتقط الخيط وتسير في الاتجاه نفسه.

■ ما الأجندات التي تطرحها المؤتمرات الغربية التي أشرتم إليها؟

– أجندة هذه المؤتمرات واضحة، والهدف منها واضح من خلال مقرراتها التي خرجت علينا، وخلاصة ما تسعى إليه هذه المؤتمرات هو القضاء على المرأة نهائيا أو قل القضاء على المجتمع ممثلا في المرأة، بعدما تراجعت هذه المجتمعات كثيرا وسقطت فيها المرأة في وحل الرذيلة بابتعادها عن الفطرة، موقنة أن سقوط المجتمعات يكون من خلال المرأة، فرفع الجميع سهامهم وصوبوها ناحية المرأة في المجتمعات الإسلامية، ولذلك من المهم الوقوف أمام هذه المؤتمرات وإنشاء حائط صد لهذه الأجندات الغربية من خلال مؤتمراتنا التي تؤصل للفكرة وتدافع عنها بشكل منطقي وشرعي وعلمي.

تعليم الطفل الكلمات الطيبة

أحمد حسن الخميسي

الأسرة هي الخلية الأولى في المجتمع، لأنها تقوم بالدور الأساسي في تربية الأطفال، فإن صلحت صلح أفرادها، وإن فسدت انحرف أفرادها.

وهي الوسط الأول الذي ينشأ فيه الأبناء، ومن خلالها يتشربون القيم الاجتماعية التي تؤهلهم ليكونوا أفرادًا صالحين.

وتنصب جهود الأسرة في تربية أبنائها على تنمية ملكاتهم وحواسهم والاعتناء بصحتهم، وسنقتصر في دراستنا هذه على تربية اللسان الذي يعبر عما في الفؤاد، وسنتناول الوسائل والأساليب التي تتبعها الأسرة لتعليم الطفل الكلمات الطيبة الجميلة بحيث يؤديها بشكل مناسب وحكيم.

إن شخصية الطفل تتحدد بما يسمعه من كلمات، وما يراه وما يشاهده من مناظر، وما يحسه وما يلامسه من أشياء، وما يلاقيه من أفعال وتصرفات تصدر من الآخرين تجاهه، فبقدر ما يكون الذي نقدمه للطفل جميلاً ومناسبًا، تكون النتائج محمودة تزكو بها نفسه، وينبل بها طبعه، وترق بها مشاعره، لأن نفس الطفل صفحة بيضاء ننقش فيها ما نريد، أو هي أرض خصبة صالحة للغرس.

تلعب الأسرة دورًا مهما في تهذيب ألفاظ الطفل، وجعلها تليق بإنسانيته، ويأتي بعد ذلك دور المدرسة والمجتمع ووسائل الإعلام، كما أن المسجد يغذي فؤاد الطفل بكلمات الله تعالى وكلمات رسوله الكريم ﷺ من خلال خطب الجمعة ودروس العلم والتعليم، فيزداد إيمانه ويطيب كلامه، وهذا كله يكمل ما قامت به المؤسسات التربوية الأخرى، فيشب الطفل وهو يردد كلمات وعبارات عطرة يغرد بها هنا وهناك، فتغرس المحبة بينه وبين أبناء مجتمعه .. فما هي الطرق والوسائل لتحقيق ذلك؟

إن صياغة معجم الكلمات للطفل يأتي من طرق عديدة منها:

١- طريق التعليم.

٢- طريق القدوة.

٣- طريق العادات.

أما التعليم الذي تقوم به الأسرة، فله أهمية كبيرة وبالغة وله تأثيره منذ الأيام الأولى لولادة الطفل، وقد أشار إلى ذلك كوندن «Condon» عام ١٩٧٩م، فقد قرر: «أن الطفل يتفاعل مع الصوت الكلامي بعد عشرين دقيقة من الولادة، وأن ذلك يلعب دورًا مهمًا في سياق تطور الطفل وتشربه سمات الوسط الثقافي الذي يكبر فيه» (١).

ولقد أدرك الرسول ﷺ ذلك من قبل أن يتوصل الدارسون إليه، فجعل من سنته الأذان في أذن المولود اليمنى وإقامة الصلاة في اليسرى، وقد ورد عن ابن عباس أن النبي ﷺ «أذّن في أذن الحسن بن علي يوم ولد، فأذن في أذنه اليمنى وأقام في أذنه اليسرى» (شعب الإيمان- البيهقي).

وسر أداء التأذين كما قال ابن القيم الجوزية «أن يكون أول ما يقرع سمع الإنسان كلماته المتضمنة لكبرياء الرب وعظمته» (٢).

وأشارت دراسة ريكس (Ricks) عام ١٩٧٩م للاتصال الصوتي عند الطفل في مرحلة ما قبل الكلام إلى «أن الطفل في الشهر السادس يفهم بعض خصائص الكبار، خاصة عندما تتكرر الجملة بنبرة معينة» (٣).

هذا يعني أن الأسرة تستطيع من خلال إسماع الطفل كلمات عذبة وحلوة أن يتعود على نطقها وترديدها عندما يبدأ الكلام، وعلى الأسرة أن تغتنم فرصة لفظه الكلمات الأولى، فتدربه على ألفاظ بسيطة ومحببة إلى جانب كلمات «ماما، بابا،...».

وهكذا تزداد حصيلة المفردات الحسنة والمحبوبة التي يعبر بها عن حاجاته ومشاعره، ويخاطب الآخرين من حوله.

ومن واجبات الأسرة أن تبعده عن الكلمات البذيئة والمستهجنة والدخيلة، ومن

• باحث تربوي

العجب أن بعض أفراد الأسرة يطربون ويضحكون لكلمات السباب والسخرية والشتم التي يتفوه بها الطفل، وربما يشجعونه على ذلك بحجة أنه صغير وأنه لا يفهم، وأن كل ما يخرج من فمه حلو وجميل!

ولكنهم لا يدرون أن «من شب على شيء شاب عليه». فحذار ثم حذار!! إن تعليم الكلمات الطيبة يحتاج إلى متابعة وملاحظة وتكرار وتشجيع، فعند تعلم الطفل كلمة طيبة أو كلمات، يطلب منه تكرارها في مواطن مختلفة حتى تتأصل في نطقه، وتصبح عادة لديه «فالتكرار يبدو وسيلة مهمة لتحقيق الشروط الضرورية لتعليم الطفل» (٤).

ويتابع الطفل ويلاحظ في لعبه وعلاقته مع إخوانه وأقرانه، وتعزز مواقفه الكلامية، ويشجع على ذلك بتقديم الهدايا والثناء عليه، ويشرح له بشكل مبسط ما للكلام الطيب من أثر في تحسين علاقة الناس بعضهم ببعض، وما له في حياة الناس من فوائد، وما للكلم الطيب من ثواب عند الله.

ويلقن الصغير قول رسول الله ﷺ «والكلمة الطيبة صدقة» (صحيح البخاري) وهذا يشكل حافزا للطفل لكي ينتقي كلماته ويجعلها نظيفة حسنة خالية من الشوائب.

وللأسرة في رسول الله ﷺ أسوة حسنة، فقد حرص ﷺ أن يعلم الصغار والكبار بالكلمات من خلال وصيته لابن عباس الذي قال: «كنت خلف النبي ﷺ يومًا قال: «يا غلام، إني أعلمك كلمات: احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده تجاهك، إذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله، واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء، لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك، وإن اجتمعوا على أن يضروك بشيء لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك، رفعت الأقلام وجفت الصحف» (رواه الترمذي).

هذا عن تعليم الكلمات بشكل مباشر، أما عن طريق القدوة، فإن الطفل يعجب بوالديه وإخوته، خاصة إذا كان في العائلة شخص له مكانته وحضوره في الأسرة أو المجتمع، فكلما كان القدوة نظيف الحديث والكلام، مشرق العبارات، يخاطب كل فرد بما يناسبه، فإن الطفل يأخذ عنه.

ترديد الآذان وإقامة الصلاة في أذني المولود ليكون أول ما يسمعه كلمات تتضمن كبرياء الله وعظمته

وهذا ما نراه ونسمعه هنا وهناك، فكثيرًا ما يردد الطفل الكلمات التي «تعجبه من القدوة، إذ إن التقليد يعد وسيلة تعليمية تربوية، بالإضافة إلى كونه وسيلة اتصال» (٥)، وخاصة إذا كان هذا التقليد لشخص محبب ومقرب، بالإضافة إلى ذلك فإن للعادات السائدة في الأسرة من أساليب الحوار والأحاديث بين أفرادها أثرًا واضحًا على تشكيل معجم الكلمات الطيبة في حياة الذي يرتبط نطقه بسمعه، قال ابن خلدون في مقدمته: «إن السمع أبو الملكات اللسانية» (٦).

فإن سمع الطفل في نشأته أحاديث وحوارات مهذبة وجدية كان حديثه وحواره مهذبًا، وإلا مال إلى الهزل والثرثرة.

فالأسرة التي تحرص على تربية صغارها وأبنائها تربية صالحة تضبط أقوالها وخاصة عند شدة الغضب أو شدة الفرح، لأنه في الحالتين قد يفقد المرء رشده فينطق بما لا يحمد، فيتأثر بذلك الأولاد، وما نسمعه لأطفالنا ينبت في بستان كلامهم.

وفي تعليمنا للأولاد الكلم الطيب، علينا أن نلاحظ الأمور الآتية:

١- أن يكون للأسرة منهج في تعليم أبنائها الكلمات الحسنة والملائمة لكل المناسبات، فللتحية كلمات، وللاستقبال كلمات، وللتهنئة كلمات، ولاحترام الآخرين كلمات، وهكذا.

ويجب أن تلتزم الأسرة في ذلك بما أرشدها إليه الإسلام في هذه المواقف حتى يشعر الطفل بهويته الإسلامية عند ترديد تلك العبارات والصيغ الكلامية المستفادة من سيرة النبي ﷺ وهديه.

٢- أن ترد الأسرة الكلمات الجميلة ذات الإيقاع الموسيقي على مسامع الطفل منذ نشأته الأولى، لأن ذلك يؤثر فيه ايجابيًا «فالطفل يسمع قبل النطق كلامًا كثيرًا وتراقيص وأشعارًا يذكرها والداه وأهله على مسامعه، فيحاول أن يقلد فيصيب مرة ويتعثر أخرى إلى أن يتقن التلفظ بها» (٧)، فهي تؤثر في نفسه ومشاعره، ولو لم يستطع تقليدها أو فهمها، «إذ غالبًا ما يتوقف الطفل الحديث الولادة عن البكاء عندما يسمع صوت الأم» (٨).

٣- أن تتحين الأسرة الوقت المناسب لتعليمه وتربيته، فللوقت المناسب والظرف المناسب أهمية في نجاح ذلك.

٤- أن تشجع الأسرة الطفل على تحسين كلماته وتزكيتها ماديًا ومعنويًا، وتبعده عن الألفاظ السوقية بشكل مباشر وغير مباشر.

إن غرس الكلمات الطيبة وترسيخها ليس بالأمر السهل، فهو يحتاج من الأسرة إلى جدية ومتابعة وصبر وأناة وروية، حتى لا يفلت منها زمام الأمر، فتصاغ كلمات أطفالها بشكل عشوائي، فالجدية والحكمة والمتابعة سبل لابد منها في التربية لتكون ناجحة.

الهوامش

١- د. قنطار فايز «الأمومة» سلسلة عالم المعرفة - الكويت، ع ١٦٦، ص ١٣١.
٢- ابن قيم الجوزية، «تحفة المودود بأحكام المولود، تحقيق عبدالقادر الأرناؤط، مكتبة دار البيان - دمشق، ١٩٧١، انظر ص٣١.
٣- د. قنطار فايز «الأمومة» مرجع سابق ص١٧٢.
٤- المرجع السابق ص ١٤٣.
٥- د. قنطار فايز «الأمومة» مرجع سابق، ص ١٤٣.
٦- ابن خلدون، عبدالرحمن بن محمد الحضرمي، «المقدمة»، الطبعة الثالثة- دار التراث العربي، بيروت ص ٥٤٦.
٧- د.جبر يحيى عبدالرؤوف، دراسة بعنوان: «اللغة الأذن» نشرت في مجلة «رسالة الخليج العربي» التربوية، ع ٥٢.
٨- د. قنطار فايز «الأمومة» مرجع سابق، ص ١٦٩.

إذا كنت ضيفا فلا تكن ثقيلا

منى السعيد الشريف

«الضيافة» خلق عربي أصيل زاده الإسلام أصالة ورسوخا، وأحاطه الشرع الحنيف بالعديد من الآداب والفضائل وأجزل للمضيف الثواب في الدنيا والآخرة إذا التزم بها، وفي المقابل ألزم الضيف بالعديد من التوجيهات والآداب، كي لا يقع صاحب البيت في الحرج، الأمر الذي يحقق الغاية النبيلة من علاقة التزاور في تأليف القلوب ولم الشمل وإشاعة جو من المودة والصفاء بين المؤمنين.

ونذكر هنا بعض هذه الآداب والتوجيهات

● التجمّل للزيارة: المحافظة على الأناقة من الأمور المهمّة التي دعا إليها الإسلام، والتجمّل صفة يحبها الله سبحانه وتعالى، فعَن عَبدالله بن مَسعُود رضي الله عنه عَنِ النَّبِي ﷺ قَالَ: «لا يَدْخُلُ الجَنَّةَ مَن كانَ في قَلبِه مِثقالُ ذَرَّةٍ من كِبر. قال رَجُل: إنَّ الرَّجُلَ يُحِبُّ أن يَكُونَ ثَوبُهُ حَسَنًا، وَنَعلُهُ حَسَنَةً، قال: إنَّ الله جَمِيلٌ يُحِبُّ الجَمَالَ، الكِبْرُ بَطَرُ الحَقِّ وَغَمْطُ النَّاسِ» (مسلم).

وهذا التجمّل في الملبس وتحسين المنظر عند الزيارة يشعر الآخر باهتمامك به واحترامك له، كما أنّ النفس الإنسانيّة تحب الجمال وتتآلف معه، وهذا التجمل من الآداب المحمودة التي يجب أن يتحلى بها المسلم، ولقد جاء رجل إلى أبي العالية وعليه ثياب صوف فقال أبوالعالية: إنما هذا ثياب الرهبان، إنّ المسلمين كانوا إذا تزاوروا تجمّلوا. (الأدب المفرد، البخاري).

● لا ينبغي أن يجلس في مقابل باب الحجرة المخصصة للنساء وسترهم، فقد يفتح باب أو ينكشف ستر فيطلع عما لا يجوز له النظر إليه.

● لا يجلس الضيف في مكان صاحب المنزل إلا إذا دعاه إلى الجلوس فيه، فقد قال ﷺ «لاَ يَؤُمَّنَّ الرَّجُلُ الرَّجُلَ فِي سُلْطَانِهِ (أي منزله ومكان سلطانه) وَلاَ يَقْعُدْ فِي بَيْتِهِ على تَكْرِمَتِهِ إِلاَّ بِإِذْنِهِ» (مسلم)، والتكرمة الموضع الخاص لجلوس صاحب البيت من فراش أو سرير أو مكتب ونحو ذلك.

● لا يكثر النظر إلى الموضع الذي يخرج منه الطعام، فإنه دليل على الشره.

● ألا يكلف الضيف صاحب الدار ما لا يطيق، قال ابن الحاج: «ينبغي ألا يتخير المدعو على الداعي»، فبعض الناس يشرط ويقول: اصنع لنا كذا واصنع لنا كذا.. فإذا علم أنه لا يجب ذلك فلا يفعل لأنه ليس من الأدب، إنما يأكل ما حضر، وينبغي إن خير المدعو ألا يشترط.

● ولا ينبغي للضيف ألا يحلف على صاحب الدار (المضيف) خاصة في ألا يعد طعام أو لا يذبح له... أو نحوه، ولو حلف عليه ألا يذبح فاكتشف أنه ذبح قبل أن يحلف، ففي كتاب «أنوار البروق في أنواع الفروق» في قاعدة تعذر المحلوف عليه قال: إذا حلف ضيف على صاحب الدار ألا يذبح فتبين أنه قد ذبح فلا حنث؛ لأن رفع الواقع محال، فإذن لا تجب كفارة في هذه الحالة، ولا يكون حانثًا.

● وينبغي على الضيف المبادرة إلى الأكل إذا دعي، فإن السنة إذا قدم الطعام أن يبادر بالأكل؛ لأنه كرامة لصاحب

* باحثة في شئون الأسرة

إذا نزلت ضيفاً على صديق أو قريب فارفق بمضيفك ولا تكن ثقيلاً

المنزل، فقبول الكرامة والأكل منها فيه تطييب لخاطر صاحب البيت، والرفض فيه شيء من الإهانة والإزعاج.

قال الرازي: يستفاد من قصة ضيف سيدنا إبراهيم عليه السلام أن من أدب الضيف أنه إذا أكل حفظ حق المؤاكلة، يدل عليه أنه خافهم حيث لم يأكلوا، ثم وجوب إظهار العذر عند الإمساك يدل عليه قوله: ﴿لَا تَخَفْ﴾ ثم تحسين العبارة في العذر، وذلك لأن من يكون محتميًا وأحضر لديه الطعام فهناك أمران، أحدهما: أن الطعام لا يصلح له لكونه مضرًا به. الثاني: كونه ضعيف القوة عن هضم ذلك الطعام .. فينبغي ألا يقول الضيف هذا طعام غليظ لا يصلح لي بل الحسن أن يأتي بالعبارة الأخرى ويقول: لي مانع من أكل الطعام، وفي بيتي لا آكل شيئًا أيضًا، يدل عليه قوله: ﴿وَبَشَّرُوهُ بِغُلَامٍ﴾ حيث أفهموه أنهم ليسوا ممن يأكلون، ولم يقولوا: لا يصلح لنا الطعام والشراب (التفسير الكبير للرازي ٢٨/١٨٤-١٨٥بتصرف).

● ألا يبتدئ بالطعام ومعه من يستحق التقديم بكبر السن أو زيادة الفضل، إلا أن يكون هو المتبوع والمقتدى به، فحينئذ ينبغي ألا يطيل عليهم الانتظار إذا اشرأبوا للأكل واجتمعوا له.

● ألا يفعل ما يستقذره غيره، فلا ينفض يده جهة الطعام، بل يمسح يده بمنديل ونحوه إن احتاج إلى ذلك، ولا يقدم إلى القصعة-إن كان الجميع يأكلون منها مباشرة- رأسه عند وضع اللقمة في فيه، فربما سقط شيء فاستقذر منه الحاضرون.

● إذا خرج شيء من فمه صرف وجهه عن الطعام، وأخذه بيساره بمنديل ونحوه.

● إذا كان في الطعام شيء يغمس غمسا، فلا ينبغي للضيف أن يقطع اللقمة بسنه ثم يغمسها في الطعام.

● لا ينبغي أن يتكلم وهو يمضغ الأكل حتى يفهم الحاضرون ما أراد، وتجنبا لأن يتطاير شيء منه فيقع في الطعام فيقذره.

● ألا يحوج صاحب البيت إلى الحض الدائب له على الطعام، قال بعض الأدباء: «أحسن الآكلين أكلا من لا يحوج صاحبه إلى أن يتفقده في الأكل، وحمل عن أخيه مؤونة القول».

● ألا يعطي من الطعام شيئًا إلا بإذن صاحب المنزل، قال ابن مفلح- رحمه الله- في الآداب الشرعية: وقالت الحنفية يحرم رفع المائدة إلا بإذن صاحبها لأنه مأذون بالأكل لا بالرفع، ولو ناول الضيف لقمة من طعامه ضيفا آخر؟ روي عن محمد أنه لا يحل للآخذ أن يأكل بل يضع ثم يأكل من المائدة لأنه مأذون بالأكل لا بالإعطاء، وقال عامة مشايخهم يحل له للعادة، وكذا لو ناول بعض الخدم الذي هو قائم على رأس المائدة جاز، ولا يجوز أن يعطي سائلا ولا إنسانا دخل هناك لحاجة لأنه لا إذن له فيه عادة، وكذلك لو ناول شيئا من الخبز واللحم كلب صاحب البيت أو غيره لا يسعه، ولو ناوله الطعام والخبز المحترق وسعه لأنه مأذون فيه عادة. (الآداب الشرعية، ابن مفلح، ٣/١٨٢).

● لا يجوز حمل شيء من طعام الضيافة معه، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلَّا أَنْ يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَى طَعَامٍ غَيْرَ نَاظِرِينَ إِنَاهُ وَلَكِنْ إِذَا دُعِيتُمْ فَادْخُلُوا فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَانْتَشِرُوا ...﴾ (الأحزاب: ٥٣) وفي هذه الآية دليل على أن طعام الوليمة وطعام الضيافة ملك للمضيف وليس ملكا للمدعوين ولا للأضياف لأنهم إنما أذن لهم في الأكل منه خاصة ولم يملكوه فلذلك لا يجوز لأحد رفع شيء من ذلك الطعام معه. (التحرير والتنوير ٢٢/٨٥).

● دعاء الضيف لمن استضافه بعد الفراغ من الطعام، فعن أنس ﷺ أن النبي ﷺ جاء إلى سعد بن عبادة ﷺ، فجاء بخبز وزيت فأكل، ثم قال النبي ﷺ: «أفطر عندكم الصائمون، وأكل طعامكم الأبرار، وصلت عليكم الملائكة» (صحيح أبي داود، الألباني/ ٣٨٥٤) وخص بعض أهل العلم هذا الدعاء عند الفطر فقط، والأكثرون على إطلاقه في الفطر وغيره.

وروى عبدالله بن بسر أن أباه صنع للنبي ﷺ طعامًا فدعاه فأجابه، فلما فرغ من طعامه قال: «اللهم بارك لهم فيما رزقتهم، واغفر لهم وارحمهم» (صحيح أبي داود، الألباني/٣٧٢٩)

● لا يجوز للضيف إحراج المضيف، لقوله ﷺ : «الضيافة ثلاثة أيام، وجائزته يوم وليلة، ولا يحل لرجل مسلم أن يقيم عند أخيه حتى يؤثمه، قالوا يا رسول الله، وكيف يؤثمه؟ قال: يقيم عنده ولا شيء له يقريه به». (مسلم/٤٦١١) يعني: ثلاثة أيام وبعدها ينصرف، وكان ابن عمر لا يأكل طعامًا يقدم له بعد ثلاث، وإنما ينصرف إلا إذا رغب صاحب البيت في جلوسه فعند ذلك يجلس.

● إذا نزلت ضيفا على صديق أو قريب، فكن لطيف المعاملة، خفيف الظل، وراع ظروفه، وأوقات عمله، وأوجز ما استطعت من وقت ضيافتك عنده، فإن لكل إنسان ارتباطات وواجبات ومسؤوليات ظاهرة وغير ظاهرة، فارفق بمضيفك ولا تكن ثقيلا، وقديما قالوا «الثقل هو البلاء».

ومن الأمور التي يستحسن أن نوردها هنا ألا يكثر الإنسان من الزيارة والترداد فيكون إثقاله من كثرة مجيئه، وفي مأثور الحكمة «زر غبا تزدد حبا».

ولا يفوتني التنبيه هنا إلى أن وجود الهاتف سهل عملية اختيار الوقت المناسب للزيارة، فينبغي الاستفسار قبل المجيء إن أمكن (آداب الضيافة/ أحمد الويسي).

رحمة النبي ﷺ بالأطفال الصغار

عبدالسلام حسن

يقول رب العزة جل جلاله: ﴿لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رؤوف رحيم﴾ (التوبة: ١٢٨)، وقال ﷺ: «إنما أنا رحمة مهداة».

وقال ربنا الرحمن الرحيم: ﴿لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيرًا﴾ (الأحزاب: ٢١).

نبينا محمد ﷺ هو قدوتنا في التعامل مع الأطفال الصغار واليتامى، كان يعاملهم معاملة رقيقة لطيفة لا نظير لها، معاملة فيها كل الرحمة، وحتى يرحمنا الله ربنا ينبغي أن نحول هذه الرحمة في بيوتنا وفي مدارسنا وفي شوارعنا إلى واقع عملي ومنهج حياة.

كان ﷺ إذا خرج من المسجد فقابله الصبيان وقف يسلّم عليهم، ويمسح على خدي أحدهم واحدًا واحدًا، ورد في صحيح مسلم من حديث جابر بن سمرة رضي الله عنه، يقول جابر صليت مع النبي ﷺ الصلاة الأولى فخرج إلى أهله فقابله الصبيان فجعل يمسح خدي أحدهم واحدًا واحدًا ثم مسح النبي ﷺ على خدي، يقول جابر: «فوجدت ليده بردًا أو ريحًا كأنما أخرجها من جؤنة عطار» (رواه مسلم).

وكان ﷺ إذا رأى طفلًا يظهر له البشر والسرور إيناسًا له، وكان إذا مرّ بصبية سلّم عليهم ومسح برؤوسهم، حدّث جابر بن سمرة أن النبي ﷺ رأى صبية يتسابقون فجرى معهم تطييبًا لهم.

وكان يلقى الصبي وهو يركب ناقته فيدعوه إلى ركوب الناقة ليدخل السرور على قلبه.

وكان يوطئ ظهره للحسن أو الحسين، رضي الله عنهما، ليركباه، وكان يقبّل الأطفال ويضمّهم إليه.

دخل الأقرع بن حابس على رسول الله ﷺ يومًا وهو يقبّل الحسن ويقبّل الحسين، فقال الأقرع: والله إن لي عشرة من الأولاد ما قبّلت أحدًا منهم، فغضب النبي ﷺ وقال: «أو أملك أن نزع الله من قلبك الرحمة، من لا يرحم لا يُرحم» أي: إذا كنت لا ترحم أولادك فإن الله لا يرحمك (رواه البخاري ومسلم).

ومات لإحدى بنات النبي ﷺ طفل صغير فلما رُفع إليه فاضت عيناه، فقال سعد بن معاذ رضي الله عنه: يا رسول الله، ما هذا؟ فقال ﷺ: «هذه رحمة جعلها الله في قلوب عباده، وإنما يرحم الله من عباده الرحماء».

رحمة وتربية وتعليم

من المعلوم أن التربية والتعليم في الصغر لهما الأثر الكبير، «العلم في الصغر كالنقش على الحجر»، فنبينا محمد ﷺ كان يربّي الأطفال الصغار على الآداب الفاضلة حتى ينشأوا عليها، ويعلّمهم ما ينفعهم في دينهم ودنياهم، ففي صحيح مسلم ورد أن عمر بن أبي سلمة كان غلامًا في حجر النبي ﷺ فكانت يده تطيش في الصحفة، إذا ما أكل مع رسول الله ﷺ يمدّ يده هنا وهنالك فقال النبي ﷺ: «يا غلام سمِّ الله وكل بيمينك وكل مما يليك» (رواه البخاري).

وفي الصحيحين أن الحسن بن علي رضي الله عنهما أخذ يومًا تمرًا من تمر الصدقة، فلمّا وضعها في فيه (فمه)

• باحث سوري

أخذها النبي ﷺ فقال: «كخ كخ، ألا تعلم يا حسن أننا لا نأكل الصدقة؟» (رواه البخاري ومسلم).

وفي سنن أبي دواد أن النبي ﷺ قال: «علّموا أبناءكم الصلاة وهم أبناء سبع، واضربوهم عليها وهم أبناء عشر وفرّقوا بينهم في المضاجع» (رواه أحمد وأبوداود).

فينبغي أن نتعلم من نبينا ﷺ هذا الدرس، فنفتح لأطفالنا صدورنا وقلوبنا ويجب ألا نتخلى عنهم، وألا يتخلى الأب عن أولاده، وألا تتخلى الأم وألا تتشغل عن أولادها حتى لا يتربّى الأولاد في الشوارع ومع أصحاب السوء، فنصل إلى نتيجة لا تحمد عقباها.

رحمة النبي ﷺ باليتامى

ما أجمل أن نجد مجتمعنا يرحم فيه اليتامى ويكفلون، والرجل لا يخاف الموت أبداً، ولا يفكر كثير من الآباء في الأبناء لأن المجتمع سيرحم وسيكفل أبناءهم من بعدهم، لقد رحم النبي ﷺ اليتامى رحمة بالغة، ألم يقل: «اتقوا الله في الضعيفين: المرأة واليتيم»؟!.

ما أحوج المجتمع إلى أن يتعلم هذا الدرس العملي من القدوة والمثل الأعلى محمد بن عبدالله ﷺ، وكفى اليتامى شرفًا وفخرًا أن نبينا محمدًا ﷺ نشأ يتيمًا، فالحمد لله أن جعل يُتم نبيه تشريفًا لكل يتيم، قال تعالى: ﴿ألم يجدك يتيمًا فآوى﴾ (الضحى: ٦) وبعد ذلك قال سبحانه في السورة نفسها: ﴿فأما اليتيم فلا تقهر﴾ (الضحى:٩)، فامتثل النبي ﷺ لأمر ربه جل جلاله، فلم يقهر يتيمًا قط، بل قال ﷺ: «أنا وكافل اليتيم في الجنة كهاتين وأشار بالسبابة والوسطى» (رواه البخاري ومسلم).

جاء رجل إلى النبي ﷺ يشكو قسوة قلبه فكان مما وصفه له النبي ﷺ: أن يمسح بيده رأس اليتيم ليلين قلبه.

المجتمع المسلم بحاجة إلى أن يتعلم الدرس العملي من القدوة والمثل الأعلى محمد بن عبدالله ﷺ

ولنتدبر هذا الحديث الذي رواه أبويعلى الموصلي، يقول ﷺ: «أنا أول من يفتح باب الجنة فأرى امرأة تبادرني- أي تسابقني، تريد أن تدخل معي الباب، فأقول لها: من أنت؟ فتقول: أنا امرأة قعدتُ على أيتام لي»، مات زوجها فأبت الزواج مع حاجتها إليه وابتعدت عن مواطن الشبهة والريبة وتعهدت بتربية أولادها التربية الصحيحة، فهذه المرأة مكانتها أنها تسابق النبي ﷺ لتدخل معه الجنة، فلنتصور هذه الكرامة لهذه المرأة بسبب أنها قعدت على أيتام لها.

وإذا كانت هذه رحمة النبي ﷺ بالأولاد واليتامى.. فماذا عن رحمته بالصغار عامة؟

يقول ابن سويد: «رأيت أبا ذّر الغفاري رضي الله عنه وعليه حلّة وعلى غلامه مثلها فسألته عن ذلك، فقال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «هم إخوانكم جعلهم الله تحت أيديكم، فمن كان أخوه تحت يده فليطعمه مما يطعم، وليلبسه مما يلبس، ولا تكلّفوهم من العمل ما لا يطيقون، فإن كلفتموهم فأعينوهم».

هذه رحمة النبي ﷺ بالصغار عامة إذا كانوا مستخدمين في مكان ما.

وعن أبي قتادة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «إني لأقوم إلى الصلاة أريد أن أطيل فيها فأسمع بكاء الصبي فأتجوز في صلاتي- يعني أخفف وأقصر- كراهية أن أشقّ على أمّه».

وورد أن النبي ﷺ مرّ بصحابي يضرب غلامًا له فقال: «اعلم أبا ذر أن الله أقدر عليك منك عليه»، وكأنه بهذا ينهاه عن ضربه. فأين هذا مما نجده عند كثير من الآباء والأمهات والمعلمين وأولياء أمور الأطفال من مظاهر القسوة والشدة والعنف مع أطفالهم الصغار وتلاميذهم؟! إذا أخطأ الواحد من هؤلاء الأطفال لا يستعملون معه غير لغة الضرب والعنف وهذا خطأ كبير، ولاشك أن هناك عقوبات أخرى كثيرة تربوية صحيحة يغفل عنها الكثيرون ولا يستخدمونها، كأن تمنعه من لعبة يحبها لفترة مؤقتة محددة وغيرها من العقوبات، فالرفق الرفق والرحمة بهؤلاء الأطفال الأبرياء الضعفاء، وإياكم والقسوة والشدة، فإن الرفق ما كان في شيء إلا زانه وما نزع من شيء إلا شانه، كما قال ﷺ، ولنحذر الحذر الشديد من هذا النفي الخطير من النبي ﷺ حيث نفى عن المرء انتماءه إلى الإسلام إن لم يرحم الصغير فقال: «ليس منّا من لم يرحم صغيرنا ويعرف شرف كبيرنا»، (رواه أحمد في المسند والترمذي والحاكم في المستدرك).

فاللهم ارحمنا برحمتك التي وسعت كل شيء، وأعنّا على أن نرحم الأطفال واليتامى رحمة ترضى بها عنّا، ربنا هب لنا من أزواجنا وذرياتنا قرة أعين واجعلنا للمتقين إمامًا، سبحان ربك ربّ العزة عمّا يصفون، وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين.

مسجد «دونغسي» في بكين

هو من أقدم المساجد في بكين حيث (أسس سنة ١٤٤٧م) وأصبح مركزًا إسلاميًا ثقافيًا وتعليميًا للصين كلها.

نبذة تاريخية

تُعتبر الصين من أوائل البلدان التي دخل إليها الإسلام، حيث بدأت تظهر ملامحهُ فيها سنة (٦٥١م)، ومنذ ذلك الحين أصبح عقيدة شريحة كبيرة من السكان الأصليين في البلاد، كالأقليات القومية، مثل هوى، الويغور، القازان، القرغيز، التتار، الأوزبك، الطاجيك، دونغشيانغ، سالار، باوآن... وغيرها.

ويبلغ عدد هذه القوميات المسلمة حوالي (١٤) مليونًا حسب الإحصائية الرسمية للعام (١٩٨٢م)، ومعظمهم يتوزعون في نينغشيا، وشينجيانغ، وقانسو، وتشينغهاي، بينما البقية الباقية منهم ينتشرون في مدن وقرى سائر المقاطعات والبلديات والمناطق الذاتية الحكم بما فيها جزيرة تايوان، وهونغ كونغ، وماكو.

لقد عمل المسلمون في الصين بدأب على بناء الكثير من المساجد الكبيرة والصغيرة حتى بات عدد المساجد فيها مستهجنًا لدى الكثير، حيث تفيدنا الإحصائيات غير الكاملة أن عدد المساجد في الصين يبلغ الآن أكثر من (٢٣) ألف مسجد، تنتشر في (٣٠) مقاطعة، وبلدية، ومنطقة حكم ذاتي، تتنوع بين مساجد ذات طابع معماري قديم كمسجد «هوايشنغ» بمدينة «قوانغشو» الذي يعتبر أقدم مسجد في الصين، يعود بناؤه إلى سنة (٧٤٢م)، وبين مساجد حديثة رائعة الهندسة كمسجد «عيد كاه» بمدينة «كاشغر»، وهذه المساجد ليست مجرد مراكز دينية للجموع الغفيرة من المسلمين، بل هي من فرائد الآثار التاريخية في الصين، ومن أشهرها مسجد «دونغسي» الذي يقع في شارع دونغسي، في حي دونغتشينغ، ببكين.

قال ابن بطوطة (ت ٧٧٩هـ): «..وبلاد الصين آمَن البلاد، وأحسنها حالاً للمسافر، فإنَّ الإنسان يسافر منفردًا مسيرة تسعة أشهر وتكون معه الأموال الطائلة ولا يخاف عليها، وإقليم الصين متسعٌ، كثير الخيرات والفواكه والزرع والذهب والفضَّة، لا يضاهيه في ذلك إقليم من أقاليم الأرض... وأهل الصين أعظم الأمم إحكامًا للصناعات، وأشدهم إتقانًا فيها، وذلك مشهور في حالهم، قد وصفه النَّاس في تصانيفهم فأطنبوا فيه...» (رحلة ابن بطوطة ٢/٢٢٤).

تاريخه

أسس مسجد «دونغسي» في عام (١٤٤٧م)، في عهد أسرة «مينغ الملكيّة»، ويرجع تاريخه إلى ما قبل أكثر من ٥٦٠ سنة، وقد أثبت نصب حجري أن المسجد بُني على نفقة القائد العسكري المسلم «تشن يو»، الذي تعود أصوله إلى بلاد المغرب العربي.

تولَّى «تشن يو» منصب نائب قائد قوات الجناح اليساري، ووالي منطقة «هوقوانغ»، وقد كان هذا الجنرال شديد التَّحمس للإسلام، فأخذ على عاتقه بناء المساجد مدى حياته، وتحمَّل تكاليف بناء مسجد «دونغسي» كاملًا، وأثَّرت أفعاله الحميدة هذه في ذريَّته، التي ذاع صيتها بأعمال الخير وبناء المساجد في ربوع البلاد.

تركي محمد النصر

بناؤه

بفضل سمو مكانة الجنرال «تشن يو» وكثرة

مسجد «دونغسي»

* إمام وخطيب في وزارة الأوقاف الكويتية

أمواله، كان بناء مسجد «دونغسي» فخمًا فوق العادة، ولا يتمثل هذا في فخامة مبانيه، وروعة هندسته فحسب، بل يتمثل أيضًا في امتيازه في عهد أسرة «مينغ» بالحماية الاستثنائية والقانونية.

يتكون المسجد من فناء أمامي، وفناء متوسط، وفناء خلفي، وتبلغ مساحته هكتارا واحدا، ومن البنايات الرئيسية فيه: مصلى، وقاعات جنوبية وشمالية لتلاوة القرآن الكريم، ومكتبة، وميضأة.

يقع المُصلّى على الجانب الغربي في الفناء الأمامي، مساحته (٥٠٠ متر مربع) ويتسع لأعداد كبيرة من المصلين، ويبلغ ارتفاعه (١٥ مترًا)، والجزء الأمامي منه عبارة عن هيكل خشبي ذي تصميم قديم وبسيط، وعلى شكل قصر تقليدي صيني، داخله (٢٠) عمودًا ملونًا كبيرًا، قطر الواحد منها (٤٨سم)، ومرسوم عليها زهور اللوتس الذهبية، وعلى العوارض الأفقية الوسطى بعض الآيات القرآنية المكتوبة بالخط الكوفي على خلفية ذهبية اللون.

وإلى الغرب من الفناء الأمامي قاعة مرور مؤدية إلى الدار الخلفية الكبيرة المساحة، وهي مظللة بأشجار، ومزدانة بأزهار زاهية الألوان، وهناك جناحان جنوبي وشمالي، وهما على أحسن ما يكون من الانسجام.

ليس المسجد مجرد مركز لأداء العبادة فقط بل هو مركز لتعليم الحديث لمسلمي الصين

تعرض المسجد لبعض التخريب والدمار، إثر بعض الزلازل والأحداث السياسية التي مرت بها البلاد، فقامت الحكومة الصينية بعدة اعتمادات مالية لعمليات واسعة النطاق لترميم المسجد العريق، كان من أبرزها الترميم الواسع في عام (١٩٧٤م).

وفي عام (١٤٨٦م) بُنيت مئذنة مربعة من طابقين وذات قمّة مدببة، ثم انهارت إثر زلزال قوي ضرب البلاد في آخر سنة من فترة حكم الإمبراطور «قوانغ شيوي» من أسرة «تشينغ».

ولا يزال إبريق نحاسي كان موجودًا على المئذنة محفوظا في المسجد إلى اليوم، كما يوجد في الفناء نصبان من عهد أسرة «مينغ».

في الجانب الجنوبي للمصلى لوحة عليها (١٠٠) مقطع صيني لتمجيد فضائل رسول الله محمد ﷺ، وضعت هذه اللوحة عام (١٥٧٩م) في عهد أسرة «مينغ» على الوجه الخلفي للوحة كلمات عربية بينها (٤) مقاطع صينية. وقد تم ضمّ المسجد إلى قائمة الوحدات الأثرية المحميّة الرئيسية بمدينة بكين عام ١٩٨٤م.

أسماؤه

عُرِفَ المسجد- منذ نشأته- بعدة أسماء منها:

١- مسجد «فامينغ»، أُطلق عليه هذا الاسم في بداية بنائه نسبة لأسرة «مينغ» الحاكمة آنذاك.

٢- مسجد «دونغسي» لوقوعه على مقربة من (دونغسي بايلو)، وهي الأقواس الشرقية الأربعة.

٣-المسجد «الحكومي»، أو «الإمبراطوري»، حيث إنه كان المسجد الرسمي في وقته.

التاريخ الثقافي للمسجد

ليس مسجد «دونغسي» مجرد مركز لأداء العبادة فقط، بل هو مركز للتعليم الحديث لمسلمي الصين، حيث أسست المدرسة الإسلامية الثانوية سنة (١٩٢٦م).

وانتقلت إليه أيضًا مدرسة «تشنغدا» للمعلمين التي أسسها «عبدالرحيم ما سونغ تينغ» في جينان عاصمة مقاطعة شاندونغ في سنة (١٩٣٩م) ، وكان لانتقالها كبير الأثر في زيادة النشاط والحيوية في المسجد.

وقد مرَّ المسجد بعد ذلك بفترة من الفتور العلمي إثر بعض الخلافات السياسية والعسكرية، ولم يستعد

المسجد من الداخل

حيويته إلا بعد افتتاح معهد الدراسات الإسلامية فيه على يد الشيخ «عبدالرحيم ما سونغ تينغ».

كما أسست فيه مجلة «نضرة الهلال» الإسلامية، ودار النشر التابعة لمدرسة «تشنغدا»، وبدأ المسجد بعدها بنشر دوريات ثقافية وأكاديمية إسلامية مثل مجلة «يويه هوا» و«جماهير هوي»، وأصبح فيما بعد مركزًا إسلاميًا ثقافيًا وتعليميًا للصين كلها.

مكتبته

تم تأسيس مكتبة المسجد بدعم من الملك المصري فؤاد الأول، وشخصيات من مختلف القطاعات الصينية، وتحتفظ هذه المكتبة بمؤلفات وآثار إسلامية قديمة بينها مخطوطة للقرآن الكريم، عُرفت بمخطوطة «ساري» نسبة لناسخها محمد بن أحمد ساري، وقد أنجز نسخها قبل أكثر من سبعمائة سنة عام ٧١٨هـ، في مدينة ساري بتركيا، وقد استخدم الناسخ قلم الريشة الصيني الخاص في كتابة الكلمات ذات الحجم الصغير، واستخدم خط النسخ كخط أساسي في هذه النسخة التي تعتبر من روائع نسخ القرآن الكريم في العالم.

لقد اجتاز مسجد دونغسي عددًا من الامتحانات في التاريخ، واحدًا تلو الآخر خلال سنوات مضت، وعلى الرغم من إغلاق أبوابه خلال فترات متقطعة مضت، إلا أن تأثيراته الكبيرة على الصعيد العالمي أدت إلى فتحه من جديد. وفي الوقت الحالي يستقبل مسجد «دونغسي» كل يوم أبناء المسلمين من مدينة بكين ومن جميع أنحاء البلاد، وهو بذلك يقوم بذات الدور الذي تقوم به بقية مساجد الصين العريقة ومنها:

١- مسجد «هوايشنغ» في قوانغتشو، قيل إنه بُني في عهد أسرة تانغ (٦١٨-٩٠٧م) وهو يحمل اسم مسجد «المنارة» أيضا، ويعتبر أقدم مسجد في الصين.

٢- مسجد «تشينغجينغ» في تشيوانتشو تم بناؤه بين عامي (١٠٠٩ و١٠١٠م).

٣- مسجد «العنقاء» في هانغتشو تم بناؤه في عهد أسرة تانغ (٦١٨-٩٠٧م).

٤- مسجد «نيوجيه» ببكين بني في عام (٩٩٦م).

٥- مسجد «هوايديان» في شنتشيو بمقاطعة خنان، بني في عام (١٢٧٣م).

وقد قامت هذه المساجد بدور كبير في التعليم الديني والنهضة العلمية في الصين، تمثل هذا فيما بات يُعرف بالمدارس المسجديّة التي امتازت بمرونتها في التعليم، وخرَّجت الآلاف من الرجال الذين لا غنى للصين عنهم في نهضتها الدينية، وكان من ضمنهم علماء لهم أيادٍ بيضاء في التعليم الإسلامي في الصين وقد جرت العادة على تسميتهم «علماء الحضارة الإسلامية والحضارة الصينية» منهم:

١. الشيخ وانغ داي يو.

٢. الشيخ تشانغ جيون شي.

٣. الشيخ ليو تشي.

٤. الشيخ ووتسون تشينغ.

كان هؤلاء العلماء يبذلون أقصى جهودهم لخدمة الإسلام في الظروف الشاقة، حتى ألفوا العديد من الكتب الإسلامية باللغتين الصينية والعربية.

وفي العام ١٩٠٨م بدأ العمل على تجديد المدارس القديمة، وتأسيس أخرى، فقام الشيخ «وانغ هاو ران» بتأسيس المدارس الدينية النظامية التي ما لبثت أن عمَّت أنحاء البلاد، وكان من أشهرها:

١- مدرسة تيانجين الإسلامية، تأسست عام ١٩١٠م.

٢- مدرسة الهلال للبنات في بكين تأسست عام ١٩٣٥م.

٣- المعهد الإسلامي الديني تأسس عام ١٩٨٢م.

كما تم تجديد مدرسة «تشنغدا» للمعلمين، ومقرها في مسجد «دونغسي».

يتبين لنا مما سبق أن التعليم الإسلامي في الصين بات اليوم يقوم بدور ريادي في نشر العقيدة الإسلامية في البلاد، لتكون مساجد الصين ومدارسها المسجدية بحق منارات إسلامية مضيئة.

المصادر

١. رحلة ابن بطوطة.

٢. مساجد الصين.

علي أحمد طلب.. لمحات من حياته

د .علي حافظ

قُبيل عصر الأربعاء العاشر من ربيع الأول ١٤٣١هـ الموافق للرابع والعشرين من فبراير ٢٠١٠م وافت المنية علمًا من أعلام الإسلام، وشيخًا جليلًا من شيوخ الأزهر الشريف.. ذلكم الداعية الكبير، واللغوي القدير فضيلة د.علي أحمد أحمد طلب الأستاذ غير المتفرغ بقسم اللغويات بكلية اللغة العربية جامعة الأزهر بأسيوط، وعضو اللجنة العلمية لترقية الأساتذة، والأستاذ بجامعتي أم القرى والإمام محمد بن سعود الإسلامية بالمملكة العربية السعودية سابقًا.

وقد شرفني الله عز وجل بمصاهرة الشيخ- رحمه الله- منذ أكثر من ثمانية أعوام، فهيأت لي هذه المصاهرة فرصة القرب من الشيخ والاطلاع على كثير من مناقبه وسجاياه التي يجمل ذكرها بعد وفاته، ويحسن نشرها بين الناس طلبًا للاقتداء به في صالح عمله ـــ رحمة الله عليه.

ولد الشيخ ـــ رحمه الله ـــ في ٢١ صفر ١٣٥٥هـ الموافق ١٣ مايو ١٩٣٦م في قرية شطورة، مركز طهطا، محافظة سوهاج بصعيد مصر، ونشأ في أسرة كريمة مكافحة، عرفت بعراقة النسب، وطيب المحتد، وهي أسرة شريفة من عوائل الشرفاء بصعيد مصر، وجهته إلى كتاب القرية صغيرًا ليحفظ القرآن، ويجوده، ويبدي في ذلك نبوغًا ملحوظًا، وعرف عن الشيخ في صغره الجد والاجتهاد في الطلب والتحصيل، كما عرف عنه أيضًا النشاط في العبادة والتميز في السلوك.

وقد حكى الشيخ عن نفسه في مجلس من مجالسه العلمية التي شرفت بحضورها أنه كان متعلقًا بالمسجد منذ صغره- ربما كان عمره سبع سنوات- وأنه رأى ضيفًا غريبًا عن البلدة يصلي معهم صلاة المغرب فانتظره الشيخ بعد الصلاة، وقال له: تعال معي يا عمي لنتناول طعام العشاء في بيتنا، وبعد أن أكل الضيف وانصرف، قبّلته أمه ووضعت يدها على كتفه، وقالت له: فيك خير كبير يا عليّ، ودعت له، يقول الشيخ معقبًا على هذه القصة: إن أمي شجعتني على فعل الخير، وألقت فيّ بذوره بفعلها هذا معي، ولن أنس هذه القصة، ودلالاتها التربوية ما حييت.

وقد عمل الشيخ- رحمه الله- إمامًا وخطيبًا بوزارة الأوقاف، وذلك بقرية البركة، مركز ملوى، بمحافظة المنيا في صعيد مصر، ثم مدرسًا بمدرسة طهطا الثانوية الزراعية، فمدرسًا بقسم اللغويات في كلية اللغة العربية بأسيوط، إلى أن صار أستاذًا من عام ١٩٨٨م، ثم ترأس القسم اعتبارًا من ١٣/١٠/١٩٨٨م.

لقد كان الشيخ- رحمه الله- قرآنيًا في قوله وفعله، في سلوكه وسمته، مقتديًا في ذلك بإمام الأنبياء، وقدوة الأصفياء، محمد ﷺ، الذي قالت عنه زوجه عائشة رضي الله عنها- فيما رواه مسلم وغيره-: «كان خلقه القرآن، كان قرآنًا يمشي على الأرض».

عاش الشيخ- رحمه الله- صابغًا حياته بالقرآن، تلاوة وعملًا حيث جعل له وردًا يوميًا يتلوه بعد صلاة الفجر لا

يتخلف عن ذلك بحال، فضلاً عن تلاوته له في أسفاره وفراغه، في السيارة وفي القطار، بل كان إذا انتظر شيئًا فإنه يحبس وقته له. ولقد رافقت الشيخ كثيرًا، فلطالما كان يشغل وقته بتلاوة القرآن.

وكان يعتز بحفظه أكثر من اعتزازه بما سواه، وأشهد أن الشيخ صرح لي: إن اعتزازه بحفظه للقرآن أكثر من اعتزازه بكونه أستاذًا في الجامعة، أو عضوًا في لجنتها العلمية لترقية الأساتذة.

وبجانب تعدد وسائل الشيخ الدعوية من خطابة ودروس ونداوت وتصنيف، أضاف -رحمه الله- وسيلة أخرى إلى منظومة وسائله في الدعوة والإصلاح، ألا وهي الصحف والمجلات، حيث أدرك الشيخ أثرهَا الكبير في التوجيه والتأثير، فطرق مَيْدَانَهَا واعتلى منْبَرَهَا بجملة وافرة من الكتابات والمقالات والتعقيبات.

ومن أكثر الصحف التي كتب فيها الشيخ.. الأهرام، آفاق عربية، الوفد، وثلاثتها صحف مصرية، **ومن المجلات.. الوعي الإسلامي (الكويت)، ومنار الإسلام (الإمارات)، والحج (السعودية).**

لقد مَنّ الله على الشيخ بحسن الخاتمة، حيث جاءت خاتمة أيامه السبعة مليئة بالأعمال الصالحة، وكما قال ابن كثير- رحمه الله-: من عاش على شيء مات عليه ومن مات على شيء بُعث عليه.

فقبل أسبوع من موته ظل الشيخ في بلدته فترة طويلة يصل الرحم، ويزور المرضى، ويواسي أهل من مات من أقربائه، ثم يعود إلى أسيوط يوم الجمعة ١٩/٢/٢٠١٠م.

وفي يوم السبت ٢٠/٢ استضاف الشيخ في منزله نفرًا من تلاميذه الذين لهم معه موعد دوري، يتضمن برنامجًا من العلم النافع والذكر، وفيه نزل الشيخ بنفسه ليشتري الفاكهة المتنوعة نظرًا لعدم وجود أحد من أبنائه في المنزل. وكنت واحدًا من الحضور يومئذ.

وقد شيع جنازته إلى مثواه الأخير زهاء الخمسة عشر ألف مشيع يدعون له بالرحمة والمغفرة.

فجزى الله الشيخ عن العلم وطلابه خير الجزاء، وأجزل له المثوبة والعطاء، وجمعنا به في دار كرامته ومستقر رحمته مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا.

* أستاذ في جامعة الأزهر

ندوة تطور العلوم الفقهية في مسقط

الفقه الحضاري.. فقه العمران

مصطفى عاشور

اختتمت في العاصمة العمانية مسقط أخيراً ندوة «تطور العلوم الفقهية.. الفقه الحضاري- فقه العمران» بعد أربعة أيام من الانعقاد، تم خلالها مناقشة ما يقرب من ٤٤ ورقة بحثية تناولت جوانب الفقه الحضاري وفقه العمران، واستعرضت خلالها محاور عدة تتعلق بالبيئة ونشأة المدن وطبيعة العلاقات بينهما. واعتبرت الندوة في توصياتها أن الفقه الحضاري في الرؤية الإسلامية لا يقتصر على الجوانب المادية والإنشائية فقط، وإنما يتخطاهما إلى الجوانب المعنوية، فيظلل العمران في الرؤية الإسلامية قيم العدل والإخاء والمساواة.

ورأت الندوة أن الإسلام فتح آفاق المسلم لرؤية الكون وعمارته، وأن تلك العمارة مؤسسة على نصوص الوحي والسنة، وأن الفقه الحضاري لا يستقيم عوده إلا بالرواء من ينابيع الدين الصافية.

وطالبت الندوة بإعداد مدونة واسعة عن الفقه الحضاري الإسلامي ومجالاته، كمسائل العمران والبيئة والمياه، وهو ما يسمح بتأسيس فقه مؤصل ومفصل في تلك المجالات على أيدي فقهاء محدثين يربطون الفقه الحضاري بالفقه الموروث وفق المذاهب المتعددة، تمهيدًا لوضع إطار مستقبلي لاستيعاب مستجدات الحياة المعاصرة.

ورأت الندوة ضرورة التأكيد على رؤية الإسلام العميقة والأصيلة المتعلقة بالحرية الفردية، ورؤية الإسلام التي تحفظ البيئة من التلوثات المختلفة، ولذا طالبت الندوة بالمساهمة في وضع حد لظاهرة الاحتباس الحراري والتصحر، مع الاهتمام بالتشجير، مع إحياء الآداب والأخلاقيات التي أرساها الإسلام في استعمالات الماء، مع وضع ميثاق أخلاقي لاستهلاك المياه، والاستفادة من الرؤى الفقهية في مجالات التقسيم

لكل حضارة طابعها الخاص والطابع المميز لحضارة الإسلام هو الطابع الأخلاقي

والاستثمار العقاري بما يخدم أهداف التنمية.

وأوصت الندوة بألا يقتصر دور المسجد على أداء العبادات فقط، بل من الضروري أن يشمل كل جوانب الحياة وأنشطتها، وهو ما يفرض أن يُراعى عند إنشاء المساجد أن يتم تزويدها بالمرافق والمساحات التي تخدم رسالتها.

وقد ناقشت الندوة التي استمرت أربعة أيام (١٨-٢١ ربيع الثاني١٤٣١هـ، ٣-٦ إبريل٢٠١٠م)، عددًا من المحاور منها: فقه المجتمع، فقه المهن وأربابها، فقه البيئة والكائنات، فقه الأسواق، فقه الطريق، وفقه المدينة والعمران؛ على اعتبار أن الإنسان مدني بطبعه، وهذه المدنية تفرض شبكة من العلاقات والحاجات، وهي أمور نظرت إليها الشريعة الإسلامية نظرة اعتبار وأولتها قدرًا من أحكامها، ورتبت جزءًا من أمورها.

وفي كلمته الافتتاحية للندوة أكد مفتي عمان فضيلة الشيخ أحمد بن حمد الخليلي أن لكل حضارة طابعها الخاص، وأن الطابع المميز لحضارة الإسلام هو الطابع الأخلاقي، ولذا كان عنصر الأخلاق واضحًا في كل تشريع.

أما رئيس اللجنة المنظمة ورئيس تحرير مجلة التسامح د.عبدالرحمن السالمي فأكد أن هدف الندوة إنتاج رؤية جديدة ووعي جديد بالعمران الحضاري في الرؤية الإسلامية كأحد السبل المطروحة للخروج من المأزق الحضاري الذي تعيشه الأمة الإسلامية، فالهدف ليس التمدح في الخبرة التاريخية الإسلامية في المجال العمراني.. وإنما تجديد الرؤية والعزيمة من أجل تواصل قوي وفعال بين الرؤية الإسلامية للعمران والعصر الذي يحيا فيه المسلمون.

ومن الأوراق التي ناقشتها الندوة ورقة المفكر اللبناني د.رضوان السيد بعنوان «مفهوم الفقه الحضاري.. الوظيفة والغاية»، وأشار إلى أن أول من تحدث عن فقه الحضارة والعمران البشري كان عبدالرحمن بن خلدون، وأن حالة الضعف والتراجع التي عاشها المسلمون في عصره دفعته إلى البحث عن علم جديد يدرس فيه قوانين وسنن الاجتماع البشري وتطور الحضارات، وكان هذا البحث «الخلدوني» فاتحًا لظهور علم العمران كعلم جديد بعيدًا عن علوم الكلام والفقه.

وحدد رضوان السيد ثلاثة أسس للفقه الحضاري الجديد هي:

ـــ المعرفة الشاملة بالحضارات والديانات وبحضارة العصر. وتجربة

• باحث وصحفي

المسلمين قديمًا وحديثًا.

ـــ القول بالاستخلاف والتكليف، بحيث يسعى المسلم للعمل على تحقيق المقتضيات والاستحقاق.

- القول بالحوار وتبادل التجارب والخبرات مع العالم الخارجي، تحقيقًا للتعارف والتكامل.

أما أستاذ القانون بجامعة الإسكندرية د.محمد كمال إمام في بحثه «الحسبة ودورها الرقابي» فأشار إلى أنه لا خلاف عند فقهاء جميع المذاهب الإسلامية على حرمة الحياة الخاصة، وأن الفقه الشرعي أقام بعض فروعه على أساس من هذه الحرمة، مثل وجوب الاستئذان، ولفت إمام النظر إلى ما أولته الشريعة الإسلامية من أحكام لحماية الحرمة والحرية الخاصة.

أما الفقيه السوري د.وهبه الزحيلي فقدم ورقة بعنوان «المصادر التشريعية لفقه العمران»، عرضت للمصادر العلمية لفقه العمران، وأورد ما يقارب من سبعين مصدرًا ومرجعًا في فقه العمران.

ورأى الأمين العام المساعد للمجلس الأوروبي للإفتاء د.عبدالمجيد النجار «في ورقته» «فقه المهاجرين في ظل التحديات المادية» أن تغير أهداف الوجود الإسلامي بالغرب من الهجرة إلى الاستقرار يوجب تطوير الفقه الإفتائي ليحقق أحكام الدين ومقاصده.

أما د.إبراهيم البيومي غانم، في ورقته « فقه إدارة المياه وحماية البيئة في الإسلام من خلال نظام الوقف»، فأشار إلى أن الماء ورد ذكره في حوالي خمسمائة آية من القرآن الكريم، وأن الفقه الإسلامي القديم قام بدوره كاملًا في مسألة المياه وحماية البيئة، أما الفقه الحديث فمطالب بالاجتهاد لإنتاج فقه حضاري يعالج مشكلات المياة، خاصة وأن المياه من قضايا الصراع الدولي في الوقت الحاضر

جانب من الندوة

ومن المحتمل نشوب حروب حولها.

وفي الندوة دار جدل فقهي بين د.عبدالمجيد النجار ود.وهبه الزحيلي حول الموقف الفقهي من بقاء السيدة حديثة العهد بالإسلام مع زوجها في حال إسلامها، حيث رفض الزحيلي تلك الفتوى، وأشار إلى أن المذاهب الفقهية الأربعة تؤيد التفريق بين المرأة التي تشهر إسلامها وبين زوجها غير المسلم، معتبرًا أن البقاء هو نوع من المخالفة الشرعية للنصوص القطعية في القرآن الكريم؛ في حين رأى النجار جواز بقاء المرأة التي تشهر إسلامها مع زوجها غير المسلم في الدول الغربية بشروط معينة، مراعاة للظروف الاجتماعية، وأشار إلى أن المجلس الأوروبي للإفتاء أقر تلك الفتوى، وأن تلك الفتوى مؤيدة بأقوال ١٣ فقيهًا من كبار فقهاء الإسلام الأوائل.

أما الطبيب خالص جلبي في ورقته «فقه أدب مهنة الطب» فأشار إلى أن الطب الحالي في الغرب مصاب بثلاث علل قاتلة هي: الروح العدمية، والمسار العبثي، والمصير الإلحادي، وأرجع تلك العلل إلى الدور الذي لعبته الكنيسة في فترات سابقة من التاريخ الغربي، فأنتجت تشوهات في فلسفة الطب وأخلاقياته.

أما المؤرخ المغربي د.عبدالهادي التازي فكانت ورقته بعنوان «نظم المدن الإسلامية»، وأكد أن بناء المدينة الإسلامية كان يستجيب لحاجات ساكنيها، فكان بناء المدينة جزءًا من بناء الشخصية والأخلاق والهوية؛ ومن ثم فتخطيط المدينة لم يكن عملًا ارتجاليًا ينجز دون رؤية وتفكير، فالبناء عمل يحتاج لدراسة مستقبلية، ويحتاج لمعرفة سائر الحاجيات اليومية والفصلية والموسمية، على صعيد الاقتصاد والصناعة والثقافة.

أما المفكر والفقيه السعودي عبدالله فدعق فكانت ورقته بعنوان «مقاصد الشريعة وحماية البيئة»، وطرح عددًا من المقاصد الشرعية في حماية البيئة على الجانبين الاجتماعي والثقافي، وأكد أن المحافظة على مكونات البيئة يعد أمرًا شرعيًا؛ حتى لا يحدث خلل في الكون، ودعى فدعق إلى تربية النشء على الوعي البيئي وتبصيره بحقيقة الموقف الإسلامي الأصيل من البيئة ورعايتها عبر وسائل التثقيف المختلفة، وإيقاظ الضمير الديني في رعاية البيئة.

صداع الشقيقة

- علاجه في الطب التقليدي والطب البديل -

أ.د عبدالقادر الحبيطي *

صداع الشقيقة (أو الصداع النصفي) يختلف عن الصداع العادي (وجع الرأس) بأنه صداع شديد يأتي للمصاب على شكل نوبة يصحبها الألم الشديد في جهة من الرأس على الأغلب ويسبقها إنذار يعرفه المريض المصاب ويختلف من مريض لآخر. فبعضهم يرى ومضات ضوئية تنذره بقرب النوبة الألمية التي غالبًا ما تكون معطلة للمريض عن عمله فلا يملك إلا الإخلاد للسكون والراحة والبقاء في غرفة معتمة، إذ يصبح الضوء العادي مصدر ألم للمريض أثناء نوبة الشقيقة في غالب الأحيان، وقد يسمع طنينًا أو ما يشبه صوت الجرس قبل النوبة وقد تترافق النوبة بألم حول العينين، كما قد تثير الدموع وفي بعضهم تثير الميل إلى القيء والتألم من الضوء ومحاولة البقاء في غرفة مظلمة وغالبًا ما يأتي الصداع على شكل نوبة قد تستمر قليلا ولكنها شديدة جدًا إذ تصيب نصف الرأس والوجه وتوصف بأنها شبيهة بالتيار الكهربائي، وفي هذه الحالة يكون مصدر الألم العصب مثلث التوائم وهو ألم عصبي المنشأ، كما أنه قد يترافق بألم وعائي المنشأ، وفي هذه الحالة يدوم لمدة أطول.

يتم تشخيص الشقيقة بملاحظة الأعراض التي ترافقها كخدر الأطراف وتصلب الرقبة واضطراب التوازن وضعف القدرة على الإبصار، وليس للتشخيص الشعاعي والمخبري دور في الكشف عن الإصابة بالشقيقة.

ومن الملاحظ أن نسبة النساء اللواتي تصيبهن الشقيقة أكثر من الرجال، كما يلاحظ أن حوالي (٩٠٪) من الإصابات ناجمة عن التوتر العاطفي النفسي Stress، وحوالي (٨٪) ذات منشأ وعائي، والباقي منها ناجم عن أسباب مختلفة وقد تكون بسبب إصابات عضوية. ونظرًا لاختلاف أسباب الإصابة فإن طرق المعالجة تختلف، وقد تفيد فيها العملية الجراحية أحيانًا. كما أن الطب التقليدي قد طور أدوية علاجية مختلفة للتغلب على نوبة الصداع، وتشمل المسكنات أو مضادات الالتهاب الستيروئيدية أو أدوية أخرى قد طورت خصيصًا للشقيقة. وبما أن النوبة التي تصيب المريض ناتجة عن التروية الدموية الزائدة للدماغ بسبب توسع الشريان الصدغي وزيادة جريان الدم فيه فإن مهمة هذه الأدوية هي إنقاص التروية الدماغية مما يؤدي إلى توقف نوبة الصداع عند استعمالها. ويرى بعض المختصين بالجراحة العصبية أن معالجة الصداع النصفي (الشقيقة) تسير في طريق خاطئ بسبب الاعتقاد (نظرية علمية) بأن توسع الأوعية الدموية داخل الدماغ يشارك في آلية حدوث الصداع.

وقد جعل هذا المفهوم (أو النظرية كما أسلفنا) شركات الأدوية الكيميائية تصدر الجيل تلو الجيل من أدوية الشقيقة التي تعمل بآلية التقبض الوعائي للتخلص من نوبة الصداع، متغاضين عن خطورة هذا النوع من الأدوية التي قد تسبب للمريض احتشاءً في العضلة القلبية Infarction إضافة إلى خطورتها على المرأة الحامل.

اكتشاف علمي جديد

وثمة اكتشاف علمي أوجد تغييرًا جذريًا في معالجة الشقيقة وهو أن الأوعية الدموية الخارجية أي خارج الدماغ (أي الأوعية الدموية الجلدية) هي فقط المسؤولة عن جميع أنواع الصداع النصفي بينما تشارك الأوعية الدموية داخل الدماغ في إحداث الأعراض الثانوية المصاحبة للصداع مثل الإقياء والعلامات العصبية المختلفة المذكورة آنفًا.

وقد توصل أحد الأطباء إلى اكتشاف نقطة محددة على أحد الشرايين في فروة الرأس كافية لإزالة الصداع بشكل كامل مع الأعراض المرافقة له عند الضغط المباشر بالإصبع فوق هذا الشريان وإغلاقه تمامًا علمًا بأن ربط أو إغلاق هذه الأوعية الجلدية لا يسبب أي مشكلة للمريض، وبناءً على اكتشافه هذا فقد بدأ هذا الطبيب بإجراء عمليات جراحية تتم بالتخدير الموضعي ولا تسبب أية أعراض جانبية وذلك لربط هذا الشريان، علمًا بأن الشريان الفرعي الذي يربط (أو يغلق) هو شريان جلدي سطحي فقط ولا يذهب إلى أية جهة سوى فروة الرأس، مع العلم بأن التروية الدموية في فروة الرأس وافرة جدًا بحيث لا يتأثر الجلد ولا الشعر مطلقًا من جراء ربط هذا الشريان. وكان العمل الجراحي الذي يقوم به هذا الطبيب كافيًا لإنهاء المعاناة من آلام الشقيقة ونوباتها.

وقد قام هذا الطبيب الموفق بتقديم هذا الإجراء الجراحي على شكل بحث إلى المؤتمر السنوي للجراحين العصبيين في الولايات المتحدة الأميركية عام ٢٠٠١ في مدينة سان دييغو تحت رقم (١٧٣) وتم قبول البحث وإجازته وإعطاؤه براءة اختراع خاصة سجلت باسمه لأجل بحثه المبتكر هذا.

القوس المعدني بدلًا من الجراحة

وبما أن كثيرًا من الناس يتخوفون من فكرة إجراء عمل جراحي في رؤوسهم فقد قام هذا الجراح بصنع قوس معدني يوفر إمكانية الضغط فوق الشريان المتوسع، ويجب على المريض ارتداؤه عند أول شعوره

* أستاذ في جامعة أم القرى سابقا

بإنذار حصول النوبة وبذلك يزول خوف المريض من قدوم نوبة الألم لسهولة التخلص منها.

وقد أدت هذه الطريقة الفذة إلى استغناء المريض عن تناول أي دواء مسكن أو دواء نوعي للشقيقة (وهي أدوية لها خطورتها كما أسلفنا) علمًا بأن هذا القوس لا يقتصر على إزالة صداع الشقيقة بل كل أنواع الصداع الوعائية المنشأ التي تتضمن:

الصداع العنقودي

صداع التوتر والإجهاد (مثل صداع الكمبيوتر وصداع السفر وصداع الشدة وغيرها...).

صداع التشنج العضلي القفوي التالي لمرض الديسك الرقبي.

ولهذا القوس المعدني نوعان:

النوع الأول: للصداع الأمامي من الرأس إذ يؤمن الضغط فوق المنطقة الخالية من الشعر بين صيوان الأذن وحافة الشعر، حيث يمر الشريان الصدغي السطحي وهو شريان جلدي يتفرع إلى فرعين يذهب أحدهما إلى الأمام وهو الفرع الجبهي، والفرع الآخر يكمل طريقه للأعلى ويدعى الفرع الجداري.

ولكي يزول الألم تمامًا يجب إغلاق الشريان قبل تفرعه أي في المنطقة التي تقع أمام فتحة الأذن الخارجية.

أما النوع الثاني من القوس: فهو للصداع الخلفي من الرأس حيث يؤمن الضغط فوق المنطقة التي تقع خلف الأذن بحوالي (٧) سم في الخط الوهمي الذي يصل أعلى صيواني الأذنين من الخلف، حيث يمر من منطقة النتوء العظمي للعظم القفوي من كل جانب، علمًا بأنه يمر من هذه المنطقة الشريان القفوي وهو

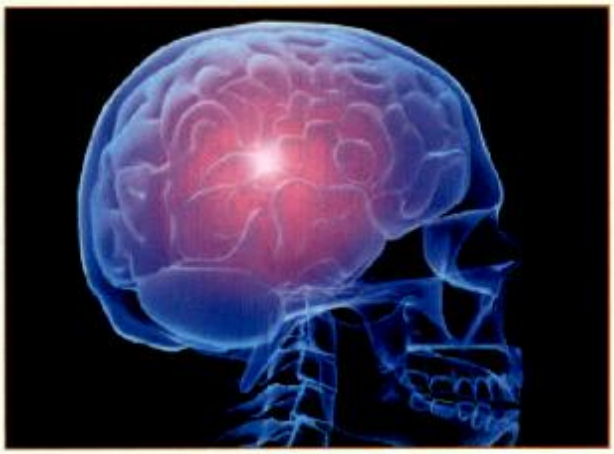

أيضًا شريان سطحي جلدي، ويؤمن الضغط فوقه وإغلاقه عند هذه النقطة زوالاً كاملاً للصداع في المنطقة الخلفية من الرأس. وقد صار استعمال هذا القوس شائعًا في أميركا الشمالية وفي أميركا الجنوبية أيضًا، بعد أن تبنت هذا النمط من العلاج بعض الهيئات الطبية المعنية بموضوع الشقيقة.

محاذير القوس المعدني

ومن المحاذير التي يجب مراعاتها عدم ارتداء القوس بشكل دائم وأثناء النوم، كما لا يسمح بارتدائه للأطفال دون الثامنة من العمر.

كما يجب ألا يكون الضغط الذي يطبقه القوس شديدًا مؤلمًا ولا ضعيفًا لا يؤمن الإغلاق التام للشريان المحدد.

الخاتمة

وفي خاتمة المطاف يبقى الاهتمام العلمي منصرفًا إلى البحث عن إمكانية الشفاء التام من هذا المرض المؤلم والمعقد سواء أكانت المعالجة جراحية أو فيزيائية أو دوائية ولا يزال البحث العلمي دائبًا بهدف التوصل إلى هذه الغاية المرجوّة، علمًا بأن رسول الله ﷺ قد بشرنا من قبل بأنه ليس ثمة داء إلا وله دواء عرفه من عرفه وجهله من جهله. وعلى الإنسان أن يبحث ويسعى للتوصل لدواء الداء وعندئذٍ يبرأ بإذن الله.

خبرة كاتب المقال

أعلمني ابني الذي يعمل في شركة للعمارة في جدة في ميدان البرمجة الهندسية أن مديره في الشركة مصاب بالشقيقة وأنه يبقى في كل نوبة ألم ٣-٤ أيام في المنزل ولا يستطيع أن يواجه الضوء. وقد ذهب إلى ألمانيا وبريطانيا للعلاج فلم ينل الشفاء الذي كان يرجوه. ومن وصف الأعراض علمت أن الشقيقة لديه من منشأ وعائي وليس من منشأ عصبي أو غير ذلك. ورأيت بناءً على ذلك أنه يمكن أن يستفيد من الحجامة إذا طبقت له بأصولها الصحيحة. فالرسول عليه الصلاة والسلام يقول بما معناه: «خير ما تداويتم به الحجامة».

ولما نقل ابني هذه المعلومة لمديره قال: أنىّ لي أن أجد أحدًا يطبق عليّ الحجامة بشكل صحي وعلمي؟ فالحجامة في هذه المنطقة يقوم بها البدو بطريقة بدائية وغير صحية.

وعندئذ أعلمه ابني أنّي أتقن إجراء الحجامة بشكل صحي وعلمي. ولما أخبرني برغبة مديره بأن أجري له الحجامة ذهبت من مكة إلى جدة حيث أجريت له الحجامة على منطقة الكاهل، وفي ذلك اليوم كانت قد بدأت معه نوبة ألم شقيقة شديدة حبسته في البيت في غرفة معتمة.

ولما كانت المحاجم تمتص الدم لأول مرة في ظهره انقشعت النوبة عنه وشعر براحة عجيبة فلم يملك نفسه من البكاء فرحًا، فقلت له: صل على هذا الرسول الكريم الذي حثنا على القيام بهذا الإجراء الصحي، على الأقل مرة واحدة في السنة، كإجراء وقائي من أمراض كثيرة وليست الشقيقة إلا واحدًا من هذه الأمراض.

ولقد انضم المدير فيما بعد إلى مجموعة من الموظفين في شركته الذين اعتادوا على إجراء الحجامة مرة في كل عام ولم تعاوده آلام الشقيقة ولا نوباتها بعد ذلك أبدًا.

وقد أحببت نقل هذه الخبرة العملية تكملة لموضوع الشقيقة، وهي تنتمي إلى مجموعة إجراءات الطب النبوي على صاحبه الصلاة والسلام، ولا أزال بعدها أوصي بالحجامة لعلاج الشقيقة وكثيرًا ما كانت الحجامة وحدها كافية للحصول على الشفاء التام (وليس في معالجة الأعراض فقط دون الشفاء كما تفعل الأدوية الكيمياوية الضارة).

هذا وقد أصبحت الحجامة تطبق في أقسام خاصة لبعض المستشفيات في أميركا وبريطانيا وفرنسا وبلجيكا، كما تستخدم لعلاج بعض الأمراض في الصين واليابان أيضًا.

إعداد: خالد خلاوي

الصبر.. سر النجاح

سأل شاب رجل أعمال عن سر نجاحه، فقال له: الصبر هو سرّ نجاحي، إنّ أيَّ شيء في الدنيا يمكن عمله، إذا تذرع الإنسان بالصبر، فقال الشاب: ولكن هناك أمور لا يمكن عملها، مهما كان الإنسان صبورا!

فقال رجل الأعمال: وما هي؟

قال الشاب: مثلا: نقل الماء في المنخل!

فردَّ عليه رجل الأعمال في الحال: حتى هذا يمكن عمله بالصبر، إذا انتظر الإنسانُ الماء حتى يجمدَ ويكون ثلجا.

ومن هذا الموقف نتعلم أن الصبر سفينة النجاح التي يجب أن يقودها ربان ماهر حتى ترسو على شاطئ التميز، والصبر على طريق النجاح يختلف بلا شك عن الصبر على البلاء، وإن كان كلاهما يحتاج إلى إتقان، فإتقان الصبر على البلاء أن يكون بلا جزع ولا شكوى، وهو ما سماه القرآن الكريم الصبر الجميل، أما الصبر على طريق النجاح فإتقانه يعني أن يواكب الصبر العمل الحثيث والإصرار على تحقيق الأهداف المنشودة مهما كانت العقبات والتحديات، وهذا ما عناه ديل كارنيجي بقوله: «الإنسان الذي يمكنه إتقان الصبر يمكنه إتقان أي شيء آخر»، ويقول بنيامين فرانكلين: «ما العبقرية إلا مقدرة طبيعية على الصبر»، وقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه:

إني رأيت وفي الأيام تجربة
للصبر عاقبة محمودة الأثر
وقلّ من جد في أمر يؤمله
واستصحب الصبر إلا فاز بالظفر

وقوة الصبر من قوة الإيمان وثقة العبد بربه وتوكله عليه، فالصبر مفتاح لكل خير، وهو خير ما يهبه الله لعبده، قال رسول الله ﷺ: «ما أعطي أحد عطاء خيرًا وأوسع من الصبر» (الجامع الصحيح: ١٤٦٩).

وقد ورد ذكر الصبر أكثر من تسعين مرة في القرآن الكريم، وذكرت كلمة الصبر بلفظها ١٠٢ مرة، قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ (الزمر: ١٠)، وأمر الله نبيه ﷺ بالصبر، وبشره وبشر الصابرين بالجزاء الحسن، فقال تعالى: ﴿فَاصْبِرْ إِنَّ الْعَاقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ﴾ (هود: ٤٩).

وكان سر تفوق وتميز قادة وعظماء الإسلام الصبر وتحمل المشاق حتى بلوغ الغاية، وكان لعلماء المسلمين صبر عجيب على طلب العلم وتعليمه، ولذلك نجحوا في إنجاز أعمال عظيمة، فهذا الإمام البخاري ظل ستة عشر عامًا يجوب البلدان ليجمع الأحاديث النبوية الصحيحة في كتابه المعروف «صحيح البخاري».

ويروي النووي في كتابه بستان العارفين عن أحد العلماء: «ولم أر ولم أسمع أحدًا أكثر اجتهادا منه في الاشتغال، كان دائم الاشتغال في الليل والنهار»، وقال: «جاورته، بيتي فوق بيته اثني عشر عاما، فلم أستيقظ في ليلة من الليالي في ساعة من ساعات الليل إلا وجدت ضوء السراج في بيته وهو مشتغل بالعلم، وحتى كان في حال الأكل الكتب عنده يشتغل فيها».

ويقول ابن الجوزي رحمه الله: «وإني أخبر عن حالي، ما أشبع من مطالعة الكتب، وإذا رأيت كتابا لم أره فكأني وقعت على كنز، فلو قلت إني قد طالعت عشرين ألف مجلد كان أكثر، وأنا بعد في طلب الكتب، فاستفدت بالنظر فيها ملاحظة سير القوم وقدر هممهم وحفظهم وعاداتهم وغرائب علوم لا يعرفها من لم يطالع».

ويقول الإمام ابن قيم الجوزية عن طلب العلم حتى في حال المرض: «وأعرف من أصابه مرض من صداع وحمى وكان الكتاب عند رأسه، فإذا وجد إفاقة قرأ فيه، فإذا غُلب وضعه، فدخل عليه الطبيب يوما وهو كذلك فقال: إن هذا لا يحل لك فإنك تعين على نفسك وتكون سببا لفوات مطلوبه».

والمطالع لسير العظماء من الشرق والغرب يجد الصبر رفيق نجاحهم، ودليل تميزهم، فهذا توماس إديسون قبل أن ينجح في اختراع المصباح الكهربائي فشل ٩٩٩٩ مرة، وعندما حاول من حوله أن يثبطوا من همته ولقبوه بأنه فاشل كبير كان دائما يقول: «أنا لم أفشل في شيء، وإنما اكتشفت ٩٩٩٩ طريقة لا تصلح لعمل المصباح الكهربائي».

ويقول إسحق نيوتن: «إذا كنت بالفعل قد توصلت إلى اكتشافات ذات قيمة، فإن مرجع ذلك الملاحظة الصبورة أكثر من أي موهبة أخرى».

ويقول ألبرت اينشتاين: «إنني أفكر وأفكر لأشهر وسنوات، وأصل إلى استنتاجات خاطئة في ٩٩ مرة، ولكنني أصل إلى الصواب في المرة المائة، فلا علاقة للأمر بالذكاء، بل بالقدرة على المثابرة مع ما أواجهه من إشكاليات».

ويقول الجيولوجي هيوميلر عن سر نجاحه: «إنني أنسب نجاحي- في البحث والتنقيب- إلى الصبر، الأمر الذي لا يستطيع أحد أن يجاريني أو يفوقني فيه، ولاشك عندي أن الصبر إذا استعمل حق الاستعمال نتجت عنه نتائج خارقة للعادة، لا يقدر على بلوغها إلا من كانت له موهبة خاصة».

والآن إليك هذه الوصفة لبلوغ الصبر، والتي كتبها خبير البرمجة اللغوية

العصبية د.إبراهيم الفقي في كتابه المفاتيح العشرة للنجاح:

دون أحد التحديات التي واجهتك.

دون خمس طرق يمكنك استخدامها للتغلب على هذا التحدي.

ابحث عن شخص ينال احترامك وتثق في خبرته وتعتقد أنه يمكن أن يساعدك في حل لمواجهة هذا التحدي.

قم بتقييم جميع الحلول الممكنة.

تصرف فورًا بالتزام وحماس قوي واصبر فمن الممكن أن تكون على بعد خطوتين من النجاح.

صور من حياة المتميزين

صبر الإمام أحمد بن حنبل

لقد ظهر اهتمام الإمام أحمد بن حنبل وحرصه على طلب العلم منذ الصغر، فقد حرص على حضور مجالس العلم، وصنع تميزه بالصبر على طلب العلم، وتحمل المشاق ومواجهة العقبات لتحقيق هدفه، ولم يترك فرصة تمر دون استفادة، شاغلاً وقته في طلب الحديث، ولقد تنقل الإمام أحمد كثيرًا في طلب العلم، فرحل إلى اليمن، ورحل إلى مكة وإلى البصرة وإلى الكوفة وبغداد والري، وروي أنه عمل حمالاً من بغداد إلى مكة حتى يأخذ حديثًا.

وضرب الإمام أحمد أروع الأمثلة في الصبر والثبات في محنته التي عرفت بفتنة خلق القرآن، وقد نجح في الدفاع عن كتاب الله تعالى، وجعله الله سببًا في حفظ كتابه الكريم من عبث العابثين، فقد عاش الإمام أحمد في عصر المأمون وكانت صولة المعتزلة وجولتهم في أعلى ذروتها في هذا العصر، وقالوا بخلق القرآن، أي إن القرآن حادث مخلوق، وليس كلام الله الأزلي القديم، وتبنى المأمون هذا القول. وفي سنة ٢١٨ هجرية أرسل كتابا إلى نائبه في بغداد، وهو إسحق ابن إبراهيم، يأمره بجمع كل العلماء من أهل السنة وتهديدهم بقطع أرزاقهم ومنع الجراية عنهم إن هم رفضوا هذا القول، وكان الإمام أحمد من بين الثلة التي رفضت ولم تتراجع، فقيدوا جميعا بالأغلال وذهب بهم إلى طرطوس وفي الطريق تراجع البعض خوفا ومات البعض الآخر، ولم يبق إلا الإمام أحمد الذي جاءه خادم المأمون وقال له: إن المأمون أقسم على قتلك إن لم تجبه، ولكن الإمام أحمد رفض التراجع عن الحق، وتوفي المأمون قبل أن يصل الإمام أحمد إلى طرطوس فأعيد إلى بغداد وأودع السجن، وظل في السجن في عهد الخليفة المعتصم ثم الخليفة الواثق، وكان يضرب ويعذب فصبر على ما أوذي حماية لكتاب الله تعالى، وحتى لا يضل الآلاف من تلامذته ومحبيه الذين سيقولون بقوله إن وافق على قول المعتزلة، وظل في سجنه حتى جاء عهد المتوكل وكان محبا لأهل السنة فأطلق سراح الإمام أحمد وأكرمه.

كلمات في التميز

لكل شيء جوهر وجوهر الإنسان العقل وجوهر العقل الصبر.

الحارث المحاسبي

الصبر صبران.. أحسنهما أن تصبر على ما ترجو فيه الغنم في العاقبة.

الجاحظ

الوهم نصف الداء، والاطمئنان نصف الدواء، والصبر أول خطوات الشفاء.

ابن سينا

بالتقوى تبلغ ما تريد وبالصبر يلين لك الحديد.

حكيم

أصبر الناس من كان رأيه رادًا لهواه.

معاوية بن أبي سفيان

الصبر والتحمل أول شيء يجب على الطفل تعلمه، وهذا هو أكثر شيء سيحتاج لمعرفته.

جان جاك روسو

صبر الحازم تجلد، وصبر العاجز تبلد.

أحمد شوقي

يسلم الإنسان من العيوب إذا كان الصبر قائده والعقل أميره والشكر رائده.

حكيم

خطأ وتصحيح

يرجى الانتباه إلى أنه قد وقع خطأ مطبعي وهو نسيان لفظ الجلالة بالآية (٧١) من سورة التوبة بمقال الرقابة في الإسلام رباعية الأبعاد ص ٦٠ في استشهاد الكاتب الموقر بالآية الكريمة ﴿والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة ويطيعون الله ورسوله أولئك سيرحمهم الله إن الله عزيز حكيم﴾ (التوبة: ٧١) في العدد ٥٣٥ ربيع الأول ١٤٣١هـ مارس ٢٠١٠م.

أحمد عبدالرحيم العايدي

المحرر: شكرًا على ملاحظتكم ونأمل من الإخوة القراء أن يكونوا دائمًا عونًا وسندًا لنا .. وصدورنا مفتوحة لكل الملاحظات والآراء والمقترحات.

كيف ترضى لنفسك أن تكون رقما في الهامش؟

كل فرد قد خلق لمهمة خاصة غير المهمة العامة والتي هي العبادة المطلقة لخالق هذا الكون- رب العالمين- والمهمة الخاصة هي لرجل الدعوة وجندي الفكرة، أي المهمة الدعوية، وتتفاوت درجات الاهتمام بتلك المهمة من فرد لآخر تبعًا لعوامل عديدة منها الإحساس بالمسؤولية وأثر المردود التربوي للوسائل التربوية والمعايشة والرغبة في الثواب وعوامل أخرى كالرغبة في الإنجاز.

والجماعة ما هي إلا مجموعة من الأفراد لديهم هذا التفاوت في التعامل مع المهام المنوطة بهم، وعلى الرغم من هذا الاختلاف الذي يبدو واضحًا إلا فإنك تجد تلك اللحمة الشديدة في العلاقات الإنسانية الرحيمة التي تبدو بين أفراد الصف وتلحظها على قسمات الوجه والسمت الجميل الذي يبدو على المحيا من خلال البسمة- تبسمك في وجه أخيك صدقة- وهذه الروح تخفف وتسدد وتقارب وتضحي وتسد الثغرة حتى لو كان ذلك رفع حجر من الطريق وتبذل كل ذلك ابتغاء مرضاة الله والتفاوت بين الأفراد إنما هو سنة واقعية، لذا يجب حسن التعامل مع هذه الطبيعة المتفاوتة بين الأفراد حتى لا تتفرط حبات العقد بمشكلة هنا وأخرى هناك ثم نقضي الليالي الطوال في إزالة رواسب النفس وهذا السلوك يؤخر عن الهدف الكبير العظيم.

وواجب علينا أن نتعامل مع كل فرد من خلال مدخله النفسي حتى يسهل علينا أن نملك مفاتيح القلب، ولا يجب النظر إلى الجميع على أنهم فرد واحد، فهذا خطأ جسيم لأننا نوحد ونجمد ونختزل تلك المسافات الشعورية لآلاف الأفراد في قرار أو تكليف أو مهمة.

إن التعامل مع الكل ككتلة واحدة فقط يكون في التعامل مع الثوابت الشرعية التي لا يحق لفرد مهما كانت ظروفه أن يتنازل أو يكسل أو يفرط فيها كالصلاة مثلا فيجب على المسلم أن يصلي مهما كانت ظروفه المرضية، لذا شرعت صلاة السفر وصلاة الخوف والحرب والجمع بين صلاتين لعذر كالمطر.

أما فيما يخص التكاليف الدعوية التي يجري عليها التطور والتغيير بتغير المكان والزمان والظروف فيجوز فيها أن ينزل التكليف على حسب ظروف ومعطيات الفرد حتى لا نشق عليه ونحرجه، ومن الحكمة أن يكون التكليف البشري الدعوي مراعيًا ظروف الفرد قدر المستطاع.

ومن هذا المنطلق كان لزامًا على الأفراد أن تكون لديهم همة وعزيمة تساعد على إنجاز المهام العامة والخاصة.

والفرد صاحب الهمة سريع الوصول والحصول على المطلوب ما لم تعقه العوائق وتقطعه العلائق، وهذا الفرد صاحب الفكرة الناضجة في النفس رقم فاعل ومؤثر وله كيانه الخاص، وله رأيه الذي يحترمه الآخرون. وله نشاطه وحركته التي تجعله في المقدمات يوجه وينصح ويشير ويبعث الروح في المجموع وهذا الرقم يحسب له الآخرون حسابًا هاما من التقدير والاحترام لإخلاصه وصوابه وشجاعته وإقدامه وتفانيه وكل صفة من هذه الصفات لها علامات يدركها ويلمسها الجميع ممن يحسنون فهم الآخر، والرقم الفاعل هو من يؤثر في الأرقام من حوله القسمة والضرب والجمع وحتى الطرح.

والرقم الحسابي له دلالات مجردة، أما الفرد في الدعوة فهو رقم فيه الحياة ويتحرك في كل اتجاه.

والهوامش هي بمنزلة اختزال لمجموعة من الأرقام رضيت لنفسها أن تكون بعيدة عن دائرة الضوء وليس زهدًا في الشهر، والزعامة ولكن زهدًا في العمل وارتاحت لذلك وقنعت بالقليل وضربت بالطموح عرض الحائط واعتمدت على رصيد الماضي ونسيت أن لكل أوان أعماله ونسيت الختام النهائي وأن الواحد سيبعث على ما مات عليه، فهل نرضى لأنفسنا أن نموت ونحن في الهامش لا يعلم عنا أحد شيئًا.

والتغيير كلمة نرددها لأنها صارت في الواقع حقيقة ومن أصول ثقافة الحاضر، لكن آليات التغيير مازالت غامضة عند الكثيرين من سكان الهوامش.. تلك الأرقام التي رضيت لنفسها الكسل والقعود أزمنة متوالية.

والواقع الذي نحياه سريعة ومتلاحقة أحداثه فلم يعدلدينا وقت نضيعه أو جهد ندخره أو مال نبخل به فقاموس ثقافتنا فيه: وسارعوا - وسابقوا- وأنفقوا...

فنريد أن نخرج تلك الأرقام الهامشية من مكمنها حتى تصير من أصحاب المهام الصعبة حتى تقترب ساعة الحسم وتنال شرف شهود مرحلة التتويج.

محمد أبوعيد

الوشم

عن ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ لعن الواصلة والمستوصلة والواشمة والمستوشمة (رواه البخاري ومسلم).

١- الوشم هو أن يغرز الجلد بإبرة أو نحوها حتى يسيل الدم ثم يحشى كحلاً أو غيره حتى يخضر أو يسود.

٢- النمص هو إزالة شعر الوجه بالمنقاش وقيل يختص بإزالة شعر الحاجبين لترفيعهما أو تسويتهما.

٣- الفلج هو انفراج ما بين الثنيتين والتفلج أن يفرج بين المتلاصقتين بالمبرد أو نحوه وهو مختص عادة بالثنايا والرباعيات.

٤- الواصلة هي التي تصل الشعر بشعر آخر سواء كان لنفسها أو لغيرها.

٥- المستوصلة هي التي تطلب فعل ذلك ويفعل بها.

محمد خالد عبدالله

الخط العربي

الخط العربي لسان لغتنا العربية الجميلة، ويدها التي تبدع، ومرآتها التي تعكس ماضيها على صفحة حاضرها جيلاً بعد جيل، ولم يكن يوما ما مجرد زخرفات شكلية أو لوحات فنية فحسب، بل بات الوعاء الثري لهذه اللغة ووسيلة ابلاغها ويحمل معانيها الزاخرة من الفكر والمعرفة، ويعكس بجلاء جوانب الشخصية السوية ويعبر عن الوجدان الأصيل، ومن هنا تأتي شدة ارتباطه الوثيق بلغته الأم (اللغة العربية).

ولما كانت الكتابة إرثا حضاريًا ومعجزة بيانية بها كتب القرآن الكريم أصبح لزامًا على هذه الأمة شأنها شأن كل الأمم أن تضع هذا الفن في مصاف الفنون الراقية.

والخط العربي علم وفن له قواعد وأصول وهو من أصعب الخطوط في رسمه لأنه لا يلزم صورة واحدة مثل حروف كثيرة من اللغات الأخرى، ومن ثم فإن الخط العربي بمعناه الفني يحتاج إلى دربة كبيرة أو مهارة أصلية. فهو كالشعر لا يمارسه إلا من وهب الملكة، وهو ثوب قشيب يزين أوجه المكتوب من اللغة كما يزين جمال اللغة وسلامة الوجه المنطوق فيها.

زين محمود عبدالوهاب

لماذا تكذب؟

لكي يكذب الإنسان يحتاج لقدرات ذهنية.. تفكير جيد وذاكرة قوية ومنطق متطور وخيال واسع وتبريرات جاهزة، وقدرات نفسية وانفعالية ليتحكم بمشاعره وتعابير وجهه وتصرفاته ويكيفها حسب الوضع الذي يخلقه عندما يكذب، وهذه القدرات اللازمة للكذب يجب ان يرافقها استعداد الشخص أخلاقيًا وتربويًا للكذب.

وبشكل عام فالضعيف والشخص الذي قدراته محدودة يكون لديه دوافع أكثر للكذب، بعكس القوي الذي يملك الكثير من القدرات تكون دوافعه للكذب أقل، وهذا ليس صحيح دومًا، والكذب صفة لدى غالبية الأطفال، وإن كان طبيعيا في صغار السن نتيجة الغموض القائم في أذهانهم وعدم التمييز بين الحقيقة والخيال، وفي كيفية تطور الكذب عند الطفل يقول الخبراء: في عمر ثلاث أو أربع سنوات يكتشف الولد أن هناك خيارًا جديدًا في الحياة، وهو أنه يستطيع ألا يقول كل شيء! بعدها يكتشف أنه بإمكانه أن يقول أشياء غير موجودة (مثل اختراع القصة) فإن الانتقال من الاكتشاف الأول إلى الاكتشاف الثاني مرتبط بشكل وثيق جدا بتطور النطق، فالكذب عند الطفل هو تأكيد له أن عالم الخيال الداخلي يبقى له هو وملكه الشخصي، من هنا تأتي رغبته ألا يقول كل شيء وأن يخفي بعض الأشياء عن الآخرين، وبما أن الطفل في هذه المرحلة، لا يملك القدرة الذهنية لتمييز العالم الحقيقي من العالم الخيالي، آخذين بعين الاعتبار النمط السريع لتطور النطق المرافق لهذه المرحلة، نفهم لماذا يستمتع الطفل باختراع وتأليف القصص أمام الآخرين، لكن في عمر ست وسبع سنوات، يبدأ الولد بالتمييز بوضوح بين الصحيح والخطأ في محيطه، وهذا أمر طبيعي في مجرى التطور الأخلاقي عند الإنسان، ففي مثل هذا العمر تترسخ الأخلاق والقيم الاجتماعية الصالحة بشكل وطيد، وهكذا يتعلم الطفل من ناحية أن قول الحقيقة شيء مرغوب فيه اجتماعيًا، ومن ناحية أخرى يتعلم أن الكذب قد يساعده في الدفاع عن نفسه في ظروف معينة، والطفل يتعلم الصدق من المحيطين به إذا كانوا يراعون الصدق في أقوالهم وأعمالهم ووعودهم، والطفل الذي يعيش في بيت يكثر فيه الكذب لاشك أنه يتعلمه بسهولة، خصوصًا إذا كان يتمتع بالقدرة الكلامية واللباقة وخصوبة الخيال، لأن الطفل يقلد من حوله، والكذب سلوك مكتسب، وليس سلوكًا موروثًا، وهو عند الأطفال أنواع مختلفة تختلف باختلاف الأسباب الدافعة إليه.

عادل سعد عبيد

إعداد: هالة محمد

الجينات وأنماط الحياة

قال العلماء المسؤولون عن واحد من أكبر المشاريع الصحية في التاريخ إنهم على وشك الوصول إلى هدفهم الرامي لحشد نصف مليون شخص متبرع للمشاركة بدراسة حول الجينات وأنماط الحياة والصحة. وقد أعرب البنك البيولوجي البريطاني (يوكي بيوبانك) عن أمله أن تساعد التجربة في إيجاد سبيل ناجع لمنع الأمراض الخطيرة مثل السرطان والتهاب المفاصل وذلك من خلال معرفة سبب إصابة بعض الأشخاص بهذه الأمراض بينما لا يصاب بها آخرون.

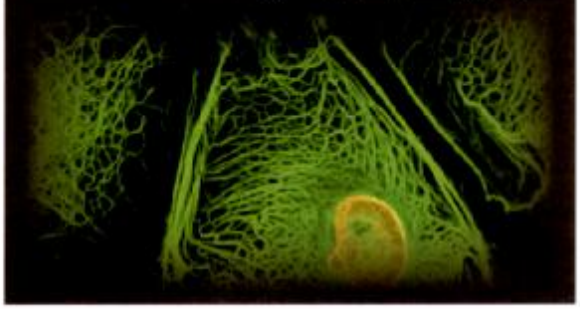

المنشطات سم قاتل

أكدت دراسة علمية أن نسبة ٧٠ في المائة من حبوب تضخيم العضلات أو تنشيف الدهون من الجسم وتخسيسه يتم تسريبها وتداولها في السوق السوداء عبر عملاء ومهربين.

وتشير الدراسة - التي أجراها المدرب اللبناني والبطل العالمي في التايكوندو أمين ديب بالتعاون مع الدكتورة جانيت ناصيف - إلى أن نسبة ٢٣ في المائة من هذه العقاقير يتم تناقلها وبيعها عبر أندية رياضية، ونسبة ٧ في المائة منها يتم بيعها سرا في صيدليات غير قانونية.

وأكدت الدراسة أن هذه الأدوية تتسبب بالموت المفاجئ لمئات الشباب نتيجة جلطات قلبية ودماغية، فضلًا عن تسببها بأمراض سرطانية، وفي الكبد والكلى، واعتبرت أن خطر الهورمونات والمنشطات على الصحة يوازي خطر المخدرات.

الماء على سطح الأرض.. من أين؟

وجد العلماء أدلة جديدة تشير إلى أن الماء وصل إلى الأرض عن طريق سقوط كويكب فوقها خلال السنوات المبكرة من عمر مجموعة النظام الشمسي. وجاء هذا الدليل بعد اكتشاف فريقين علميين كانا يعملان بشكل مستقل عن بعضهما الكويكب «المبلل» مما يفتح الباب واسعًا لأول دليل اختباري عن لغز قديم ظل يحيط بأصل الماء على سطح الأرض. ويرى العلماء أن الأرض تشكلت أولا عاقرا وخلال فترة تعرضت لقصف مكثف بالشهب والكويكبات، حيث وقع قبل فترة زمنية تتراوح ما بين ٤,١ مليارات و ٣٨ مليار سنة وإن من الممكن أن تكون هذه الأجسام قد جذبت معها المياه. وظل هناك اعتقاد سائد أن هذه الكويكبات التي سقطت على الأرض آنذاك قد جفت الآن.

جديد الثورة التقنية

يستطيع عقل القطة التعرف على الوجوه بشكل أسرع وأكثر كفاءة من الحاسوب العملاق، لذلك تم اتخاذ هذا العقل كنموذج لمشروع الكمبيوتر البيولوجي الذي تعمل عليه حاليا جامعة ميتشغان.

فقد قام مهندس الكمبيوتر، وي لو، بالخطوة الأولى نحو تطوير هذا النوع من الحواسب، الذي يعد ثورة في عالم التقنية، إذ يمكنه التعلم والتعرف على الاشياء والأشخاص، كما انه قادر على اتخاذ قرارات معقدة وأداء مهام أكثر بكثير من المهام التي تؤديها الحواسب العادية.

واستطاع وي لو أن ينشئ وحدة بيولوجية لتحل محل الترانزيستور العادية، أطلق عليها اسم (MEMRISTOR) وهذه الوحدة لديها القدرة على تذكر الفولتات الكهربية التي تعرضت لها، ثم قام بإثبات أن تلك الوحدة من الممكن ربطها بالدوائر التقليدية لتدعيم العمليات التي هي أساس الذاكرة والتعلم في النظم البيولوجية.

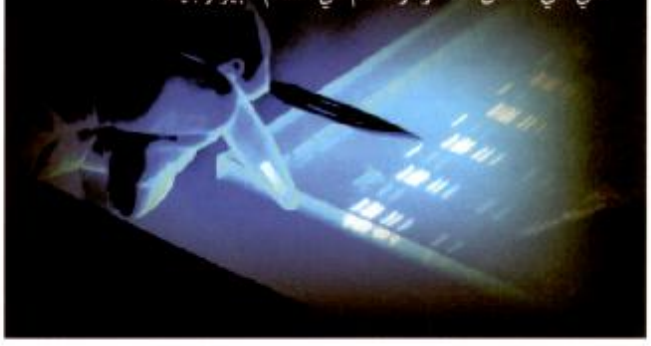

عصفور الزيبرا مثل فريد لعلم الخلايا العصبية

للمرة الأولى تمكن علماء من فك الشيفرة الجينية لطائر مغرد وتعرفوا على أكثر من ٨٠٠ جين لها صلة بتعلم الغناء وذلك في اكتشاف ربما يلقي الضوء على الاضطراب في النطق والتحدث لدى الإنسان.

وتتعلم عصافير الزيبرا الصغيرة الغناء عمليا بالطريقة نفسها التي يتعلم بها الأطفال من بني البشر التحدث، عن طريق تقليد اقرانهم الأكبر سنا، وهو ما يعني أن الطائر الصغير هو مثال جيد لفهم كيفية تعلم البشر.

وعصفور الزيبرا الاسترالي الذي يزن أقل من نصف أوقية (١٤ غرامًا) هو ثاني طائر فقط يتم وضع الخريطة الجينية له بعد الدجاجة في ٢٠٠٤.

وصغار العصافير- مثل أطفال بني البشر- تبدأ بإصدار أصوات غير مفهومة قبل أن يتعلم صغار الذكور تقليد غناء آبائهم، وفي النهاية ينقلونه إلى الجيل التالي، ولأنها تتعلم بمثل هذه الطريقة التي يمكن توقعها والكثير من جيناتها توجد أيضا في البشر، فإن

العصافير يمكن أن تقدم نافذة على أسباب اضطرابات التحدث مثل مرض التوحد (أوتيزم) والجلطات والتهتهة ومرض باركنسونز (الشلل الرعاش).

وقال فريق من العلماء الدوليين يقوده ويس وارين من مركز خرائط الجينوم بجامعة واشنطن في دورية «نيتشر» إن هذا يجعل من جينوم عصفور الزيبرا «مثيلا فريدًا لعلم الخلايا العصبية البشرية».

جين الوزن مسؤول عن انكماش الدماغ

وجدت دراسة جديدة أن أكثر من ثلث الأميركيين معرضون للإصابة بأمراض مثل الزهايمر بسبب جين يزيد خطر البدانة وله علاقة بانكماش الدماغ، وقال الباحثون في جامعة كاليفورنيا إن جين «إف. تي. أو» يزيد خطر زيادة الوزن وفي الوقت نفسه له علاقة بانكماش الدماغ.

قنوات فضائية بكابلات الطاقة المنزلية

طورت شركة «ويفولو» الألمانية المتخصصة في إنتاج شبكات الطاقة والأجهزة الكهربائية نظامًا جديدًا لبث المحطات التلفزيونية من خلال كابلات الطاقة فحسب، ويستقبل النظام الجديد (لان. تي. في. سات) ١٣٠٠ «انش دي» إشارات المحطات التلفزيونية التي تبثها الأقمار الصناعية ذات الصورة العالية وتستخدم شبكة تغذية المنزل بالطاقة في عملية توزيع الإشارة من طبق استقبال اشارات القمر الصناعي لجهاز الاستقبال، ما يعني أن المستخدم يمكنه الاستغناء عن كابلات التوصيل الخاصة بنقل الإشارة.

من هنا وهناك

● ارتفع عدد التشيك الذين اشتروا أراضي على سطح القمر إلى عشرين ألف شخص فيما وصل العدد في سلوفاكيا المجاورة الى خمسة آلاف، الأمر الذي يجعل أرباح ما يسمى بالسفارة القمرية الخاصة بالبلدية والتي تتخذ من براغ مقرًا لها تتنامى.

● أصبحت الاماراتية إلهام القاسمي أول سيدة تقف على رأس العالم بكل ما في الكلمة من معنى بعد أن أصبحت أول عربية تصل الى القطب الشمالي.

● كشفت دراسات حديثة أن الزلزال العنيف الذي ضرب تشيلي في أميركا الجنوبية في فبراير الماضي بقوة ٨,٨ درجات على مقياس ريختر قد أبطأ هامشيا من سرعة دوران الأرض وزاد طول اليوم بما يعادل ٣,٠ ميكرو ثانية، وجاءت النتيجة خلاصة لقياسات قام بها خبراء من معهد فيينا الجيوفيزيائي لقياس الأرض لمنطقة (كونسبسيون) ثالث أكبر مدن تشيلي والمدن المحيطة بها قبل وبعد الهزة المدمرة الأعنف منذ عقود.

● قال علماء آثار إنهم عثروا اخيرًا على بقايا سفينة النبي نوح عليه السلام على ارتفاع ١٢٠٠٠ قدم فوق أحد الجبال التركية (جبل أرارات) وفقًا لما أوردته كبريات الصحف العالمية، وتجدر الاشارة الى انه تم ذكر سفينة نوح في الكتب المقدسة (التوراة والانجيل والقرآن) لكن العلماء لم يعثروا على شيء حتى تاريخ إعلان العثور على تلك البقايا أخيرًا على جبل أرارات التركي.

● في إطار الاحتفال باليوم الاربعين للأرض نظم رجل الأعمال الأميركي دافيد روكفلر وزوجته مزادًا خصص دخله لانقاذ الكرة الأرضية من الملوثات البيئية التي لحقت بها.

فتاوى لجنة الفتوى في وزارة الأوقاف الكويتية

لاشك أن التجدد ومسايرة العصر من خصائص الرسالة الإسلامية الخالدة والصالحة لكل زمان ومكان، وهو لازم من لوازمها، وضمان لبقاء قدرتها على التكيف مع متغيرات الزمان والمكان، والاستجابة لمتطلبات المسيرة الإنسانية المتواصلة وحركة الحياة المستمرة في كل عهودها ومجتمعاتها ومعطياتها المختلفة بمعين لا ينضب وعطاء لا يتوقف، ومن مقتضيات الفقه لتحقيق تلك المقاصد عدم الجمود عند موقف واحد دائم في الفتوى أو التعليم أو التأليف والتقنين، بل ينبغي مراعاة مقاصد الشريعة الكلية وأهدافها العامة عند الحكم في الأمور الجزئية الخاصة.

د. عثمان عبدالرحيم
إمام وخطيب في وزارة الأوقاف

D_othman71@hotmail.com

تصوير الصحابة والجنة

فتوى رقم (٥٢١٨)

ورد إلينا كتاب يحوي صورة ترمز إلى الجنة بصورة محسوسة من صور الدنيا، وأخرى للصحابة، لذا نرجو إفادتنا عن الفتوى الشرعية لمثل هذه الصور.

أجابت اللجنة بما يلي:

لا مانع من نشر هذه الصور للصحابة- رضي الله عنهم- ما دامت ليست للخلفاء الراشدين وأمهات المؤمنين، وليس فيها ما يدل على امتهان أحد من الصحابة الكرام أو غيرهم، ولأن فيها مصلحة مشروعة للأطفال.

أما صور الجنة فنحن لا نرى جواز نشرها: لأنها صورة لا توحي بعظم الجنة التي عرضها السموات والأرض، ولأنه لا يمكن إعطاء صورة مقاربة عن الجنة مهما بذل في ذلك من جهد: لأنها من الغيبيات، وفيها ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر.

سكتة الإمام

فتوى رقم (٥٢٢٦)

هل يجوز للإمام أن يسكت بعد قراءة الفاتحة ليقرأ من خلفه الفاتحة؟ وهل فعل رسول ﷺ ذلك؟

ذهب الشافعية والحنابلة إلى أنه يستحسن للإمام أن يسكت بعد قراءة الفاتحة والتأمين قدر قراءة المأموم الفاتحة، وذلك في الصلاة الجهرية، ليتمكن المأموم من قراءة الفاتحة مع الإنصات لقراءة الإمام.

وذهب الحنيفة والمالكية إلى أنه لا يستحب له ذلك.

وأما بخصوص فعل رسول ﷺ فقد روى ابن ماجة أن سمرة رضي الله عنه حدث: «أنه حفظ عن رسول الله ﷺ سكتتين: سكتة إذا كبر، وسكتة إذا فرغ من قراءة غير المغضوب عليهم ولا الضالين، فأنكر عليه عمران، فكتبنا في ذلك إلى أبي بن كعب رضي الله عنه فكان في كتابه إليهم: أن سمرة فقد حفظ».

قال أبوسلمة بن عبدالرحمن: للإمام سكتتان، فاغتنموا فيهما القراءة بفاتحة الكتاب: إذا دخل في الصلاة، وإذا قال ولا الضالين. والله أعلم.

صرف الزكاة في إعلانات توعوية

فتوى رقم (٢٠٢٩)

السؤال الأول: هل يجوز الصرف من أموال الصدقات والزكاة العامة، والتي لم يحدد أصحابها جهة صرفها، على الإعلان التوعوي (إعلان التوعية الصحية والإسلامية المتعلقة بأهداف الصندوق)؟

السؤال الثاني: هل يجوز الصرف من أموال الصدقات والزكاة العامة، والتي لم يحدد أصحابها جهة صرفها، على الإعلان الدعائي (إعلان الدعاية عن أنشطة الصندوق)؟

صرف أموال الزكاة محدد بنص القرآن الكريم في ثمانية مصارف، بينتها الآية الكريمة، وهي قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَابْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةً مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ (التوبة: ٦٠)، وليس الإعلان والتوعية المستفتى عنهما في الفقرتين الأولى والثانية من استفتائكم واحدًا منها، أما الصدقات العامة المطلقة غير المحددة المصرف فيجوز صرفها على الإعلان التوعوي والدعائي على قدر الحاجة الماسة، بما لا يضر بمصالح المستحقين الآخرين لهذه الصدقات.

تغطية القبور بالإسمنت وذكر معلومات عن المتوفى

فتوى رقم (٥٣٠٢)

ما حكم تغطية القبر بالإسمنت «الصبة»؟ وما حكم كتابة الاسم وتاريخ الوفاة مع ذكر لفظ شهيد أو مرحوم، وكتابة آية قرآنية للتبرك بها؟ وهل تجب الإزالة على القائمين على شؤون إزالة ما يخالف الشريعة الإسلامية؟

إن مبدأ إعلان الناس عن القبر وصاحبه أمر مشروع؛ لأن رسول الله ﷺ وضع بيده الشريفة حجرًا على قبر عثمان بن مظعون رضي الله عنه وقال: «أعلم بها قبر أخي، وأدفن إليه من مات من أهلي» (رواه أبوداود)، وبناء على ذلك يجوز أن يكون الإعلام بالكتابة بذكر صاحب القبر وتاريخ وفاته ونحو ذلك من البيانات الأساسية التي قد يحتاج إليها، ولا يبالغ في ذلك، ويجب الحرص على ألا يكتب شيء من القرآن الكريم تنزيهًا له عن الابتذال، أما تغطية القبر بالإسمنت فلا مانع منها على ألا يزيد ارتفاعه عن الأرض أكثر من شبر، ولولي الأمر أن يطلب من أقارب الموتى إزالة ما على قبور أقاربهم من أبنية اسمنتية أو غيرها مما يزيد على المسموح به شرعًا، وأن يمهلهم مدة كافية لذلك، فإن مضت المدة دون إزالة كان لولي الأمر إزالتها.

تزوج دون إذن والديه

فتوى رقم (٥٣٩٣)

حضر إلى اللجنة السيد: يوسف، ومعه زوجته السيدة: لطيفة، وقدما الاستفتاء التالي:

ما الحكم فيمن تزوج بغير رضا الوالدين؟ وهل يأثم إن طلبا أن يطلقها فلم يفعل؟ وهل يعتبر ذلك عقوقا؟

إذا كانت الزوجة من ذوات الدين والخلق ولا يوجد ما يوجب طلاقها فلا يجب ولا يجوز للزوج طلاقها ولو طلب منه أبوه ذلك، وليس ذلك داخلًا في عقوق الوالدين؛ لأن الطلاق بغير مبرر ممنوع شرعًا، لحديث النبي ﷺ: «أبغض الحلال عند الله الطلاق» (أخرجه أبوداود وابن ماجة والحاكم وصححه البيهقي). وللقاعدة الفقهية الكلية: لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق. والله أعلم.

وقد نصحت اللجنة المستفتي باسترضاء والديه والتقرب إليهما وطاعتهما في المعروف، ونصحت الزوجة بارتداء الحجاب الإسلامي والالتزام بضوابطه امتثالًا لشرع الله تعالى، ولعل الله أن يزيل هذا التوتر ببركة الامتثال لشرعه وطاعته.

التكسب بحلق اللحى

فتوى رقم (٥٤٨٣)

سألني رجل يريد أن يفتح صالون حلاقة للرجال فقال: إذا جاءني من يريد أن يحلق لحيته أفأحلقها له ولا إثم علي؛ لأنني أقوم على مصلحة معاشي وتحسين دخلي، ويكون إثمه عليه وحده لأنه الراغب في ذلك- أي بالحلق-؟ أم كلانا آثم، ولا يجوز لي أن أحلق لأحد لحيته فأسد على نفسي باب رزقي، أو يؤثر على دخلي؟ فلم أجبه بشيء وأردت معرفة رأي لجنتكم الموقرة في هذا الموضوع لأجيبه بجوابكم.

جمهور الفقهاء على وجوب إعفاء اللحية وحرمة حلقها، وذلك لما جاء عن النبي ﷺ من الأمر بإعفائها في قوله: «أعفوا اللحية». وبناء على ذلك فلا يجوز حلق اللحية في الصالون وغيره، ويأثم من أمر بحلق لحيته ومن باشر حلقها، ولا يباح أخذ الأجرة على ذلك، وعلى المستفتي أن يمتنع عن حلاقة اللحية ما استطاع إلى ذلك سبيلًا.

قرار فقهي لمجمع الفقه الإسلامي (منظمة المؤتمر الإسلامي) بشأن التحكيم في المنازعات

قرر ما يلي:

أولًا: التحكيم، اتفاق طرفي خصومة معينة على تولية من يفصل في منازعة بينهما بحكم ملزم، يطبق الشريعةَ الإسلامية، وهو مشروع سواء كان بين الأفراد أم في مجال المنازعات الدولية.

ثانيًا: التحكيم عقد غير لازم لكل من الطرفين المحتكمين والحكم، فيجوز لكل من الطرفين الرجوع فيه ما لم يشرع الحكم في التحكيم، ويجوز للحكم أن يعزل نفسه- ولو بعد قبوله- ما دام لم يصدر حكمه، ولا يجوز له أن يستخلف غيره دون إذن الطرفين؛ لأن الرضا مرتبط بشخصه.

ثالثًا: لا يجوز التحكيم في كل ما هو حق لله تعالى كالحدود، ولا فيما استلزم الحكمُ فيه إثبات حكم أو نفيه بالنسبة لغير المتحاكمين ممن لا ولاية للحَكَم عليه، كاللعان، لتعلق حق الولد به، ولا فيما ينفرد القضاء دون غيره بالنظر فيه. فإذا قضى الحكم فيما لا يجوز فيه التحكيم فحكمه باطل ولا ينفذ.

رابعًا: يشترط في الحكم بحسب الأصل توافر شروط القضاء.

خامسًا: الأصل أن يتم تنفيذ حكم المُحكَّم طواعية، فإن أبى أحد المحتكمين، عرض الأمر على القضاء لتنفيذه، وليس للقضاء نقضه، ما لم يكن جورًا بينًا، أو مخالفًا لحكم الشرع.

سادسًا: إذا لم تكن هناك محاكم دولية إسلامية، يجوز احتكام الدول أو المؤسسات الإسلامية إلى محاكم دولية غير إسلامية؛ توصلًا لما هو جائز شرعًا.

ويوصي المجمع بما يلي:

دعوة الدول الأعضاء في منظمة المؤتمر الإسلامي إلى استكمال الإجراءات اللازمة لإقامة محكمة العدل الإسلامية الدولية، وتمكينها من أداء مهامها المنصوص عليها في نظامها.

ينابيع المعرفة

إعداد: التحرير

ما أراك تعرفه

«زكّى رجلٌ رجلاً عند عمر بن الخطّاب رضي الله عنه، فقال له عمر: صَحِبته في السَّفر الذي يُستَدَل به على مكارم الأخلاق؟ فقال الرجل: لا. قال عمر: ما أراك تعرفه».

وعن بعض السَّلف: «إذا أثنى على الرَّجل معاملوه في الحضر ورفقاؤه في السَّفر فلا تشكُّوا في صلاحه إذ ذاك؛ لأنَّ السَّفر يسيء الأخلاق، ويكثر الضَّجر، ويُخرِجُ مكامِنَ النَّفس مِنَ الشحِّ والشرِّ».

(الوَعظ المطلوب للقاسمي)

أعرابي عند الحجّاج

سمعَ الحَجَّاجُ صوتَ أعرابي في الوادي رافعا صوته بالتلبية، فقال الحجاج: عليَّ بالملبِّي، فأتي به فقال: من أي البلاد أنت؟ قال من أهل اليمن. فسأله الحجاج عن سيرة أخيه، محمد بن يوسف الثقفي، بين الناس، فقال الأعرابي: خَلَفتُه ظَلُومًا، غَشُومًا، عاصيًا للخالق، مُطيعًا للمخلوق! فازْوَرَّ من ذلك الحجاج، وقال: ما أقدَمَك على هذا وأنت تعلم مكانته مني!

فقال الأعرابيُّ: أفتَراهُ بمكانة أعزَّ مني بمكانتي من الله تبارك وتعالى وأنا وافدُ بيته، وقاضٍ دَيْنَهُ، ومصدقٌ نبيَّهُ ﷺ!

فَوَجَمَ لها الحجاج، ولم يُحِرْ لهُ جوابًا، حتى خرج الرجلُ بلا إذن!

(العقد الفريد لابن عبدربه الأندلسي)

أصل الفضائل والرذائل

«أصول الفضائل كلّها أربعة، ومنها تتركب كل فضيلة، وهي: العدل، والفهم، والنَّجدة، والجود».

«أصول الرذائل كلها أربعة، عنها تتركب كل رذيلة، وهي أضداد التي ذكرنا وهي: الجور، والجهل، والجبن، والشّح».

وذاك شُبِّه بشيخه

اتصف الإمامُ أبوداود بصفات عالية، فكان رحمه الله ممَّن عُرِفَ باتباع السنَّة وتمثُّلها في سمته ودلِّه، ولذلك فقد شُبِّهَ بشيخه الإمام أحمد، والذي شُبِّهَ بشيخه وكيع في ذلك، وهو شُبِّهَ بشيخه علقمة، وذاك شُبِّهَ بشيخه ابن مسعود رضي الله عنه الذي شُبِّهَ برسول الله ﷺ في سمته ودلِّه .

(المدخل إلى سنن الإمام أبي داود)

أول مَنْ أسس علم الأصول

الإمام محمد بن إدريس بن العباس بن عثمان بن شافع، الهاشمي، القُرَشي، المطَّلبي، الغزّي ولادةً، المكيّ نشأةً، المصري وفاةً، أبوعبدالله.

وهو أول مَنْ أسس علم الأصول في الفقه، وصنَّف فيه كتابه الشهير «الرسالة» وهو مطبوع، منه نسخة خطيَّة كُتِبَتْ سنة (٦٢٥هـ)، محفوظة في دار الكتب المصرية. (معجم الأوائل في تاريخ العرب والمسلمين)

ابتسامة (مَرَضُ الروح)

قِيْلَ للشعبي: هل تمرض الروح؟.

قال: «نعم، تمرض من ظلِّ الثُّقَلاء».

وَمَرَّ به بعض الثقلاء فوجده بَيْنَ ثَقِيلَيْن، فقال له: كيف الروح اليوم؟!

فقال: «في النزع الأخير».

الحفظ لا يغني عن التقييد

روى أنس بن مالك رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: «قَيِّدوا العلم بالكتاب» (تاريخ دمشق لابن عساكر).

- شكا رجلٌ إلى النبي ﷺ النسيانَ فقال له ﷺ: «استعمل يدك». أي اكتب حتى ترجعَ إذا نسيت إلى ما كتبت.(الطبراني)
- قال الخليل بن أحمد رحمه الله: «اجعل ما في الكتب رأسَ المال، وما في القلب النَّفقةَ».
- قال أحد الحكماء: «ولولا ما عقدتهُ الكتب من تَجارِبِ الأولين، لانحلَّ معَ النِّسيانِ عُقُودُ الآخرينَ».
- وقال بعض البلغاء: «إنَّ هذه الآداب نوافر تَنِدُّ عن عَقْلِ الأذهانِ فاجعلوا الكتبَ عنها حُماةً، والأقلامَ لها رُعاةً».

(أدب الدنيا والدين للماوردي)

من حكم ابن مسعود

- من أعطي خيرًا فالله أعطاه، ومن وقي شرًا فالله وقاه.
- المتقون سادة، والفقهاء قادة ومجالسهم زيادة.
- منَ الناس مَن لا يأتي الجمعة إلا دُبرًا ولا يذكر الله إلا هجرًا.
- ما دمت في صلاة فأنت تقرع باب الملك، ومن يقرع باب الملك يُفتح له.
- إني لأحسب الرجل ينسى العلم كان يعلمه بالخطيئة يعملها.
- لو سَخِرْتُ من كلبٍ لخشيتُ أن أُحَوَّلَ كلبًا.
- ربَّ شهوة تورثُ حزنًا طويلًا.
- ما على وجه الأرض شيء أحوج إلى طول سَجن من لسان.

(الفوائد لابن القيّم/ ص ١٩٠).

فَصَاحَة

تظلَّم رجلٌ إلى المأمون من عامل له، فقال: يا أمير المؤمنين، ما ترك لي فضّة إلا فضّها، ولا ذهبًا إلا ذهب به، ولا غلّة إلا غلها، ولا ضَيْعَة إلا أضاعها، ولا علقًا إلا عَلقَه، ولا عَرَضا إلا عَرض له، ولا ماشية إلاَ امْتشّها، ولا جليلًا إلا أجْلاَه، ولا دقيقا إلا أدَقّه . فعجب من فصاحته وقضى حاجته.

(زهرة الآداب للقيرواني)

أعجبتني حتى أضحكتني

قال سلمان الفارسي: «ثلاث أعجبتني حتى أضحكتني:

- مؤمل الدنيا والموت يطلبه.
- غافل وليس يُغْفل عنه.
- وضاحك ملء فيه ولا يدري أساخطٌ ربّ العالمين عليه أَمْ راضٍ.

(موسوعة أقوال الحكماء)

لا تكن كحاطب ليل

إن الله عز وجل قيَّض أهل الحديث للدفاع عن سنة رسوله ﷺ وزادهم شرفًا وفضلًا بالذود عن شريعته، فقاموا بذلك خير قيام، حيث أمدهم وأعطاهم وأعانهم ووفقهم في السعي المتواصل، والرحلة الطويلة والصبر على مفارقة الأهل والأوطان، وركوب الصعاب والذلول، وطرح الراحة وتحمل المشاق وبذل المال والمهج والأنفس، دون تقاعس أو كسل بل بهمة عالية منقطعة النظير، فكم سار المحدِّثون ليلًا ونهارًا، وكم تحملوا وكم تعبوا، وكم دخلوا من المدن والأمصار حتى يحصلوا على السماع واللقى، مِنْ أجل إبقاء هذه الخصوصية في هذه الأمة، ولأجل ذلك وتحريضًا على طلب العلوم بأسانيدها إلى قائليها، وعدم التهاون في تحصيلها من منابعها الأصلية.. قال الإمام الشافعي: «مثل الذي يطلب الحديث بلا إسناد كمثل حاطب ليل يحمل حزمة حطب وفيها أفعى وهو لا يدري» (فيض القدير للمناوي).

من وصايا لقمان الحكيم

قال لقمان الحكيم لابنه: «يا بني، العلمُ حسن، وهو مع الحلم أحْسَن، والصمتُ حَسَن، وهو مع الحكمة أحْسَن، يا بُنَي إنَّ اللِّسان هو نابُ الجسد، فاحْذر أنْ يخرج مِنْ لسانك ما يُهلك جَسَدك، أو يُسخط عليك ربَّك».

(الحلم للحافظ ابن أبي الدنيا)

جَنَتْ على أهلها «بَرَاقش»

كان لقوم كلبة تُدعى «بَرَاقش»، وذات ليلة جاء أعداء لهم يبحثون عنهم في الظلام، فلم يهتدوا إليهم، فيئسوا، وهمُّوا بالرجوع، فلما أحست بهم الكلبة نبحت عليهم، فعرفوا مِنْ نباحها مكان القوم، فهاجموهم وقضوا عليهم وعلى كلبتهم، فقيل: جَنَتْ على أهلها بَرَاقش.

يحفظ «ألف ألف» حديث

قال عبدالله بن أحمد بن حنبل: سمعت أبا زرعة يقول: كان أحمد بن حنبل يحفظ «ألف ألف» حديث، فقيل له: وما يدريك؟. قال: ذاكرته، فأخذت عليه الأبواب.

وقيل لأبي زرعة: مَنْ رأيت من المشايخ المحدثين أحفظ؟. فقال: «أحمد بن حنبل، حرزت كتبه في اليوم الذي مات فيه، فبلغت اثني عشر حملًا، وعدلًا، ما كان على ظهر كتاب منها حديث فلان ولا في بطنه حدثنا فلان، وكل ذلك كان يحفظه أحمد عن ظهر قلب». (مناقب الإمام أحمد لابن الجوزي)

مسك الختام

أ.د. ناصر أحمد سنة

لماذا الشكوى ونعم الله تترى؟

ما إن تقابل أخا أو تحادث صديقًا أو تتواصل مع زميل لم تره منذ مدة، أو تجلس مجلسًا غير مجالس المسجد؛ إلا وترتفع أصواتهم، وتتابع أحاديثهم معبرة عن صورة أو أخرى من صور الشكوى، وهي كثيرة متنوعة، وقد صادفت بيتًا من الشعر، لعل قائله قد عانى تلك المقابلات، وسمع تلك الأحاديث، وجلس إلى هذه المجالس فتساءل قائلًا:

كل من لاقيت يشكو دهره

ليت شعري هذه الدنيا لمن؟

وإذا طرح هذا أو ذاك الذي يضج بالشكوى على نفسه سؤالًا: ما الذي يريده من دنياه التي أنعم الله تعالى عليه بأن خلقه من عدم، فأوجده فيها؟

وقبل أن يصول هذا السؤال ويجول بخاطرهم، فتتباين الأقوال تدفعها أهواء، ليس لها أساس من واقع معيش، يدحض كل دعوى بالشكوى، هاهو رسولنا المعصوم ﷺ - مرجعيتنا- إذا ما تباينت المواقف والأقوال والرؤى، ومن لم يكن له مرجعية من قرآن وسنة ضل وتاه في متاهات الفكر والحياة، هاهو رسولنا ﷺ يقول: «من أصبح منكم آمنًا في سربه، معافى في جسده، عنده قوت يومه، فكأنما حيزت له الدنيا» (رواه الترمذي، وقال حديث حسن غريب، من حديث عبيدالله بن محصن الأنصاري الخطمي رضي الله عنه).

وإذا ما أحال هذا الذي يقابلك مشتكيًا، وغيره كثير، نفسه وظروف وملابسات شكواه على هذه المرجعية من الهداية النبوية لوجد شكواه لا سند لها، ولا قرار، ولا محل لها من الإعراب.

ما الذي يريده الناس من دنياهم غير:

- «أمن خاص وعام» يكتنفهم فيصبحون غير خائفين ولا مهددين في سربهم.
- «أمن صحي، وعافية بدنية، وسعادة نفسية»، نعمة وتاج على رؤوس الأصحاء.
- «أمن غذائي.. قوت يومه» وفق وسطية الإسلام واعتداله في كل شؤونه، ﴿كلوا واشربوا ولا تسرفوا إنه لا يحب المسرفين﴾ (الأعراف: ٣١)، ويقول رسول الله ﷺ: «كلوا واشربوا والبسوا وتصدقوا من غير مخيلة ولا سرف فإن الله يحب أن يرى نعمته على عبده» (أخرجه البخاري في اللباس)، ويقول ﷺ: «ما ملأ آدمي وعاء شرا من بطن، بحسب ابن آدم أكلات يقمن صُلبه، فإن كان لا محالة فثلث لطعامه، وثلث لشرابه، وثلث لنفسه» (رواه الترمذي)، وقال حديث حسن، من حديث أبي كريمة المقداد بن معد يكرب رضي الله عنه.

لقد امتن الله تعالى على قريش بإطعامهم وبتوفير نعمة الأمن لهم، يقول تعالى: ﴿فليعبدوا رب هذا البيت. الذي أطعمهم من جوع وآمنهم من خوف﴾ (قريش: ٣ -٤)، ولأهمية هذه النعمة فإنها قد تسبق نعمة الرزق من الثمرات، يقول تعالى: ﴿وقالوا إن نتبع الهدى معك نتخطف من أرضنا أولم نمكن لهم حرمًا آمنًا يُجبى إليه ثمرات كل شيء رزقا من لدنا ولكن أكثرهم لا يعلمون﴾ (القصص: ٥٧)، ويقول تعالى: ﴿وإذ قال إبراهيم رب اجعل هذا بلدًا آمنًا وارزق أهله من الثمرات من آمن منهم بالله واليوم الآخر قال ومن كفر فأمتعه قليلًا ثم أضطره إلى عذاب النار وبئس المصير﴾ (البقرة: ١٢٦).

أيها المشتكون، هلا راجعتم أنفسكم فشكرتم الله تعالى على نعمه تترى ، والشكر يستوجب المزيد: ﴿وإذ تأذن ربكم لئن شكرتم لأزيدنكم ولئن كفرتم إن عذابي لشديد﴾ (إبراهيم: ٧)، قال الطبري: «وإنما جرى ذكر الخبر عن إنعام الله على قوم موسى بقوله: «وإذ قال موسى لقومه اذكروا نعمة الله عليكم»، ثم أخبرهم أن الله أعلمهم إن شكروه على هذه النعمة زادهم، فالواجب في المفهوم أن يكون معنى الكلام: زادهم من نعمه، لا مما لم يجر له ذكر من «الطاعة» إلا أن يكون أريد به: لئن شكرتم فأطعتموني بالشكر، لأزيدنكم من أسباب الشكر ما يعينكم عليه، فيكون ذلك وجهًا.

أيها المشتكون: لنلهج جميعًا بالحمد والشكر لله تعالى، بدلًا من الشكوى والضجر.

الشريعة الإسلامية في كلمات
سمو الأمير الراحل الشيخ جابر الأحمد الصباح

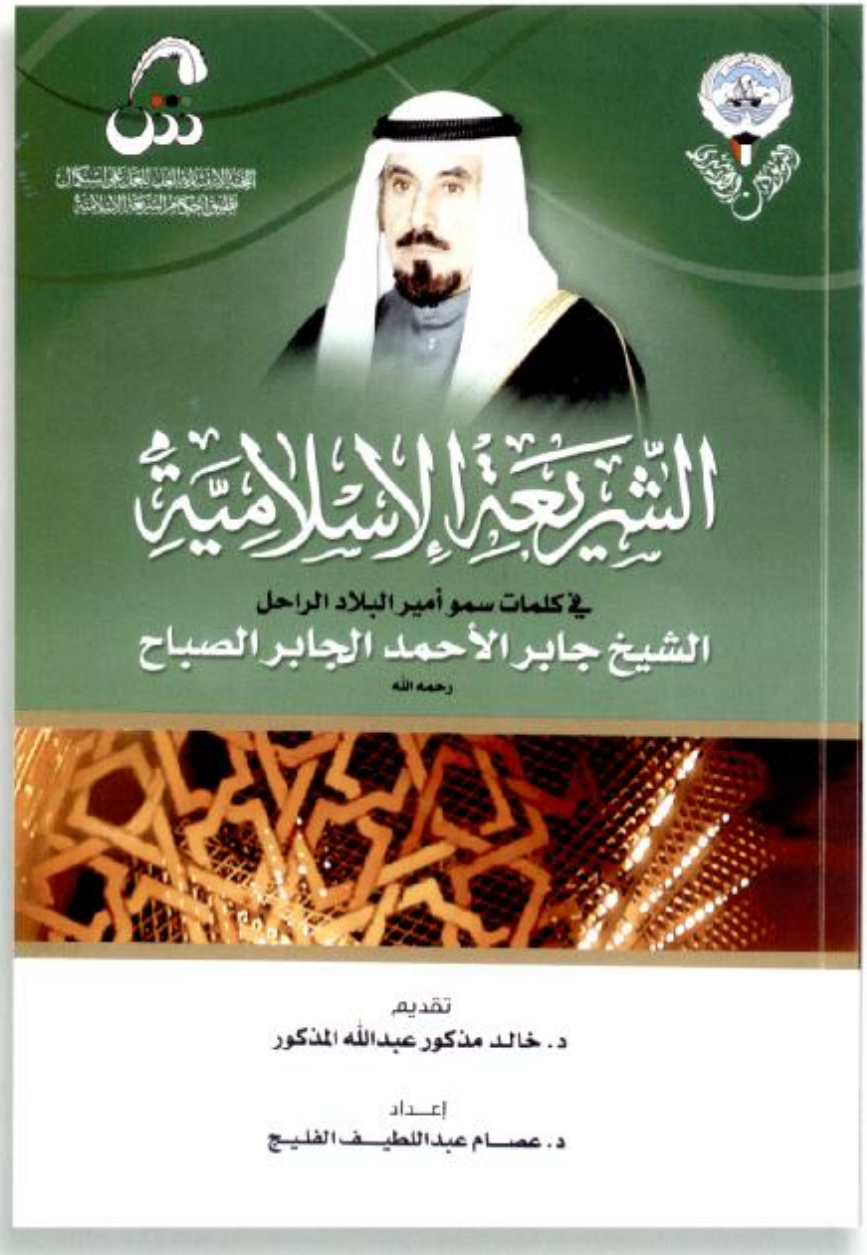

أصدرت اللجنة الاستشارية العليا للعمل على استكمال تطبيق أحكام الشريعة الإسلامية كتاب (الشريعة الإسلامية في كلمات سمو الأمير الراحل الشيخ جابر الأحمد الصباح) الذي ضم بين دفتيه كلمات وخطابات الأمير الراحل التي تناول فيها الشريعة الإسلامية، وسماتها ومميزاتها، وأهمية التمسك بها، والعمل بأحكامها، والتخلق بأخلاقها، وأثرها العظيم في بناء الأمة.

أوقاف

اقرأ العدد الجديد

١٧

من مجلة

- ماذا يمكن للوقف أن يقدم للأزمة المالية
- نموذج العمارة الوقفية بين نظريات العمارة ونظرية جودة الخدمات
- «الاستكشاف عن تعامل الأوقاف» للعلامة الحمزاوي
- تسيير الأوقاف الخيرية في تونس خلال الفترة الحديثة من الاحتكار الخاص إلى الاحتكار العام
- إدارة الأوقاف من خلال صكوك الانتفاع
- البناء المؤسسي للوقف في بلدان وادي النيل

«أوقاف» مجلة نصف سنوية مُحكّمة تعنى بشؤون الوقف والعمل الخيري تصدرها الأمانة العامة للأوقاف في دولة الكويت - إدارة الدراسات والعلاقات الخارجية

صندوق البريد : ٤٨٢ الصفاة ١٣٠٠٥ ـ دولة الكويت

هاتف:١٨٠٤٧٧٧ فاكس: ٢٢٥٤٢٥٢٦

البريد الالكتروني: awqafjournal@awqaf.org

الموقع الالكتروني: awqafjournal.net